

ذخائر المغرب العربي

احمد توفيق المدني

مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار

نقيب اشرف الجزائر



احمد توفيق المدني

مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار

نقيب اشرف الجزائر

1168 - 1246 هـ

1754 - 1830 م

رقم النشر 74 / 352
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ©
الجزائر 1974

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

المقدمة

أنني ، حين أقدم هذا الكتاب للشعب الجزائري ، الحر ، المناضل ، إنما أقوم باداء واجبين أكيدين :

أولهما ، اني أضع وثيقة جديدة ، صادقة ، في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل ، بهذه البلاد الجزائرية . ذلك العهد الذي ظلم كثيرا ، وأعطانا الاستعمار وأعوان الاستعمار عنه صورة قائمة ، بشعة ، لا تمت الى الحقيقة التاريخية بسبب .

وثانيها ، أنني أفي بعهد قطعته لسيد فاضل ، من رجال الجزائر القديما ، هو الشيخ سيدي محمود الشريف الزهار ، نقيب الأشراف الأخير ، عندما تسلمت منه هذه المخطوطة من الكتاب ، وانتزعناها انتزاعا من يد مسيو ميرانت مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة بالجزائر . فمسيو ميرانت كان يلح على نقيب الأشراف ، في تسليمه هذه النسخة من أجل مطالعتها ، حسبما يزعم ، ومن أجل الاستيلاء عليها واعدامها أو على الأقل الاحتفاظ بها في حقيقة الأمر . وقص علينا الشيخ محمود القصة ، فاقنعناه بان تسليم الكتاب لميرانت ، إنما هو اعدام لاسم جده الحاج أحمد رحمه الله . واتلاف لأمانة تاريخية وضعها الله بين يديه ، أما أن سامها لي ، فانا أتعهد أمام الله بأنني سأقوم في الوقت المناسب بنشرها ، والتنويه بذكر مؤلفها ، وهكذا نصون

صفحة من التاريخ ، ونحفظ اسم مؤلف كريم ، ومناضل صادق . ونجح
المسعى ، فتسلمت منه هذه المسودة ، على هذا العهد .

ولقد كنت نشرت سنة 1937 ، كتابا عن محمد عثمان باشا ، داي الجزائر ،
كانت حجرة الأساس فيه ، ما نقلته عن سيرة هذا الباشا البطل ، من كتاب
نقيب الأشراف ، مضيفا إليها بحوثا أخرى . فكان هذا أول كتاب أماط اللثام
عن حقيقة الوجود العثماني التركي بهذه البلاد ، نسف تلك الخرافات
والأكاذيب التي اختلقها الاستعمار من أجل تشويه هذا الوجود ، وبينت فكري
بكل صراحة وجلاء عن ذلك العهد المظلم ، فكان ذلك الكتاب مفاجأة للناس ،
ومنارا للباحثين ، ولطمة قاسية في وجه الاستعمار .

ثم أردفت ذلك بعد حين ، بكتابي « حرب الثلاثمائة سنة » بين الجزائر
واسبانيا ، بينت فيه اجلي بيان حقيقة الوجود العثماني بالبلاد الجزائرية ، وهي
أن ذلك الوجود ما كان الا فترة بطولية ، من تلك الملحمة الرهيبية التي شنتها
اروبا الصليبية ضد الاسلام ، مبتدئة بدولة الأندلس ، ذات المدنية الشامخة
والعمران الذريع ، مولية وجهها بعد ذلك ، شطر الديار الاسلامية بالشمال
الافريقي ، وكانت بولها واهية ، ونظامها مختل ، وشعبها المناضل لا يجد
الحاكم الصالح ، ولا القائد الحكيم ، ولا الزعيم الذي يرفع راية الجهاد أمام
العدو الغاصب القوي . وكان ذلك العدو ، الذي التفت حوله راية المسيحية ،
هو اسبانيا .

فكان من جملة ما أظهرته في الكتابين الاتفي الذكر ، ما يلي :

اولا : ان اسبانيا والبرتغال اتفقتا على اقتسام المغرب العربي ، على ان
يكون المغرب الأقصى من نصيب البرتغال ، وان تكون الجزائر وتونس وما
يليهما ، من نصيب اسبانيا .

ثانيا : ان اسبانيا ابتدأت ، اثر تحطيمها مملكة الأندلس ، واستيلائها على
غرناطة ، توطد قدمها بالبلاد الجزائرية ، فاحتلت وهران ، ومستفانم وبجاية ،
من أقصى الغرب الى أقصى الشرق بهذا القطر . ولم تكن دولة بني حفص
بتونس ، ودولة بني زيان بتلمسان وقد انفمستا في حماة الانحلال ، واشرفنا
على الموت ، بقادرتين على رد العدوان ، أو الوقوف في وجهه . وارتكبت
اسبانيا من الفظائع والموبقات وأعمال الأرهاب والتنكيل ، ما يعجز القلم
عن وصفه .

ثالثا : الشعب الذي كان ضحية ذلك العدوان العظيم ، والذي لم يجد من يقوده تجاه تلك الحملة المجنونة ، ارسل رسله تستنجد المجاهدين التركيين العظميين ، عروج وشقيقه خير الدين ، وهما على رأس تشكيلة قوية من القرصان المسلمين ، تقاوم بصفة بطولية الأساطيل المسيحية .

رابعا : لبي المجاهدان التركيان الدعوة للانتقاد وجاءا بأسطولهما ورجالهما ، فكان حصار بجاية ، وكان تخليص مدينة الجزائر ، وكان تنظيم المقاومة الشعبية .

خامسا : طلب الجزائريون بقاء خير الدين بينهم ، أميرا للجهاد ، عندما اراد الرحيل فاشتراط عليهم ثلاثة شروط ، هي :

(ا) ان يطلبوا ذلك من السلطان سليم العثماني ، الذي اصبح خليفة للمسلمين ، فخير الدين ليس حرا يفعل ما يشاء ، بل هو من قراصنة السلطان والدولة العثمانية .

(ب) ان يطلبوا الانضمام الى مجموعة البلاد التي تؤلف الامبراطورية العثمانية ، فهذه المعركة الحامية يومئذ بين المسيحية والاسلام ، ليست معركة عارضة ، ولا هي محلية بل انما هي جزء من معترك رهيب ، عام ، تقف الدولة العثمانية في جانبه الاسلامي وتقف اسبانيا ، وما وراءها من دول اوروبا في جانبه المسيحي ، فمن انفصل بنفسه عن جامعة المسلمين ، كان مثله كمثل النشاة تنفصل عن القطيع فتكون فريسة للذئاب .

(ج) ان هذه البلاد ، وما كانت تدعى الا بلاد الواسطة ، او المغرب الاوسط لا يمكن ان تقاوم العدو منحلة ، متخصصة ، كل جزء من أمتها منكمش حول نفسه ، في شبة ادارة اقطاعية سيئة ، يتنازع الامر فيها امراء ليس لهم من الامر شيء ، بل الواجب هو تكوين دولة مركزية ، قوية ، تكون عاصمتها الجزائر ، ويكون جميع السكان من حدود تونس الى تخوم المغرب الأقصى ، خاضعين لها ملتفين حولها ، وهكذا نشأت لأول مرة في التاريخ والى الابد هذه الدولة الجزائرية ، بحدودها الحالية منذ ما يقارب الخمسمائة سنة .

سادسا : كان عدد الأتراك ، طيلة ايام الدولة الجزائرية العثمانية ، اي اكثر من ثلاثمائة سنة قليلا ضئيلا ، لم يتجاوز الثلاثة آلاف رجل في اي وقت من الأوقات الا قليلا . وكان الأتراك جنودا يحمون مركز الدولة المستمد من سلطة الخليفة العثماني الشرعية ، وكانوا ضباطا يقودون الجماعات المجاهدة الجزائرية في ميادين القتال والنضال . وكانت صفحات المجد

والبطولة التي سجلها الجزائريون ، تحت قيادة الأتراك العثمانيين ، صفحات ثرية خالدة قلما سجل قطر اسلامي آخر مثلها فوق اديم ارضه ، أو عرض بحره .

ولم يكن الأتراك مستعمرين ، لانهم لم يملكوا ارضا ، ولا ابعدوا مزارعا عن مزرعته ، ولم يكونوا محتلين ، لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم اصلا من احتلال جزء من البلاد فضلا عن مجموعتها . كان ببسكرة والزيبان مثلا : 63 تركيا وكان ببجاية 44 رجلا وكان بمعسكر 42 رجلا (1) فهل يمثل هذا العدد يكون الاحتلال ؟ فالحقيقة ان الوجود العثماني كان معتمدا من جهة على رجال القبائل الجزائرية ، ومن جهة أخرى كان معتمدا على فكرة الجامعة الاسلامية التي تمثلها الخلافة العثمانية . وكانت السلطة كلها ، تحت ادارة الباشا والبايات ، بيد شيوخ البلاد الجزائريين ، شرقا وغربا ، سهلا وجبلا .

سابعا : كان الاقطاع بكل جهات البلاد الجزائرية يدافع عن نفسه ، وعن مكاسبه وامتيازاته . فكانت محاولاته تترى وكان رجال الشعب تحت القيادة التركية يخدمون تلك التحركات المريبة ، وكان بعضها يتصل بالاجنبي ويستمد الاعانة منه (2) .

ثامنا : لم يكن الولاة الأتراك كلهم صالحين . هذه حقيقة ناصعة ، خصوصا ايام الاضطراب الهائل العظيم ، الذي ساد مركز السلطنة العثمانية ، من جراء اقدام السلاطين على تغيير النظام العسكري والغاء جيش الانكشارية الذي اصبح مثيرا للاضطراب والحوادث الدامية التي ادت الى قتل السلاطين ، أو خلعهم عن كرسي السلطنة والخلافة ! لكنني اؤكد ، حقيقةً اثنتين .

اولهما : ان ما كان يقع في العهد الأخير ، من انقلابات داخل القصر ، أو قتل لبعض الدايات ، لم يكن يؤثر على العامة شيئا ، بل لم تكن العامة تعلم به الا بعد حدوثه فتلك حوادث — كما سنرى اثناء قراءة الكتاب — كانت تقع بين بعض الفئات من رجال الجيش التركي الذي ناله نصيب من فساد الجيش العثماني كله في ذلك العهد .

ثانيهما : ان الولاة الأتراك الذين لم يكونوا صالحين للولاية ، وهم قلة ، كانوا أفضل كثيرا من معظم الولاة الأوروبيين الذين كانوا يتداولون الحكم في البلاد الأجنبية ، والذين كانوا لا يقفون في مظالمهم وآثامهم وجرائمهم عند حد . واذا رايت مظالم واضطهادات الملوك والولاة ، في أوروبا وأمريكا ، خلال هذه الفترة ، لوقفت مشدوها ، ولما كتبت تصدق ما تقرأ .

تاسما : كانت مدينة الجزائر تدعى ، منذ تأسيس الدولة الى وقائع الاحتلال الفرنسي ((بلد الجهاد)) كان ذلك هو اسمها الرسمي . فالجزائر كانت اول قاعدة لأعمال الجهاد ضد اسبانيا ، الى ان تطهرت البلاد الجزائرية ، وبصفة تامة مطلقة من ادران الاحتلال الاسباني ، بعد حرب دامت ثلاثمائة سنة ، ثم كانت قاعدة لأعمال قرصنة شهيرة ، كان يقوم بها القراصنة الجزائريون الوطنيون ، في مغامرات بحرية سارت بذكرها الركبان . ولم تكن هذه القرصنة الا دفاعا اسلاميا مشروعاً ضد لصوصية البحر الخسيسية التي وصل اليها الاسبانيون والبرتغاليون وغيرهم ، والتي ذهبت ضحيتها الآلاف المؤلفة من مهاجري الأندلس . فالقرصنة نوع من الحرب المشروعة المقتنة التي تخضع لمنهاج عام معترف به من الجميع . ولا تكون حرب القرصنة الا ضد سفن الدولة المعادية لا غير . أما سفن الدولة الصديقة المرتبطة مع الجزائر باتفاقات ، فكانت سفن القرصنة الجزائرية تدافع عنها وتحميها (3) .

هذه ملاحظات اساسية ذكرناها عن اسباب وكيفية استقرار الوجود العثماني في ارض الجزائر خلال ما يزيد عن الثلاثة قرون . وقد تقدم لنا تفصيلها باسهاب في كتابينا السابقين ، منذ سنة 1927 ، فليرجع اليهما من اراد التعمق في الاطلاع على الحقائق الدامغة .

ولنو الآن صفحات البحث الى حيث نجد الحاج احمد الشريف الزهار ، ومخطوطه الذي يسعدنا ان ننشره اليوم .

عين من اعيان الحضرة الجزائرية ، ووجه من اكمل وجوها ، ومناضل شهيم من اكبر مناضليها المجاهدين . هو الحاج احمد ، ابن الحاج علي النقيب ، وينتهي نسبهم في ذرية محمد صلى الله عليه وسلم الى ادريس الاكبر ، مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى .

ولد بمدينة الجزائر سنة 1196 (1781) أيام الباشا المجاهد العظيم محمد عثمان باشا . وتعلم وتفقه على يد كبراء العلماء ، تولى نقابة الاشراف بعد وفاة والده ، وكان حوالي الخمسين من عمره عندما جاءت كارثة الاحتلال ، فضرب بسهم في الدفاع ، ثم ابعدته فرنسا مع جملة من ابعدت من فحول العاصمة الجزائرية سنة 1832 ، فام مدينة تونس ، وازداد تبجرا في العلم والفقه على يد الشيخ ابراهيم الرياحي ، ثم ارتحل الى قسنطينة ، مركز البطولة والفداء ، والمقاومة العصماء ، فتولى الكتابة لدى الأمير الحاج احمد باشا ، الى ان دالت الدولة وانتهت المقاومة سنة 1837 ، تحت ضربات الجيش الفرنسي الفتاكة ، الذي اندحر قبل ذلك وكسرت شوخته مرتين أمام

المدينة الباسلة ، فانتقل الى الأمير عبد القادر ، بطل المقاومة الشعبية وتولى كتابة سره ، وصحبه اثناء المعامع والفتن في السراء والضراء ، وكانت والدته ممن أسر مع الأمير عبد القادر ، وبقيت بفرنسا ردحا من الزمن طويلا (4) ، أما هو فانتقل بعد ذلك الى بلاد المغرب الأقصى ، ورأيناه يقول انه زار مدينة فاس سنة 1259 ، اي انه كان يومئذ في السنة الثالثة والستين من عمره . ثم رجع الى مدينة الجزائر وتسلم من جديد نقابة الأشراف واشتغل بالتجارة في دكان استاجرته ، وجدنا تفاصيله في حسابته . واعتكف على الكتابة والتأليف وجمع مختلف أخبار الجزائر في العهد العثماني . ولبي داعي الله سنة 1289 (1872) وقد تجاوز سن التسعين ، أما كتابه الذي تقدمه اليوم الى قرائنا الأكرمين ، فهو منقسم الى قسمين : القسم الأول الذي يسعدنا تقديمه اليوم ، فهو مكتوب فوق دفتر حسابات عائلية ، استفرقت في أوله ست صفحات ، ثم كتب بعدها بالقلم الأحمر : الحمد لله وحده . سنة 910 دخل عروج للجزائر ، وتسمى خير الدين سنة 922 . وفي الهامش يقول عن عروج : وهو كان مشتغلا بالحروب ، فسمى أخوه اسحاق . وبعد هذه السطور ، نجد 13 صفحة بيضاء . ثم نجد بعدها النص الذي يتعلق بسيرة وأعمال الدايات الذين تولوا كرسي الجزائر من سنة 1168 الى النهاية المؤلمة ويعود خلال ذلك لذكر بعض الحسابات العائلية .

فهناك احتمالان : الأول هو ان المؤلف الفاضل ترك الصحف البيضاء الأولى ، ليسجل فوقها خلاصة تاريخ الباي لرباي ، والباشوات الذين تداولوا الحكم ، الى سنة 1168 . وهو مالا اعتقده لانه مهما لجأ الى التلخيص ، وهو في غنى عنه ، لا تكفيه هذه الصفحات لذلك .

والاحتمال الثاني ، هو انه ذكر ذلك التاريخ مفصلا ، في دفتر آخر نراه يشير أحيانا اليه خلال كتابه الذي هو بين يدينا اليوم ، فيقول مثلا : وقد تقدم لنا ذكر ذلك ، عن وقائع وولاية ليسوا في كتاب اليوم . فعلى هذا يكون كتاب اليوم هو الجزء الثاني . أما الجزء الأول فقد فقد وتلاشى لسوء الحظ . اذ ان أبناء الفقيد تقاسموا كتبه ، فلم ينج منها الا هذا القسم ، وقد اعانني الله على انقاذه من بين يدي مسيو ميرانت ، كما أسلفت .

ولهذا الكتاب بقينا قسم آخر ، وأخاله الأهم ، وقد اخذه فيما علمت مسيو لوسياتي مدير الأمور الأهلية سابقا ، بالولاية العامة الفرنسية . وهذا القسم يتعلق بحوادث الاحتلال الرهيب وما صاحبها من قتل وظلم وارهاق ، ثم حوادث المقاومة العظيمة المشرفة للجزائريين وللعرب كافة ، التي قام بها

له خليجة واعوان واغلاوات واغدة الروابي وهم من اعوان وداغدة انصا بية
 وهم من التبا ولما فتحوا ناحية الغرب تلمسان واحوارها ومعسكر ونواحيها
 وانقلعت واستفانح وراحها جعلوا باب معسكر بيمونند باب الغرب تم فتحوا
 لناحية الشقية وجعلوا باب مسمو باب الشرف وكانت غنسية بدموط
 تونري بعرة لدرجت للجراي مثلا باسكن الباي بها مكار هو اصغار ابليات
 بالتحريم وامل في القوة والعبية بكنا نوا ابليات (ما ثبير لا يضا هونه وانته
 لا يعرفونها بل منتم ثم بنوا برجها في زاوية وجعلوا به ما يرا ولم
 يمكنهم ان يسمو باب كركار يدرش معهم وكانوا هو اه ابليات يدرشور بعبر
 الثلاثة سيرة وخلقها وهم يدرشور عن تير في كل سنة وحين يدرشوا ابليات
 بلا يدرشور الخملوات وكان باب تقي بعد الثلاثة تير في الربيع وباب الغرب في الخريف
 وباب الشرف في الربيع وكذا في كل سنة يدرشوا يدرشور في الربيع بعد الثلاثة سيرة ولم يدرش
 خلية مثل ابليات التي يدرشور الخملوات لان الخملوات ياتون في اواخر الربيع فيخرجون
 معهم (ما حال الخملوات الخراجات والركوة والعشور هكذا وضعهم الا وابلط انما حاج
 الذي و(اواخي صاروا في جونغهم الخملوات في الغر والخلبات ونهب اموال الدليرو ما
 وقع هذا حتى جازوا الناس بدار ابليات في ليلة الغرب فخرج في ايامهم ومحلة تيبلا فخرج
 في الصبيوة ومحلة الشرف فخرج ايوغ (الاول من الصبيوة) واما ما يدرشوا بلا محلة له
 وارفع له عجل بر عيته يبيعنوا له محلة مخصوصة يفض بها مائة
 مع ابليات غنية ونجح وليست كل سنة واماره ولم يجمع الي ما نحو بصره
 ولما وفعت المعاهدة مع الصبيول بدار بمل النوط مفرغ ابليات مديان
 الغر وجاء معه بل اموال وقب وهدايا من الخيل والعتق وغيره وصوخ
 وكان في ذلك الوقت في معسكر فخرج ومعد جيش لهم من
 وبقا عد وكباره النجوع وبلده واغلاوات راكيز الخيل الصومنة ومن جونغهم الزمينة
 وليا مع الهمية وقلده اتم الغرمة وخرانته القوة بدار معسكر ونومد بطعون
 بين يديه ويضربون الباروخ والطبول من رايه الراوي والابح ارا نهيت بمنوا بدار اعظم
 انلونند وما توار على الكروني و هم زا هيس بار حير لمل فند البول الامير ولا اصح الله
 في الصباح وطلوا النجوع ركبوا اوساروا وهم بليهور ويخ بورا باروخ واناس بليغونند
 بالعدايات ابليات وكلمتهم على هدايتهم بحسب الفلانات من كل بيتهم الخيل يبيع
 الخيل ومن كل بيتهم العبيد يبيعهم (الاية) والعيسر اصغار ومن كل بيتهم الخيل للباس
 يبيعهم التي يبيعون الخوانه وحياد (ما ح) صنعت تلمسان وكان يقطن الخيل والعيسر
 والكسوة كرو لا افرا مولاشراي وموله في بنت بل الخيل يلقونه العفرا والعسكر وغيره
 والاكثر هم من الاتري الي ايوغ الذي خرج من البلاد وبع كل يوغ يتن ايدوا ويسور معه والنجوع
 عند وكل يوغ لما يصل للراي ليت يبيع في عليهم الدراهم منهم من يبيعهم بالحد ومنع
 من ياختري بالير وهكذا كل يوغ حتى يصل الخيل اير ونحو ذلك ما يبيعونهم ويبر الخيل
 وحلتيرار ثلاثة يجمعون عليه خيلها كثير للكمح ويخرج واغدة العرب النواحي فباع
 ابليات ثلاثة بقومه وفواكه وسلاطه وكبوله ويلتغور في موضع يقال له يويك

فصحت لنا ذكرا للزينة
 نذروا مع قبلة

باب ابليات له
 له وكيل في كتاب في الروابي
 ولد في كل من دار الخمل
 بطعون رعيه ما اكله
 انصار بين الخملوات
 بالركبان ويبيعون الخيل
 لتوبيلها وبقا في كتابه
 وبعث جيشا في ربيع
 ما يبه ليوب في كيت
 مع (الاية) في بصره لان
 كتبه (الاية) في بصره
 بعد لسايرهم
 التي يبيعون الخيل
 وبقا في ربيع
 في اكلهم من اكلهم
 بسلطه عرايا وويلد
 له سلاطه ما اكله
 بكم مع فيه ما توك
 بالانطوية ما توك
 لفظه في خيل العيسر
 واخي جويان توك
 ببيع ملكات العيسر
 والنباير بيت به وار
 السلط
 بعت باخر بيار ستاعه
 وبعثو كتابا للباي
 فيستأخذ منه في الدول
 فيكتبه له وبقا في
 في ارضه
 لدايوغ التي بغيره
 ويخرج معه التوبيل
 بصلها التوبيل

بكر ابليات

بطلان مغواران : الحاج أحمد باي في قسنطينة وقد كان ممثلا للسلطة العثمانية الى آخر أيام المقاومة ، والحاج عبد القادر بن محي الدين الذي تولى كبر المقاومة الشعبية . وأخيرا ذكر عوائد أهل مدينة الجزائر ، وذكر علماء القطر وأدبائه وشعرائه وهذا هو الذي أشار له في آخر الكتاب الذي بين يديك . والذي وجدنا خلاله قطعة من القسم المفقود ، أثبتناها ، لكي نرى مدى الخسارة التي مني بها العلم والأدب والتاريخ بضياح هذا القسم الثري المفيد .

أما بداية من ذكر ولاية علي باشا — 1232 — فالمخطوط يستمر على كراس من ورق حر أبيض اللون ، استعمل خصيصا لذلك الفرض (5) .

والكتاب مسودة لا محالة ، فتراه يقول مثلا : سنذكر هذا مرتبا عند التخريج ان شاء الله ويكرر مثل هذا القول عدة مرات في مواضع مختلفة . واذ كان الكتاب مسودة ، فعلى أغلب صفحاته هوامش كثيرة . فكنت أثناء نقلي للكتاب ، أضعها في مكانها . واللغة التي يستعملها الحاج أحمد عربية بسيطة ، كما ستري ، لم يحاول صاحبها ادخال مسحة أدبية عليها : وكثيرا ما كانت الكلمات أو بعض التراكيب تمت الى لغة العامة . لهذا كنت مضطرا الى أرجاعها للسياق العربي ، دون أي اضرار بالنص . وتركت بسطاته الطويلة عن عادة الدنوش مثلا ، وعن نقل علي باشا لمقر الحكم من قصر الجنيئة الى معقل القصبه على حالها ، حفضا للأمانة التاريخية التي لم ترد في كتاب آخر اطلاقا . أما العناوين كلها فمن عندي ، ولا يوجد في الأصل منها شيء .

والحاج أحمد الشريف ، خلال تاريخه هذا ، متحمس للإسلام الى أقصى حد ، يرى أن الدولة دولته ، وأن الجهاد الإسلامي ضد النصارى واجبها وواجبه ، فاذا كان الجهاد متوجا بالنصر ، فهو مبتهج فخور ، واذا دارت الدائرة فيه على المسلمين — والحرب سجال — فهو حزين موتور . ونراه صريحا جدا ، في انتقاداته لبعض رجال الدولة وبعض أعمالهم ، فيقول مثلا عن عمر باشا « . . . ولما افاق من نومة أهل الكهف . . . » ويقول عن الشواش الأتراك في اجتماعاتهم بالبايات « . . . منكسي الرؤوس ، مثل الثيران التي تتعلم الحرات . . . » الى غير ذلك مما يصور روح المؤلف ، ويشيد بفكره الحر . ثم يقول ، في ذلك العهد ، وهو ابن الزاوية ونقيب الأشراف ، عن حسين باشا : وكان تقيا ، محبا للصالحين ولمن انتسب اليهم ، حتى أنه كان يفتخر بأهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم ، ويكرمهم ، ويستبشر بمقاتلتهم ، وكان الواجب عليه التفير على أهل البدع ، وزجرهم على فعلهم القبيح ، ومخالفتهم للسنة .

هذا ، واني اذ أقدم هذا الكتاب ، أشعر براحة ضمير لا يعرفها الا من قام
بواجبه ، ووفى بعهده ، وقدم لأمتيه عملا صالحا يرجو أن يلقي جزاءه
عند الله .

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

احمد توفيق المدني
الجزائر 1392 – 1972

-
- (1) انظر التفاصيل في كتابنا : محمد عثمان باشا : صفحة 176 –
 - (2) انظر كتابنا : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا صفحة 300 وما يليها
 - (3) انظر التفاصيل المقتعة في كتابي محمد عثمان باشا ، المؤلف الذكر .
 - (4) وجدنا في حساباته العائلية التي ذكرنا ، ما يلى « أيضا مطرح (فرائس) لما أتت أمي من
فرنسا 50 : 16 »
 - (5) مقاس الدفتر الأصلي : 34 x 23 سنتمترا ومقاس القسم الأخير 28،50 x 19 سنتمترا

ذكر ولاية على باشا بوسباع (1)

سنة 1168 (2) 1754 (اواخر أيام السلطان محمود الاول الفاخرة)

تولى بعد موت محمد باشا الذي عرف بالأعمى سنة الف ومائة وثمانية وستين . وكان عارفا باحوال البلاد واهلها . وكان وزيرا أعني خرناجيا سبع سنين .

ولادة نجل للسلطان :

جاءت البشارة من عند مولانا السلطان مصطفى خان (3) بزيادة مولود اسمه سليم . وقد استبشر الاسلام بذلك (4) وبعثت البشائر لجميع البلدان . وذلك في رمضان سنة 1175 (5) .

أمر الباشا اهل البلاد بجعل الزينة بالأسواق سبعة أيام يزينون الدكاكين بأنواع الفرش وأنواع التحف . ويجعلون الآلات (6) الفاخرة وأنواع الفرع . ثم وقع التنافس بين اهل الأسواق فبالغوا في الاحتفال وأتوا بضروب الأمتعة الرفيعة من الستائر المذهبة وصفوف الديباج ، وكسوا بذلك الدكاكين والحيطان ، وعلقوا المرايا وقناديل كثيرة وثريات ، واستمر ذلك سبعة أيام بلياليها .

ويقال ان اهل تونس (7) علقوا قناديل الذهب والفضة ، وكسى (8) البيوت المنسوجة بالذهب والفضة ، وأنواع اللعب والامور الغريبة أتوا بها كلها . وتباهوا في نفائس الأطعمة والاستكثار منها في كل ليلة وتعظيم من يأتي اليهم من النظائر (الزائرين) برسم الفرحة . ورتبوا في كل ليلة من انواع الملاهي وآلات الطرب على اختلاف انواعها . وكانوا يستدعون أعيان الناس في كل

ليلة ويبدلون كل نفيس . وصرقوا في ذلك أموالا جلية . وذلك سنة 1175 (9) .

قضية السفينتين النابوليطيتين

ومن اخباره انه كان عدوا للنابوليطان (10) واخذ منهم غنائم عديدة وأسارى كثيرين . وكان بعض المسلمين اسارى عند النابوليطان وقد جعلوهم في زوج غرابات (11) يقذفون (12) ومعهم بعض النصارى من المجرمين . الى يوم من الأيام اتفق النصارى على الهرب فتكلموا مع الاسارى المسلمين واتفقوا ان يهربوا الى مدينة الجزائر فهربوا واتوا بالغرابين .

وصفة الغراب انه مركب يسافر بالمقاديف ، وهي اربعة وعشرون مقدافا ، على كل مقداف اربعة رجال . وليست له قلاع (13) ، وعليه مدافع كبيرة . فاذا راوا مركبا ذهبوا اليه مسرعين (14) ، خصوصا في اليوم الذي لا يكون فيه الريح . وما جعل النصارى هذا الغراب الا لأجل مراكب المسلمين . لكون مراكب المسلمين كثرتها صغيرة في ذلك الزمان ، وكانت تدخل لبر النصارى وتأخذ لهم البزركان من داخل المرسى ويخرجونها ، وترمى الناس في برهم وتغزو على دشورهم (15) وتسبى النساء والذراري . ويقبضون على الرجال ويأتون بهم الى المراكب . ففي بعض الاحيان يفرع اليهم النصارى ، فاذا وجدوهم لا يزالون في البر تقاتلوا معهم ، وبعض الاحيان لا يلحقونهم . ولذلك استنبط النصارى صنع الغرابات . ووقع الضرر منها على المسلمين كثيرا وقد وقعت قتالات للمسلمين مع الاغربة وخصوصا اغربة اهل مالطة .

ولنرجع الى راي (16) نابلى . فلما بلغه خبر المسيرة ، وان المسلمين واهل الجرائم قد هربوا بغرابين الى الجزائر ، اشتد غضبه ، وبعث الى اصطنبول يطلب من الدولة ان تبعث للجزائر ليردوا له الغرابين والنصارى الذين هربوا مع المسلمين ، لكونهم لم يأخذوهم بالقتال فاتفق من راي الدولة (العثمانية) ان بعثوا رجلا من طرفهم يكنى بالقبجي باشي الى علي باشا ليأمره برد الغرابين والنصارى . فسمع (علي باشا) الخبر قبل مجيئه ، فأمر بتكسير الغرابين خطبا . وتعجب الناس من ذلك ، فبعد أيام قدم القبجي باشي وتكلم مع الباشا على اطلاق الغرابين . فقال له انها تكسرت ، واذهب الى الطرسنة (17) لقرى خطبها . وأما النصارى فقد اتونا هاربين ، ثم رجعوا الى بر النصارى حيث أرادوا . ومع ذلك انهم كانوا في الجزائر .

الظلام :

ووقع الظلام ، حتى صار النهار مثل الليل ، وظهرت النجوم .

ذكر بقية أخبار علي باي بن حسين بن علي من أمراء تونس .

كان علي باي ، واخواه محمد باي (بالفتح) ، ومحمود باي ، قدما الجزائر بعد مقتل أبيهم بالقيروان (18) مدة ابراهيم باشا ، والله أعلم في سنة 1153 . فقد قدم محمود بعد أخويه بنحو الستة شهور . وكان ابراهيم باشا ، لها اتوه والتجأوا اليه ، يعظّمهم ويقرب مجلسهم ، ويعرف حقهم . واعتذر لهم عما صدر منه في جانب والدهم حسين بن علي ، من نصرة ابن عمهم علي باشا عليه . ووعدهم بان يأخذ لهم بحقهم ويردهم الى سرير ملكهم . ولم يتهيأ له ذلك الى ان توفي في شهر رمضان سنة 1158 (19) وتولى مكانه ابراهيم خوجة ثم تولى محمد باشا .

ولما توفي محمد باشا ، وتولى علي باشا بوصباغ سنة 68 ، وهو خال حسن باي أرزق عينه (20) ، فارتفعت مكانته عنده ، وعلت منزلته . واستحكمت العداوة بين علي باشا صاحب تونس ، وعلي باشا صاحب الجزائر ، وحسن باي أرزق عينه ، عزم صاحب الجزائر على قصد تونس بالمحطة مع اولاد حسين بن علي الهاربين . وزاد حسن باي في التضييق على يونس (21) .

خرج علي باي من الجزائر الى قسنطينة ليدخل اهل الضواحي من افريقيا وتجتمع عليه الاعراب . فلما استقر بقسنطينة ، لم يلبث حسن باي أرزق عينه ان اصطفى جميع ما كان مع يونس مع الذخائر والاموال والامتعة والحجارة النفيسة التي لا يبلغها الوصف (22) واخرج من كان معه من غلمانة واتباعه ولم يترك معه الا كاتبه ورجلين يخدماته . قال ابن عبد العزيز في تاريخه (23) : فبنى عليه الباب ، وترك به منفدا يدخل اليه ما يحتاج منه ، ثم شرع في بناء بيت بسقيفة داره ، فحصى جدرانها ، وجعله ضيقا جدا واستأذن الامير (24) في نقله اليه فاذن له في ذلك . فلما تم بناؤه نقله اليه وحده ، وطين (25) عليه بابه وجعل فيه منفدا ضيقا يدخل اليه منه طعامه وشرابه ، قال ابن عبد العزيز فكان مولاه علي باي ، كلما دخل دار حسين باي أيام مقامه بقسنطينة ، ومر على ذلك البيت الذي به يونس ، صرف عنه بصره ، وأطرق براسه ، فلم تقع له عليه عين .

ثم خرج حسين باي الى تونس ، وكان ما كان من أمرها حسبما نشرحه
فيما نستقبله . وأنا طالعت تاريخه ، فلما وصل لمحل شرح القضية تركها بياضا
قدر أربع ورقات أو خمس ورقات وكتب في الهامش من الورقة الأولى يقول :
هكذا وجدت هذا الموضع بياضا في نسخة الأصل . والله أعلم أنه ترك هذه
القضية لأمر .

— (وهناك ترك الشريف أحمد الزهار مقدار صفحة بياضا .) —

أهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 — 1169 (1755) : وقع زلزال عنيف بالجزائر دامت هزاته
مدة شهرين : في نوفمبر إلى آخر ديسمبر

2 — 1171 (1757) : كانت مدينة تلمسان شبه مستقلة بأمورها ،
يحكمها القائد رجم بن البجاوي . فبعث علي باشا جيشا أرجع به
المدينة إلى حكم الطاعة . وأوتي بالقائد رجم إلى الجزائر فأعدم .

3 — 1177 (1763) : يوم 13 جاتني ، ثار في المدينة الأسرى
المسيحيون الموجودون بها ، وأحدثوا قلاقل واضطرابات . فأخذ
الجيش جيرة فنتتهم ، وأرجمهم لمعتلاتهم .

4 — خلال تلك السنة في شهري سبتمبر وأكتوبر ، اعتدى
الفرنسيون على سفن جزائرية كانت ببعض المرافئ الفرنسية ، فأمر
علي باشا بوضع كامل الفرنسيين الموجودين بالجزائر ومنهم قنصل
فرنسا في السجن . كما أمر باحتلال مركز القالة الفرنسي ، المعد
لصيد المرجان ثم جاء الاميرال فابري إلى الجزائر ممثلا لفرنسا
وسويت القضية .

5 — كان القاضي الحنفي في أيامه : الشيخ محمد بن سيدي بن
علي . وعائلته لا تزال بالجزائر إلى اليوم . ثم الشيخ حسن
مصطفى . أما القاضي المالكي فكان الشيخ الحاج أحمد الزروق بن
محي الدين ، وعائلته لا تزال موجودة إلى اليوم . ثم الشيخ عبد
القادر بن محمد البراملي .

6 — ومن العلماء الذين توفوا في أيامه : الشيخ محمد بن حواء
المستغامي . وكان من الرجال الكاملين .

له كتاب : شبكة العقيان ، فيمن بمستغاثم وأحوالها من الأعيان .
7 — تولى الإمارة ، في نفس السنة التي يوبع فيها السلطان عثمان
الثالث ، الخامس والعشرون من سلاطين آل عثمان . واستمر
حكمه أيام السلطان مصطفى الثالث .

التطبيق

-
- (1) بلقب بناكسيس وبوصباغ ، لأنه تبارز مع تركي أيام تسببه نقطع أصبعه .
 - (2) 1754 م . في أواخر أيام السلطان محمود الأول العثماني ، وكانت أيام مظنة للدولة العثمانية .
 - (3) وهو السلطان مصطفى الثالث ، السادس والعشرون من سلاطين الدولة العثمانية 1171 — 1187 . (1757 — 1773 م) وكان هذا المولود هو السلطان الثامن والعشرون من السلالة العثمانية ، تحت اسم سليم الثالث 1203 (1789 — 1807 م)
 - (4) بقول حمودة ابن عبد العزيز ، نسي الصفحة 85 من الكتاب الباشي الذي تولى نشره وتصحيحه . أخونا العامل الكبير الأستاذ الشيخ محمد ماضور التونسي ، ما نصه :
« ورد على الحضرة في شهر رمضان من هذه السنة 1175 هـ تبجي باشا ، رسولا من الحضرة الخاقانية بمشرا بولادة ابن لمولانا السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان رحمه الله تعالى ، وأمر بزينة البلاد ، وإطلاق المدافع بثائر ، وذلك لأنه مضت مدة طويلة ولم يولد لآل عثمان ولد ذكر ، حتى وقع الأرجاك بأن نسلهم قد انقطع ، فان السلطان محمود ابن السلطان مصطفى « مات سنة ثمان وستين ولم يعقب . ولم يولد له أصلا . فتولى بعده أخوه السلطان عثمان ومات في سنة اثنين وسبعين . ولم يولد له أيضا ، فتولى بعده ابن عمه السلطان مصطفى هذا ، فلم يولد له الا هذه السنة . »
 - (5) 1761 م .
 - (6) آلات الطرب المعروفة والمستعملة اذاك .
 - (7) وصف ابن عبد العزيز وصفا شيقا هذه الاحتفالات في كتابه المذكور الفا (ص 86 و 87)

(8) أردية من القماش الفاخر كانت توضع داخل الحجرات فوق وحوالي الأبواب والنوافذ وهي قليلة الاستعمال اليوم .

(9) 1761 م

(10) نسبة لمدينة نابولي البحرية التجارية الكبيرة . وكانت قبل التوحيد السياسي اللباني تشكل دولة قوية مهابة في البحر المتوسط .

(11) الفراب نوع من السفن الخفيفة

(12) يستعملون المجاذيف لتحريك السفن

(13) شراع السفينة التي تجري بقوة الريح

(14) من أجل القتال والنهب

(15) قراهم

(16) رأي تمبير عامى محرف عن كلمة « روا » وهو الملك

(17) المرسى الذي تصنع به السفن ، وهو تحريف لكلمة : دار الصناعة : التي هي من وضع العرب .

(18) هذه مأساة من أكبر المآسي التي أصابت تونس الشقيقة أوائل حكم العائلة الحسينية التي انقضت بقيام الجمهورية التونسية . تفصيلها باختصار :

أ - لم يكن لحسين بن علي مؤسس العائلة ولد يرث العرش ، فقدم لولاية العهد ابن أخيه علي باي .

ب - رزق حسين بن علي ولدا بعد ذلك ، سماه محمدا وعهد إليه بالعرش ، وطلب لابن أخيه لقب باشا ، أي مثل الباب العالي بتونس .

ج - ثار علي باشا من جراء ذلك على ميه ، وأشعل نار فتنة ذهباء انعمت فيها أغلب قبائل البلاد التونسية ، وتفرقت البلاد الى حزب « باشي » وحزب « حسيني » وتدخل باي قسنطينة في المعركة ، ناصرًا للباي الشرعي ، الحسين بن علي ، ففر علي الى الصحراء ، ثم ذهب الى الجزائر عن طريق الجنوب ، مستنصرًا بالباشا كرد عبدي . لكن حسين بن علي تمهد لداي الجزائر بدفع عشرة آلاف سكة ذهب كل سنة (السكة نقد وزنه 3 غرام ذهب وتدعى أيضا المحبوب) مقابل ابقاء علي باشا اسيرا لديه .

د - قطع حسين بعد بعض سنوات هذه « الهبة » فأمر ابراهيم باشا بالتدخل لفائدة علي وارجمه قوة واقتدارا لتونس يوم 7 سبتمبر 1735 م ووقعت وقائع مظيعة مؤلمة ، كانت نتيجتها المؤقتة مصرع الباي حسين بن علي ، وقطع رأسه علي يد حفيده يونس بن علي .

هـ - ثار يونس على أبيه « علي باشا » ووقعت مصائب وأهوال تحمل الشعب مغبتها . وتدخل الجزائريون من جديد . وأسروا الطاغية المفسد يونس ، وكان ذلك على يد باي قسنطينة حسن

بلي أزرق عينه ، ودخل الجيش الجزائري ، وأعدم « علي باشا » ونصب بلياً محمداً بن حسين بن علي . الذي اعترف بان بابليك تونس تابع لباشليك الجزائر . ولا ريب أنه قد وقعت خلال هذه الحقبة نظائع وأهوال جعلت نقيب الأشراف ، والمؤرخ ابن عبد العزيز بحجبان عن ذكرها ويتركها مكانها بيضاء .

(19) سنة 1740 (1153) هجرية .

(20) من أشهر بابيات قسنطينة ، وأكثرهم اقبالاً على أعمال الحرب والمغامرات ، وكان عدواً لدوداً لعلي باشا المتغلب على تونس ، ونصيراً وفيها لابناء حسين بن علي ، وخاصة للأمير محمد ولي العهد ، الذي كان عالماً أدبياً فاضلاً تقياً .

(21) الذي كان أسيراً عنده في قسنطينة ، كما سيرد ذكره .

(22) هي من جملة الأموال والذخائر التي نهبها اللغاة أثناء الفتنة من شعب تونس

(23) الكتاب الباشي المذكور سابقاً .

(24) أي علي باشا داي الجزائر .

(25) أي سده بالطين .

ذكر ولاية محمد باشا المجاهد (1)

(1179)

العهد : لما مرض علي باشا الملقب ببوصباع ، نادى وزراءه وجمعهم ، وهم : الخزناجي وآفة العرب ، وخوجة الخيل ، ووكيل الحرج بباب الجهاد ، ووكيل بيت مال المسلمين . وأوصاهم بولاية محمد باشا . بل أولاه ، وأوصاه علي أولاده . وأنه خلف الحاج محمد وأخته وأمهما وهي أم ولد ، علجة من استانبول . وكانت وفاة علي باشا رحمه يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان سنة 1179 (2) .

الولاية : ومن الغد يوم الاثنين قدم الدولتي اعني آفة العسكر ، وكاهيته وكافة الديوان والمفتين ، والقضاة ، ونقيب الأشراف ، وأعيان الناس ، واجتمعوا به بدار الإمارة (3) فجلس محمد باشا على كرسي الملك ، وبإيعه العلماء ، ثم نقيب الأشراف ، ثم الوزراء وكافة الديوان وجميع الناس ، ولبس الخلعة السلطانية ، وأطلقت المدافع ثم انفض الموكب ، وصعد الى بيته بالسراية ، وولى خزناجيا مكانه ، وولى من يستحق الولاية ، وعزل من يستحق العزل .

سيرته : وكان رحمه الله مؤثرا للعدل والإنصاف ، عارفا بقوانين الملك ، ملتزما لاحكام الشريعة المطهرة . وكان يحب الجهاد ، ووقعت في أيامه حروب كثيرة ، ورزقه الله النصر في جميع حروبه ، وسنين كل قتال ، وما وقع في كل معركة .

وكان لباسه ما يستر به جسده ، وطعامه ما يشبع به بطنه ، وفي كل سنة كان يبعث حوائجه (4) للخياط ليرقعها ، ولا يفصل (5) ثوبا الا اذا لم يجد كيف يرقع القديم . ومن عادة الملك ووزرائه انهم يحملون اليطاعات (6) من الذهب وقت اجتماعهم في الحكم مع الأمير ، وحين يذهبون معه للصلاة ،

ووقت انفصال الحكم (7) يذهبون لبيوتهم . لكن هذا الامير كان يحمل يطغانا من الفضة ، ولو ما جرت به العادة ما كان يحمله أصلا .

زواجه : وفي بعض الايام اثار عليه وزراءه بالنكاح ، ورغبوه فيه ، فقال لهم اذا تزوجت يلزمني مال كثير ، لكن انتم اردتم ان أتزوج فخبروني كم يكون صداق الزوجة ؟ فقالوا له : كذا وكذا . فقال لهم هذا شيء قليل في حقي وسكت عنهم . ومن الغد لما اقام بموضع الحكم قرب الخزنة واجتمع الوزراء حوله ، نادى خزندار متاعه (8) فاحضر له مالا كثيرا كان اعده له من قبل ، فامرهم ان يضعه بين ايدي الوزراء ، وقال لهم : انظروا هل هذا يكفي لصداق المرأة التي اتزوجها ؟ قالوا نعم . فقال لهم : ما هو الأفضل هل أتزوج بهذا المال او نضعه في الخزانة (9) ونجاهد به ويكون لنا عوننا في دفع العدو ؟ قالوا له : نظرك أصلح . فامر بالمال فوضع في الخزانة (9) . وبعد ايام تزوج بالعلجة (10) التي خلفها علي باشا ، فباتت عنده ليلة واحدة ، ثم طلقها . وقال : انني تزوجت لكي لا أموت اعزب واحشر شيطاننا .

مناثره العمرانية : وله منائر حسنة . منها بناء عدة أبراج للجهاد : اولها برج سردينية (11) والبرج الجديد ، وبرج رأس عمار ، بناه في قتاله الأخير مع الصبنيول وكان أهل البلاد يذهبون ويخدمون هناك بأنفسهم يبتغون بذلك وجه الله ويرجون ثوابه . وكان للسلف الصالح — ايام هذا الباشا وقبله — رغبة في الجهاد ، وكانوا يسافرون مع البحر مع المراكب الجهادية ويفزون ، ويتفخرون بتلك الفضيلة على بعضهم بعضا . وهذا الباشا هو أول من صنع اللنجور (12) وقاتل به الصبانيول . وقبل صنع اللنجور كانت اليومية (13) تنزل على البلاد وتهدم الديار ، حتى هدمت جامع السيدة (14) بازاء دار الملك .

فمن حسنات هذا الباشا رحمه الله انه اعاد بناء ذلك المسجد العتيق وجدهه أحسن تجديد ، وكسبه (15) بأعراص (16) الرخام الأبيض (17) وكسا حيطانه بالزليج ، حتى لا يرى البياض بداخله الا المنبر (18) وأعراص الرخام .

ومن خيراته انه اتى بماء الحامة للبلاد (19) وبنى له ساقية ، واوقف عليه اوقافا لخدمة مجرى الماء ان فسد ، ولأجرة وكيل الماء وأمر بتفريقه على ابراج باب الجهاد ، وعلى المساجد والقشيل العسكرية ، والميضات للوضوء ، وما بقي فرقه على العيون بزقاق البلاد ، يملأ الناس منه للديار . وهذا الماء كان يأتي من قبل للبلاد ، انما كان ضعيفا .

الإستعداد الحربي : ومن طاعته لله وامثال أوامره ، انه كان يحب الجهاد ، وكان استعداده دائما للحرب وكان مفرما بتجهيز المراكب للغزوات . وفي ايامه كثر الرؤساء في البحر وكانت لمراكبه سمعة ، ومن اكبر رؤساء عصره الحاج محمد قبطان وكان له صيت في البحر . ومما وجد مقيدا في تغرر الرؤساء ان هذا القبطان اتي ياسارى في مدة سفره في البحر (21) ما مجموعه 24000 اسير .

ومن جملة استعداد الباشا انه انشا ثمانية مراكب للغزو وقد سمعت بعض من ادركت من رؤساء البحر العارفين يقول : ان محمد باشا انشا فرقاطة كبيرة ، وبركنتي كبير (24) عليه 24 مدفعا وستة شواطيء (22) .

وركب الحاج محمد قبطان واحدة من هذه الشواطيء وخرج غازيا ، فالتقى مع شبيطة مثلها للنصارى فوق بينهما القتال . والتصق المركبان ، فزدم (23) مسلمون على شبيطة النصارى ، واخذوها بالسيف واستشهد بعض المسلمين ، وغنم الباقون الشبيطة ، واتوا بها للجزائر عام 1184 (24) .

الحرب والصلح مع الدانمارك : (25) لما تولى محمد باشا نقض المهادنة ، وجعل العداوة مع ديل المرك ، فاتوا باحد عشر سفينة وارسوا بلجون ، وبعد ثلاثة ايام ابتدوا يرمون البومية على البلاد ، ولم يصل منها الا شيء قليل . واستمروا على ذلك نحو الاحد عشر يوما ، ولما راوا انهم لا يحصلون على طائل ذهبوا في سخط الله . وبقي المسلمون ياخذون لهم القنائم الى العام القابل حتى رجعوا وطلبوا الصلح . فلم يرض الباشا بالصلح معهم الا بمشقة كبيرة . واشترط عليهم شروطا ، منسها ثمن الصلح ، ومحروف القيرة (26) ومقداره زوج ملايين ونصف مليون دورو (27) . ومنها انهم يدفعون الغرامة كل سنة . فقالوا ان بلادهم بعيدة ، لكنهم يدفعون كل سنتين وعندما ياتون بالغرامة يدفعون العوائد لكافة رجال الدولة ورؤساء المراكب وكبراء الطرسنة (28) فرضوا بذلك ، ووقعت المهادنة وانزلوا القنصل . وضربوا المدافع وبعد ثلاثة ايام دفعوا مال الصلح ودفعوا فدية اساراهم وحملوهم لمراكبهم . ودفعوا العوائد لمستحقيها . وذهبوا لبلادهم . اما الصبانيول والنابولطان (29) وغيرهم ، فلا زالوا باقين على العداوة .

الحرب الاولى مع اسبانيا : لما تغلب الاصبانيول في السالف على الاندلس ، وتمكنوا من جميع بلادهم كما هو مسطور في كتب المؤرخين ، كانت لهذا الجنس عداوة مع جميع المسلمين . وله قوة ومراكب فانتقل الى بر

المغرب وأخذ وهران من يد بقية بني زيان ملوك تلمسان ، وكان قبل ذلك اخذ بجاية ثم أخرجه منها ملوك الترك . وبقيت وهران بيده الى ان أخرجه منها الباي محمد سنة 1205 في أيام حسن باشا (وهو خلف صاحب الترجمة) (30) .

وكان محمد باشا من حين ولايته ، لا يفتر عن بعث المراكب لغزو الاسبانيول ، فترجع بالفنائم ويرمي السرية في أرضه فتسبى النساء والذراري والصبيان . فلما أكثر عليهم المسلمون بأخذ مراكبهم وبالسرايا في أرضهم ، أمرهم كبيرهم راى (31) الكارنوا بان يرحلوا عن ساحل البحر الى دواخل البلاد فرحل أهل الشطوط (32) من البوادي ، لكن المسلمين (33) صاروا يذهبون اليهم . ويقبضون لهم أكثر من السالف ، حتى اجتمع من اسارى الصبانيول في الجزائر ما يزيد على العشرة آلاف خلاف الاسرى من بقية الأجناس ، وقد اجتمع من الاسارى في هذه المدة ثمانية عشر الفا .

بقي الامر كذلك الى سنة 1184 ، حيث جاء الاصبانيول بعمارة فيها خمسمائة مركب ، وبقي ثلاثة أيام في البحر ، وفي اليوم الرابع انزل عشرين الف عسكري في موضع يقال له الحراش بينه وبين البلاد (34) مسيرة ساعة ونصف . وبعض العسكر دخل للبساتين وأخذ العنب ، وانزل الاصبانيول آلات حربهم وبنوا المتارز (35) وتحصنوا بها . وبقوا ثلاثة أيام وهم يحاربون داخل المتارز ولم يقدر احد ان يتقدم اليهم . ولم يتالموا في هذا القتال الا من جهة واحدة وهي المقابلة لهم من ناحية الغرب ، فكانت هنالك طبانة (36) تدعى خنيس ، وبها رجل اسمه عمر ، ويعرف برامقسيس ، أدار مدفعين الى ناحية الصبانيول ، ولم يكن في الطبانة فرجات للمدافع من تلك الناحية ، فاطلق المدفعين على الحائط ، وحدث به فرجة تجاه الاصبانيول ، وأخذ يرميهم بالمدفعين . وكان رحمه الله عارفا بحرب المدافع ، قياسا .

وفي اليوم الرابع ، صبيحة يوم الاثنين ، جاء صالح باي (37) قسنطينة من ناحية الواد (38) وقدم امام الاصبانيول الآلوف من الابل (39) ، فلما قربت من المتارز ابتداء القتال . وفي ذلك الحين جاء العسكر ، وأهل البلاد ، ومعهم الخزناجي من جهة الغرب ، ومن جهة الجنوب كان خليفة باي وهران الآغا وخوجة الخيل باعرايهم . وفي الوقت الذي تقدم فيه صالح باي الى العدو ، رأى الناس نورا مثل البرق على المتارز الاصبانيولية ونزل بعده مطر ، واستمر ذلك النور فرآه جميع الناس ، حتى النسوة في البلاد من فوق السطوح .

حمل صالح باي اولا بقومه وعسكره على المتارز ، ثم لحقه الناس من كل
التواحي ، فحملوا حملة رجل واحد ، واعلنوا كلمة التوحيد ، وارتفعت
الاصوات بالتهليل فتزلزلت الجبال لحملتهم ودخلوا المتارز ، فوجدوا اغلب
النصارى ملقين على الارض بدون رؤوس ، والدم يفور منهم ، ولحقوا
الهربين منهم الى البحر ، لان بين البحر وبينهم نصف ميل . فقتلوا من لحقوه ،
وهرب من هرب في الزوارق الى مراكبهم ، واخذ المسلمون ما ترك الاصبانيول
في المتارز : نحو مائة مدفع وجميع آلات الحرب واستغنى الناس في ذلك
اليوم مما جمعوه من اثاث ودراهم ، وساعات وحوائج اخرى شيء
لا يحصى . ولحقت البشائر لمولانا محمد باشا رحمه الله ، وقد قعد عند
بلب دار الملك في مكان كبير النوباتجية (41) ومعه خزنداره ، ومما ليكه وهم
يفرقون الاموال باذنه فاعطى لاصحاب رؤوس النصارى الاول : مائة
سلطاني (41) على كل رأس . وجاء اصحاب المدافع بالمدافع ، فمدفع ياتي
به اربعة رجال ، ومدفع ياتي به ستة ومدفع ياتي به ثمانية ، وهكذا الى ان
اتوه بجميع المدافع . واما رؤوس النصارى فلما كثرت وضاق بها الارض
عند باب دار الملك ، امر من يخرجها الى باب الواد ، واستمر يعطي الناس
ثن الرؤوس ذلك اليوم كله . فاصحاب الرؤوس يضعونها وياخذون حقها
ويمضون ، واناس آخرون يخرجون تلك الرؤوس الى باب الواد واستبشر
الناس بهذا النصر العظيم . وهذا مصداق قوله تعالى : « وكان حقا علينا
نصر المؤمنين » وحققة الايمان كانت في ذلك الوقت لازالت موجودة ...

ولما قدم الاصبانيول وشاهد الناس عمارته ، بحيث غاب البحر لكثرة
المراكب ، دهش الناس وقالوا ما لنا منجي ولا ملجأ الا الله ، وهذا شيء
لا نكاد نقدر عليه . ومالنا الا الصبر والدعاء . فقرؤا البخاري وختموه ،
وتضرعوا لله ، ثم صبروا وثبتوا حتى نصرهم الله .

اقامت بعد ذلك مراكب الاصبانيول ثلاثة ايام ، ثم سافروا بعدما رفعوا
فوق سفنهم بنديرة (42) سوداء . وكان ذلك سنة 1184 (43) ، وعندما
ذهبوا ، سافرت المراكب الجهادية في اثرهم ، وغنموا منهم ، واتوا باسارى ،
وكانت الغنائم تباع بباب استان . فيقع للتجار ربح قوي وكان لاهل البلاد
مراكب يسمونها كراك (44) يغزون بها ويأتون كذلك بالغنائم .

وكان السماسرة ينادون على الاسارى . وقيمة كل اسير مايتا دورو ،
فكان الناس يملكونهم مدة ما اقاموا اسارى ، فاذا اتى الفداء يفتدونهم بالف
دورو لكل رأس .

اخضاع اهل جبل فليسة (45) : وقع قبل هذه الحوادث (46) . وكانوا اناسا جهلة لا يعرفون من الاسلام الا الشهادتين ، وكان فيهم من يتبع الكتاب والسنة ، وكانوا من جملة الجاهلية ، يقتل بعضهم بعضا ويقطعون الطرقات على المسافرين ، ويذهبون الى متيجة (47) في الليل ويسرقون ، ويذهبون الى جبالهم ويبييعون للسواقين (48) ما عندهم . والذي ذهبت له ضالته ، يذهب للوقاف بجبلهم ويشتريها منه . ويمنعون البنات من الارث . ومن مات منهم فان اخاه او ابن عمه يرث زوجته ، وان لم تكن له بها حاجة ، فانه يزوجه من رجل آخر ، وياخذ منه صداقتها ، بدل الصداق الذي اخذته من اخيه او ابن عمه ، فكانوا لا يخافون الله ، ولا يخشون الأمير ، مانعين الزكاة والأعشار . بعث اليهم الأمير محطة عام 1181 ، ومقاتلهم ، فهزموا المحطة الأولى والثانية الى أن بعث لهم سبعة أمحال (49) واحدة فواحدة ، فصعد الجند لبعض جبلهم ومات خلق كثير من الجانبين . فعند ذلك طلبوا الامان من الأمير ، وادعوا التوبة من صنيعهم ، وتعهدوا بدفع الزكاة والأعشار كل سنة . فجعل الأمير لهم اشياخا ورجعت الامحال .

خروج المراكب الاسلامية ، مددا لاستامبول

بعث السلطان مصطفى (50) بن السلطان أحمد العثماني رحمه الله ، بطلب المراكب الجهادية الاسلامية من الجزائر الى استامبول . وطلب كذلك مراكب تونس . وذلك سنة 1183 (51) . فامتل مولانا الباشا لأمر السلطان وأمر ايده الله باصلاح خمسة مراكب ، وأعطاهما ما تحتاجه وتوجهت مصحوبة بالسلامة والظفر والتأييد . وكان القبطان عليها ابن يونس رحمه الله . فاقاموا هنالك خمسة اعوام . ثم رجعوا للجزائر . وكان رجوعهم بفضل قبطان باشا (52) في ذلك الوقت وهو حسن باشا الجزائري .

كان هذا الباشا في السلف بايا لوهران ، ووقعت له واقعة مع دالي ابراهيم آغا ، شقيق علي باشا والي الجزائر السالف ، سببها حسان أراد ان ياخذه دالي ابراهيم من حسن باي فاعتذر هذا عن اهدائه لشقيق الباشا ، ولم ينفعه اي اعتذار ، فقال حسن باي لدالي ابراهيم : اسمع لي ان اذهب على حصاني هذا لوهران ، وعند وصولي أرسله لك . فلما وصل الى وهران وكان قد اغتاط غيظا شديدا ، ظهر له انه لا يعطى الحصان ، ولو كان ما كان . فبعث له الأغا عليه ، واشتدت العداوة بينهما ، فاكترى مركبا ، ووسق عليه جميع ما عنده ، وحمل الفرس الذي وقعت عليه العداوة ، وسافر الى استامبول .

فلما فقدته عماله في وهران كتبوا للباشا وأخبروه بهرب الباي ، فأولى بباي مكانه ، وعندما ظهر خبره في استامبول ، بعثوا بأثره شاكين منه للسلطان بأنه حمل معه مالا كثيرا من أموال البايليك . فإظهر للسلطان تذاكر الحساب ، وقد صادف أن كان هروبه اثر دفعه للزمة (53) الواجبة عليه حين قدومه للجزائر ، وقد كان من عادة البابا لار (54) انهم كانوا يدنشون (55) كل ثلاثة أعوام فيدفعون للزمة وياخذون تذاكر الخلاص . فلما رأى السلطان التذاكر ، وظهر حق الباي ، صرف الرسل ، وأقام حسن باي هناك الى ان اولاه السلطان منصب قبطان باشا (56) فلما جاء فصل الشتاء ، سرح المراكب الجهادية ، لأنها اقامت خمسة أعوام ، على ان تقضي فصل الشتاء بالجزائر ، وترجع في الصيف .

سفر الدونامية (57) الثانية : ولما جاء الصيف ، امر مولانا الباشا بتجهيز خمسة مراكب ، واعطاها ما تحتاجه ، وكان القبطان عليها هو الحاج محمد رايس رحمه الله . وتوجهت في حفظ الله . فلما وصلت جزيرة كريت (58) لم تجد قبطان باشا ولم تلحق به ، والسبب في هذا هو كثرة العدو ، وهم كانوا خمسة مراكب فقط ، فاقاموا هناك ستة أشهر ، ثم رجعوا للجزائر .

الدونامية الثالثة واعمالها : توفى السلطان مصطفى ، وتولى بعده اخوه السلطان عبد الحميد سنة 1187 فارسل الباشا الدونامية الثالثة مؤلفة من خمسة مراكب ، والقبطان عليها هو الحاج سليمان رحمه الله . فلما وصلوا للجزر (59) والتقوا مع مراكب يونانية تدعى اللنبرو ، فهما وجدوا مركبا منها اخذوه وقتلوا اناسه ، وحملوا ما فيه من المتساع الجيد واغرقوه بما بقي فيه (60) وكان السلطان قد بعث لهم مراكبه مرارا فلم يظفر بهم ، الى ان نفذ الله وعده فيهم ، فالتقوا مع مراكبنا قرب سيرا ، وكان كبيرهم في فركاطة ، فتقاتلوا مع المسلمين ، وكان الرايس صالح رحمه الله في الشبيطة الكبيرة ، فلما اقترب من الفركاطة اليونانية التصق بها ، وحمل المسلمون بالسيوف على من بالفركاطة فهرب الكريك (61) وقتل من قتل منهم ، وأخذ المسلمون الفركاطة .

فلما رأى اليونانيون ان كبيرهم اخذ ، وكانوا بعيدا عنه ، ورأوا مراكب المسلمين في اثرهم هربوا ، والمسلمون في اثرهم الى ان حرثت (62) مراكب اليونان في البر قرب سيرا ، فلما رأى المسلمون ذلك بعثوا الزوارق واحرقوا مراكب اليونان . وكانت هذه المراكب قد اهلكت منذ زمن طويل جميع الناس ،

فكانت مراكب التجار لا تسافر الا مع الكنبري (63) سواء من الاسكندرية أو من ازمير . فأراح الله منها البلاد والعباد .

ثم ان المراكب الجزائرية سارت الى استامبول ، فلما وصلت الى بوغار ثنا قلعة (64) ، أخبروا السلطان عبد الحميد بقدمهم وبما فعلوا ، ففرح السلطان رحمه الله بذلك ، وأمر بطلوهم الى استامبول ، فلما طلعا واقتربوا من البلاد صلبوا جميع الكرايك الربنطوط (65) على الصواري واللنطاط في المراكب الجزائرية والفركاطة المغنومة ، ورفعوا الصناجق ، واخذوا يضربون المدافع من كل مركب يمينا ويسارا ، الى ان ارسوا .
قيل ان السلطان رحمه الله هو الذي أوصى القبطان بان يفعل بالزبنطوط كذلك ، وقيل ان بعض رجال الدولة اغتاظ من اخذهم ، فبعث للقبطان يستوصي بهم خيرا ، فاغتاظ القبطان لذلك لانهم كانوا اذية للناس ففرقهم على المراكب وأمر بصلبهم . فجزى الله المسلمين بنعيم الجنة ورضوانه لانهم بذلوا انفسهم في الحرب مع هؤلاء الكرايك الذين كانوا أقوى منهم عدة وعددا .

ولما وصلوا لاستامبول وسمع المسلمون بهذه الغازية وبما فعلوا بالكرايك من تصلبهم ، استبشر المسلمون ، وتنفك المناقون ، وخرج كافة الناس لرؤية المراكب الجزائرية ، واليونان المصلوبين وكسان ذلك اليوم عند أهل استامبول كأنه يوم عيد ، وموسم جديد ، وكافة الناس يدعون للجزائريين بالنصر .

وقد كان الموسكو (66) قد اشتد بأسه على المسلمين . فلما راوا الفتح الذي فتح لله به على يد الجزائريين (67) قالوا : ان شاء الله ، يكون النصر للسلطان هذه السنة بفضل هؤلاء المجاهدين . ومن الفد اعطاهم السلطان قناقا (67) نزلوا فيه . ومن فرحه يقدمهم اعطاهم الخرج الكبير ، والحرمة العظيمة حتى لاقل الناس من أهل الجزائر .

فلما اقاموا أياما واستراحوا ، وآن وقت السفر لقرّة دنيز (69) بدل لهم السلطان مراكبهم ، وأعطاهم الفراكت والسفن ، وتركوا مراكبهم هناك ، وسافروا مع الدونانمة السلطانية الى قرّة دنيز ، فتلاقوا مع العدو (70) ووقع بينهم قتال عظيم يرضي الله والرسول . ثم بلغهم بعد أيام ان الأرمدة (71) الروسية دخلت الى مرسى جنكلة ، فدخلوا عليها هنالك وأحرقوها ، ولما رجعوا لاستامبول ، وقع الصلح بين السلطان والموسكو وذلك في جمادي الثانية 1188 (72) فوضعت الحرب أوزارها وانقضى أمر الفتنة التي سهرت لها العيون ، وشابت منها النواصي ، وتصدعت لها القلوب ، وطال عهد

الاسلام يمثلها . عندئذ اقلعت المراكب بعد اجتماعها كلها الى البوغاز (73) ، فصادفوا مركبا للمحاربين من الكريك فاخذوه ودخلوا البوغاز ، واهدوا الأسارى الى قبطان باشا ، وتقاسموا باقي الغنيمة . ثم أحسن اليهم مولانا السلطان عبد الحميد ، ومن كرمه رحمه الله ، انه أعطاهم فركاطة ، وكرفيط ، ومركب آخر لا أعرف اسمه ، فلما بلغوا موضعا يقال له القرات بين المنستير والمهدية بالبلاد التونسية ، حرثسوا هناك ، فاما الفركاطة فتكسرت ، واما بقية المراكب فقد خلصوها ، وحملوا فيها مدافع الفركاطة وجميع ما كان فيها من آلات الحرب ، وكان رجوعهم في آخر تلك السنة . 1188 .

الجوع : بعد ذهاب الاصبانيول في المرة الاخيرة سنة 1184 ، وقع الفلاء في القمح مدة ست سنوات ، واعطى الله القحط ، وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع الجزائري (74) اربيع بجة (75) والناس يموتون جوعا في الأسواق قالوا ان الرجل كان يأكل مقدار ما يأكل الرجلان ولا يشبع وبعد الأكل يموت وهو يقول : جعت . اعاذنا الله من هذا الداء لانه ليس له دواء ، وسمعت من بعض من اتق به من الشيوخ الذين حضروا هذه المجاعة قالوا : ان القمح كان قليلا ، لا اتذكر هل قالوا ان ذلك كان من قلة المطر ، او من كثرة المطر . وترادفت السنين بذلك ، واما اللحم ، والسمن والرز فكان خيرا كثيرا ، وفيها الرفق في الأسعار . واما القمح كما قلنا فهو بارب بجة للصاع ، وهو مقدار دورو ونصف اسبانية في ذلك الوقت ظهر لهم الدورو ونصف مقدارا كبيرا . اما هذا الوقت فالدورو ونصف كلا شيء . وقد حضرت انا سنوات الفلاء ، فوصل القمح عندنا في الجزائر سنة 1219 (76) وكنت صغيرا دون البلوغ ، بخمسة عشر بجة ، وهي خمسة دورو للصاع الجزائري فلم يعده الناس غلاء ، ولم يمت أحد ، وذلك لكثرة وجود الدراهم بين أيدي الناس .

الحرب الثانية مع اسبانيا : لما كانت سنة 1197 (77) قدم الاصبانيول للمرة الثانية ، مثل المرة الاولى وأرسوا في الجون بعيدا عن مرمى الكور ، واتوا بزوارق كبيرة بعضها بالمدافع وبعضها بالمهارس (78) لرمي البومبة . وبعد ثلاثة أيام بعثوا الزوارق المذكورة واسمها « اللنجور » لقرب البلاد وصاروا يرمون البومبة ، وفي ذلك اليوم تهدم الجامع الذي بناه محمد باشا وهو جامع السيدة (79) وقد تسمى على اسم التي بنته وهي بنت مولاي الناصري ملك بجاية . ولعله كانت هناك قرية ولم تكن بها مسجد ، فبنته

للخطبة ، وكان مأكيا فلما بنيت البلاد وجمعت تلك القرى ، ووضعت دار الامارة (80) بازائه ، جعلوا له اماما حنфия .

لما بدا الاصبانيول الحرب بعث مولانا الباشا الى الحاج محمد القبطان ، وقال له : ماذا تفعل مع هذا اللنجور الذي اوقع في البلاد هدماء كبيرا ؟ فظهر للحاج محمد القبطان ، ان يعمر زوارق كبيرة كان فيها الجير المعد للبناء ، ويجعل فيها مدافع ، وعندما يقدم العدو باللنجور يقاتله بها . واذن له الباشا بذلك . فخرج من عنده الى باب الجهاد وعمر تلك الزوارق في الليل بالمدافع ، ولما اصبح الله بخير الصباح ، تقدم العدو كاول مرة فخرج اليه المسلمون من المرسى على تلك الزوارق ، وقاتلوه ، ورزقهم الله النصر عليه ، فولى العدو الأدبار وتقدم في اليوم الثالث كذلك ، ولم يحصل على طائل وذهب في اليوم الرابع .

الاستعداد للحرب الثالثة : لقد سمعت ممن حضر ذلك الوقت ، ان الاصبانيول تكسر لهم لنجور من الذي كانوا يقاتلون به ، وجده المسلمون في عين الربط في رملة هنالك ، وسمع بذلك القبطان المذكور ، فارسل اليه معلم السفائن فعاينه ، واخذ قلبه ، ثم التقى القبطان مع الامير ، واتفقوا على ان يجعلوا من ذلك الصنف نحو خمسمائة لنجور فامروا كبير الطرسنة ، ويقال له وكيل الحرج ، ان يباشر صنع ذلك ، فصنع العدد الذي اوصى به مولانا رحمه الله ، واوجدوه قبل تمام السنة . وقبل انهم اوجدوا اقل من ذلك المقدار . وكان النجارون من اهل البلاد يعملون مع نجاري الطرسنة وشاعت الاخبار عند الناس ان الاصبانيول راجعون لا محالة ، فتكلم الوزراء فيما بينهم وقالوا : ان هذا الخبر قد فشا عند الناس عامة ، والامير ساكت لا يتكلم عنه ، فاتفقوا انهم يوم الجمعة قبل الصلاة يجتمعون به ويتكلمون معه . وكان من عادتهم انهم يوم الجمعة قبل الصلاة يجتمعون معه ويتكلمون في الامور . فلما اجتمعوا به يوم الجمعة قال له الخزناجي : اننا سمعنا كذا وكذا ورايناك لا تتكلم على هذا ، فهل عندك خبر به ام لا ؟ فقال لهم : ان الخبر ياتيني عن الرجل اذا قلب في فراشه فكيف بهذا وسكت عنهم .

ولما تمت السنة ، واتاه خبر خروج العمارة من بلاد الاصبانيول ، بعث الى القبطان الحاج محمد واخبره بخروج العمارة من قرطاجنة ، وقال له ما المفعول الآن ؟ فقال له : لا بأس علينا بحول الله ، وامرنا كله ناجز ، لكن اطلق المسجونين عندك ، فقال له : ومن هو المسجون عندي ؟ قال : افتح خزائنك . فقال له اذهب وافعل ما تريد والمال بيدك . فقال : الان تحققت

اننا ان شاء الله نهزم عدونا ، وذهب القبطان وعمر سفن اللنجور ، ووضع العسة في جميع الأبراج .

الحرب الثالثة والأخيرة مع اسبانيا : فلما قدم الاصبانيول للمرة الثالثة سنة 1198 (82) ارسى مراكبه ، ومكث ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع بعث اللنجور للقتال ، فخرج اليه المسلمون وتلقوه باللنجور كذلك ، وتقاتلوا معه باللنجور ومن الأبراج التي تصل منها الكورة ، مقدار ساعتين وكان الحاج محمد القبطان رحمه الله معهم أثناء القتال في زورق ، ومعه زوارق صغار من غير مدافع تدعي « الشكايف » يرسلها القبطان وقت القتال . أما للتقدم ، أو للتأخر ، أو لتحمل الناس اذا تكسر مركب ، ولتجر اللنجور الذي يمقط . والقبطان دائما امام اللنجور دخولا وخروجا وكذلك وقت القتال .

فلما نزل المسلمون للمرسى انزلوا المجروحين لموضع الأطباء ، ليجعلوا لهم الدواء ، او ليقطعوا الايدي والارجل التي استحقت القطع ، ويدفن الأموات ، ثم يعطي القبطان سلطانيا ذهبيا لكل رجل . وكان القتال صباحا ومساء . ويقيمون كل يوم هكذا مدة القتال . وعندما يأتي وقت الخروج لملاقاة العدو ، تجد الناس يزدحمون على الركوب معهم (83) ولا يصل لذلك الا الرجل الشجاع . وقد سمعت من أحد الحاضرين ، أنه وقت الخروج لملاقاة العدو ، يصلي الناس صلاة الجنائز على الخارجين للحرب ، ويضج الناس بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . ويخرج المجاهدون تصحبهم آلات الطرب والجواق (84) كانهم خارجون للنزهة ، وهم مع ذلك يرون في كل قتال الأموات والمجروحين ومقطوعي اليدين والرجلين ، ومن هو اعور العين أو معدوم العينين ، وهم مع ذلك لا يلتفتون الى ذلك ولا يتغوشون (85) منه . واقام الأسطول على ذلك أياما ، وتأكد له انه لا طاقة له على الجزائر . فذهب .

كيف تم الصلح مع اسبانيا : اثناء ذلك القتال ، أمر حسن وكيل الحرج الذي أصبح بعد صاحب الترجمة دايا على الجزائر بأن يأمر القبطان باعطاء ربع سلطاني في اليوم الواحد بدل سلطاني كامل للبحرية الذين يقذفون (86) فقال هؤلاء كيف كنتم تعطون سلطانيا كاملا ثم صار ربع سلطاني في اليوم ؟ ثم سكتوا . فلما راوا العدو قبل وصولهم لموضع المعركة ، وزاد في التقدم كثيرا وضار يرمي البومبة على البلاد ، خصوصا على دار الامارة ، كأنه كان يعرفها واقتضى من رأى الخزناجي وغيره ان يحملوا الباشا للقصابة ، فنقلوه اليها ، وبعد ان التقى الجمعان ووقع القتال وانترقوا ، فرجع الاصبانيول لمراكبهم

والمسلمون للمرسى ، قال رجال البحر للجذافين لماذا تاخرتم حتى صار هذا الأمر ؟ قالوا لهم : هذا هو قتال الربيع سلطاني ! ومن الغد اعطوهم السلطاني كاملا ، كاول مرة فخرجوا بنشاط ، ولم تصل البومبة للبلاد .

والسبب في هذا الأمر هو ان حسن وكيل الحرج المذكور سالفا ، كان أرسله محمد باشا ، وأرسل معه الباشكطاش ، اي الهدية لجلالة السلطان في استانبول ، فلما كان أثناء الطريق لحقه بعض مراكب الاصبانيول وطلعوا للمركب الذي هو فيه ، وكان مركبا لجنس آخر من النصارى ، وتكلموا معه على ان يتوسط لهم في الصلح ، واتهمه الناس ، وقالوا انه اخذ من الاصبانيول مالا جزيلا وقالوا أنهم اهدوا اليه صورة شاة صوفها كله جوهر ، ورأسها وقوائمها كلها حجارة كريمة ، وتكلم الناس كثيرا في هذا المعنى .

فلما رجع حسن وكيل الحرج من استانبول ، خاطب مولانا الباشا في الصلح ، فكان يقول : لا اصالحهم ما دمت حيا ، وبقي الأمر كذلك الى ان جاء الاصبانيول في المرة الثالثة ووقع تنقيص الدراهم لاصحاب اللنجور ، ووقع ما سلف ذكره من ضرب دار الإمارة ونقل الأمير للقصة كان كل ذلك بقصد التأثير عليه لقبول الصلح ، وتم الأمر كذلك .

فلما كانت سنة 1199 (87) اتى الاصبانيول للصلح ، وأتوا معهم بالأسارى الذين عندهم وابدلوهم بالنصارى الأسارى . أما الأسرى الباقين من الاصبانيول ، فدفع عنهم ألف دورو على الرأس . وكذلك دفع لأهل البلاد قيمة الأسارى الذين بأيديهم الف دورو لكل رأس . وحمل الأسارى ووقع بينهم الصلح على مائة سنة . وذلك في البحر فقط . أما في البر من جهة وهران فلم يقع الصلح الى ان فتح الله على المسلمين في اول ولاية حسن باشا ، خلف صاحب الترجمة . ودفع الاصبانيول ثمن الصلح وغرامة مائة سنة سلفا وانزلوا القنصل . ودفعوا العوائد . وقد سمعت ممن حضر ساعة نزول المال قال : رأيت بمرسى الفلايك ساعة نزول صناديق المال ، كانوا يضعون الواحد منها فوق الآخر على مسافة كبيرة حتى امتلأت الرحبة التي هنالك ، وصارت الصناديق فوق بعضها بعضا متساوية مع سطوح المخازن على مرتين أو ثلاث مرات . وأهل القيروانة نحو أربعمائة أسير خلاف البسكرة الحماليين كانوا يحملون ذلك مدة ثلاثة أيام من الصبح الى الليل . وقد تعمرت بذلك المال الخزانة الأولى والثانية ، ووضعوا منه في الثالثة ، هذا خلاف ما دفع عن الأسارى لأهل البلاد . وتكاتبوا على الصلح ، واطلقوا المدافع من السفن ، واجابوهم من الأبراج واطفا الله نار تلك الفتنة ، ووضعت الحرب أوزارها ،

وحينئذ اقلعت مراكب الاصبانيول وذهبت فله الحمد والشكر على خلاص المسلمين الاسارى الذين كانوا عند الاصبانيول .

فكر قدوم البابا لار بعد الثلاثة اعوام

ترتب الفئوس : كان للاتراك بارض الجزائر ثلاثة بايات : باي وهران وباي قسنطينة ، وباي المدينة . وهم مرتبون على حسب فتوحات الاتراك الاوائل . فاول فتوحهم كان ناحية تيطرى ، فاولوا هنالك بايا ويسمونه بساي البليت (88) واسكنوه المدينة ، وجعلوا له خليفة واعوانا واغوات : آغا لدوائر . وهم من الاعراب ، وآغا الصبايحية وهم من الاتراك .

ثم لما فتحوا ناحية الغرب ، تلمسان واحوازاها ، ومعسكر ونواحيها ، والقلعة ومستغانم وما جاورها ، جعلوا في معسكر بايا يسمونه باي الغرب . واخيرا فتحوا الناحية الشرقية ، ونصبوا فيها بايا ويسمونه باي الشرق ، وكانت قسنطينة بيد ملوك تونس (89) فلما رجعت لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها ، فكان هذا الباي هو اصفر البايات في التقديم . واما من حيث القوة ووفرة الرعية فلا يضاهيه باي تيطرى وباي الغرب . ولزمته (90) لا تعدلها لزمتهما .

ثم بنى الاتراك برجا في سباو ، قرب زواويت ، وجعلوا فيه قائدا ، ولم يسموه بايا . وكان هؤلاء البايات يدشنون كل ثلاث سنسوات ، وخلفاؤهم يدشنون مرتين كل سنة وعندما يدشن البايات ، لا يدشن خلفاؤهم .

فكان قدوم باي تيطرى ، وباي الشرق ، وقائد سباو ، يقع في الربيع كل ثلاث سنسوات وقدوم باي الغرب يقع كذلك في الخريف ، ولم يكن لقائد سباو خليفة مثل البايات .

استخلاص الضرائب : الخطفاء ياتون في آخر الربيع ، فيخرجون معهم الامحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والاعشار . وهكذا وضع الاوائل الجباية على المنهج الشرعي والواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب اموال المسلمين . وما وقع هذا ، حتى صار الناس فجارا والامراء ظالمين .

فاما محطة الغرب فتخرج في ابريل وتقيم اربعة شهور . ومحطة تيطرى تخرج في الصيف وتتم ثلاثة شهور . ومحطة الشرق تخرج في اليوم الاول

من الصيف وتقيم ستة شهور . وأما قايد سباو فلا محطة له وأن وقع عصيان في رعيته تاتيه محطة مخصوصة يقضي بها مآربه مع الباغي وترجع . وليس ذلك كل سنة .

بين البايات والأمير : وكل باي من البايات له في مدينة الجزائر وكيل كاتب وله دكان (91) قرب دار الملك يقيمون فيه . فإذا جاء السيار من عند الباي للجزائر فانه ينزل عند الوكيل بالدكان ، ويدفع للوكيل المكاتب التي جاء بها . فيقرأ الوكيل الكتاب ويطلع على ما فيه ليعرف كيف يتكلم مع الأمير . وبعد ذلك يحمل الكتاب الى الأمير ومعه اليسار . فحين يدخلون على الأمير يسلم له الوكيل الكتاب ويقف . فيأذن لهما بالجلوس . فإذا جلسا يسألهما عن الباي فيبلغان له سلامه . وإذا كان عندهما أمر يتكلمون فيه . فيأتون لهم بالقهوة ، فإذا شربوا وانتهى الحديث سلما عليه وخرجا . وبعد خروج الوكيل من عند الأمير ، يسلم المكاتب التي باسم الوزراء ، والسيار ببیت بدار الملك .

دنوش باي الغرب : لما وقعت المهادنة مع الاصبانيول كما ذكرنا جاء وقت الدنوش . فقدم الباي محمد باي ، وجاء معه بتحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد والمصوغ ، والأثاث الفاخر . فخرج من مقر أمارته معسكر ومعه جيش كبير من اتباعه وكبراء النجوع (92) وقواد وأغوات راكبين الخيل المسومة ذات السروج الذهبية ، وعليهم لباسهم الفاخر ، ومع الباي خزانته المقومة (93) .

خرج من معسكر وقومه يلعبون بالسلاح بين يديه ، ويضربون البارود ، والصناجق ترفرف والطبول تدق حوله . الى ان وصلوا موطن المبيت فنصبوا خيامهم وبنوا فساطينهم الملونة ، وباتوا ليلتهم على اكل وشرب ، وهم في فرح ومرح ، لقرب لقاء المولى الأمير . فلما أصبح الله بخير وقاموا بفريضة الصبح ، ركبوا وساروا وهم يلعبون ويضربون البارود ، والناس تتلقاهم بالهدايا للباي وهو يكافئهم على حسب المقامات . فمن كان يستحق الخيل اهداه الخيل ، ومن كان يستحق العبيد ، يعطيه الاماء والعبيد الصغار ، ومن كانوا يستحقون اللباس يعطيهم البرانس الزغداني (94) والحياك الحمر صنعة تلمسان . وكان بعض الأحيان يغطي الخيل والعبيد والكسوة لذوي الأقدار من الأشراف ، ومن له قرب بالمخزن (95) ويلاقيه الفقراء من المعسكر وغيرهم ، وأغلبهم من الأتراك وكل يوم يتزايد عددهم ولا يتخفون عنه . وكل يوم عندما يصل لجهة المبيت يوزع عليهم الدراهم فمنهم من يأخذ ريالاً ،

ومنهم من يأخذ ريالين ، وهكذا كل يوم حتى يصل للجزائر ، وخصوصا عندما تكون بينه وبين الجزائر مرحلتان أو ثلاثة ، فانه يجتمع عليه خلق كثرة للطمع . ويرسل عندما يقترب من المدينة باش سيار ويأخذ كتاب اللبasha يستأذنه في الدخول ، فيرد له ويأذنه في الدخول ، ويعين له اليوم الذي يدخل فيه .

عندئذ يخرج القائد آغا العرب ، وهو الوزير الثاني للباشا ، ومعه قومه وقواده وصناجقة وطبوله ، ويلتقي الجمعان في موضع يقال له : بوفاريك ، بين البليدة والجزائر . فينزل الباي والآغا في موضع قبل بوفاريك يسمى « عيون الشعر » فيتبادلان السلام ، ويبلغ الآغا للباي سلام الامير ، ويهنيه بسلامة الوصول ، ثم يقدم له هدية ثمينة من الامير : هي فرس ، وسرج وكله من الذهب ، وزوج كوابس (96) ذهب يضعونها في مقدم السرج ، وسيف من الذهب ، ومكحلة (97) ذهبا . فيأخذ الباي الهدية ويدعو للامير . ويمكنون هنيهة ريثما يشربون القهوة . ثم يركبون ويسيرون جميعا وقومهم يلعبون بالسلاح بين أيديهم ، والنوبة الجزائرية التي أتت مع الآغا تضرب أنغامها واهل الملاعب يضربون البارود ، فاذا وصلوا لدار المبيت وهي بوفاريك ، يذهب الباي لوطاقة ويذهب الآغا لوطاقة . وكل واحد منهما نازل مع قومه على حدة .

فلما كان وقت المغرب ، يرسل الآغا للباي ، ويطلب منه القدوم لكي يضيفه فيركب الباي ويذهب لوطاقي الآغا . وعند قدومه يتقلاه الآغا عند باب اللوطاقي فيتبادلان السلام ويقعدان معا . فاذا أذن المؤذن للمغرب ، يأتي امام الآغا ويقوم الصلاة ، فيفرشون لهم الزرابي ، ويصلون داخل اللوطاقي وعند انتهاء الصلاة يجلسون في مواضعهم ، فتوضع لهم السفرة بين أيديهم ، ويتقدم معهم القواد والآغوات الذين أتوا مع الباي ، أما القواد الذين جاءوا مع الآغا فيظلون واقفين . وبعد الانتهاء من الأكل والشرب والقهوة ، يعطي الباي الموائد لخدام الآغا فيحسن اليهم . ويذهب بعد ذلك لوطاقه (98) ليستريح . فاذا استراح يبعث لقواد الآغا وشواشه احسانهم : فمن هم أهل خيل مثل القواد والشواش الكبار ، يرسل لهم الخيل والبرانس الزغداني ومن هم أهل للعبيد يعطيهم العبيد ، وهكذا الى أن يتمهم . والآخرون مثل الزرناجية والطبالين وخدام الباي الصغار والماليك ، فيحسن اليهم بالدراهم . ثم بعد ذلك يدفع الدراهم لأهل الصدقات الذين يأخذون منه كل يوم . فاذا فرغ من ذلك يأتي أصحاب آلة الطرب من الترك ، ومن أهل البلاد ،

والمسامع (99) فأما المسامع فيضربن دفوفهن عند باب الوطاق وينصرفن بعد أن يحسن الباي اليهن . ويتقدم الأتراك فيضربون مزاميرهم شيئا قليلا ويحسن اليهم وينصرفون كذلك . وعندئذ يدخل اصحاب الآلة الجزائرية (100) فيجلسون بين أيدي الباي ، ويضربون الرباية والكامنجة والعيدان . وعند انتهاء المجلس يحسن اليهم ويذهبون كلهم وينام الجميع .

ومن الغد بعد صلاة الصبح . يركب الباي والآغا وكل جموعهم ، ويسيروا معا نحو الساحة ثم يتوادعون . ويذهب الآغا لطريق الجزائر ، ويسير الباي الى حوشه ويقتيل هناك . ويخضبون الخيل بالحناء فاذا افطروا وركبوا يسير الباي والوكيل الى موضع يبعد نصف ساعة عن الجزائر يدعى « عين الربط » قريب من البحر . وهو موضع معد لنزول الأمحال عند الخروج من الجزائر ، وتجتمع المحطة هناك . ويبيتون . ويبيت هنا أيضا باي تيطري عند قدومه . أما باي الشرق فانه يبيت عند قنطرة الحراش . وفي آخر الليل يأتي لعين الربط فيصبح هناك .

وعندما يصل الباي الى عين الربط كما ذكرنا ، ياتيه طعام العشاء من دار وكيله . وفي الصباح بعد اقامة الصلاة يجلس الباي في موضع هناك ، فيه بناء وصهريج كبير للماء . ويفارقه عندئذ وكيله ، فيذهب للأمير ، ويقبل يده ويسلم عليه سلام الباي . ويخبره ان الباي وصل الى عين الربط ، وبات هناك . وانه ينتظر الأمر بالمشول بين يديه . فعندئذ يصدر الأمير أمره للخزناجي والآغا ، وخزنة دار . بان يتوجهوا لملاقة الباي ، ويأتون معه ، فعند ذلك يركب الخزناجي وخزنة دار ويخرجان من دار الملك ، ومعهما الصناجق والطبول . فاذا وصلا الى موضع حكم الآغا يركب ويذهب معهما الى عين الربط . فاذا رأى الباي طلائعهم يركب لملاقاتهم ويسير نحوهم قدر الميل ، ثم ينزل ، وينزلون . ويسلمون عليه ، ويعانقونه ، ثم يركبون الى الموضع الذي كان الباي مستقرا به . وينزلون هناك ويجلسون ، وتأتيهم القهوة ، والخيل تلعب أمامهم . والبارود يدوي قدر ربع ساعة ثم يستأذنون في الركوب والذهاب الى ملاقة الأمير . فيركبون جميعا ، ويسيروا معه ويدخلون المدينة ، ومنذ ركوب الباي لدخول المدينة ، وهو يرمي الدراهم في الزقاق يمينا وشمالا ، للفقراء وغيرهم . ومن البايات من يرمي السلطاني الذهب ، ومنهم من يلقي الفضة . ومنهم من يزرع الضبلون (101) . ويتقدمهم الديوان مثل السلاق (102) وعلى رؤوسهم الريش مصفونا يمينا وشمالا . والبراح ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (103) وبين يدي

الباي شاوش السلام ، يسلم على الناس يمينا وشمالا . ويسبقون امام الموكب اربعين بغلة ، على كل بغلة الفاريل صغيرة (104) فتكون جملة ذلك ثمانين ألف ريال ، واربعين فرسا من الخيل المسومة ، واقفاصا فيها السباع ، والتمرة ، وبقر الوحش ، وغير ذلك من الحيوانات . فهذه الامور كلها للبايك وعندما يصل الى دار الامارة ، يدخل الباي راكبا حتى يقابل الملك ، وهو جالس على سرير الملك ، فينزل ويذهب ماشيا اليه بالخضوع والتذلل ، متادبا فيقبل يده ويتاخر قليلا . فيامر به بان يجلس على يمينه قدر طول الرمح . فاذا جلس يلتفت اليه ، ويحمد له السلامة ويساله عن احوال الرعية ويعطونه القهوة . وعندئذ يتقدم اغواته وقواده وكبار النجوع ، يقبلون يد الباشا ويكون باش سيار واقفا قريبا منه ، يعرفه بالناس . فاذا انتهى السلام يتاخر الباش سيار ويتقدم الخرناجي ، ويقف بين يدي الملك ، وياخذ الخطة (105) من يد كبير كتاب الترك ، ويلقب بباش خوجة ، فيقبلها ، ويقدمها للباي ، فيقبلها ايضا ، تواضعا لصاحبها جلالة السلطان ، ثم يخطعها الخرناجي على الباي . فاذا لبسها تقدم وقبل يد الملك ، ويتاخر عنه شيئا فشيئا حتى يتباعد عنه . فيخرج ويذهب الى دار نزوله ، والتوبة تضرب من ورائه ، ورجال من كبراء ديوان العسكر يتقدمون بين يديه فاذا وصل الى دار نزوله ، يجلس على كرسي بوسط الدار ، ويضربون حوله التوبة وهو جالس فاذا انتهت التوبة ياتي شاوش السلام التابع للملك . فيعطي السلام باعلي صوته للحاضرين وعند ذلك يصعد الباي الى مجلسه باعلى الدار ، وينزع عنه الخطة فياخذها باش شاوش العرب ، وياخذ عوائده ويذهب بالخطة لدار الامارة ليضعها مع الخطع العثمانية ثم يعطي الباي العوائد لاصحاب العوائد وبعد ذلك ياتي خادم الامير الذي يقال له : البسكري متاع الباشا ، فيطلبه للفطور .

فاذا وصل الباي الى دار الملك ، فهناك عسة يقال لهم — الاونباجية — وهم اربعون رجلا يحملون اليطفانات من الفضة وسطهم ، يقف عشرون منهم على اليمين ، وعشرون على الشمال وعندهم كبيرهم يقال له الاغا ، وكاهيته ، والخوجة . اما الاغا والكاهية ، فلا تصرف لهما في امور الاونباجية ، انما كل التصرف للخوجة النويسمي : خوجة الباب ، فاذا جاء وزير من الوزراء ، فانه يقف في وسطهم ويجهر بالسلام ، ويدخل ، وهم يردون عليه باعلا اصواتهم ، ويدعون له بحسن العاقبة ، كذلك باعلا اصواتهم . وهذا الدعاء بحسن العاقبة كثير عند الترك وكنت استحسنه كثيرا .

فاذا وقف الباي في وسطهم يسلم عليهم ويردون عليه السلام ، ويدعون له مثل الوزراء ، ثم ياتي خوجة الباب ، وياخذ من وسطه يطفان الذهب ، ويكون

الوزراء هناك قد جاؤا للغداء . ومن عادة الوزراء أنهم يتغدون كل يوم في دار الملك . فيأخذ خوجة الباب يطفانات الذهب ، ويصعدون لغرفة هناك ، ويتغدون في سفرة واحدة . ويتغدى معهم الطباخ الكبير للملك . ويكون الطباخ الصغير وعليه فوطة من الذهب واقفا عند رؤوسهم ، يأمر الخدام ليبدلوا لهم أنواع الأطعمة وأنواع الفواكه . فاذا أتموا الغداء وشربوا القهوة ، خرجوا جميعا لسقيفة دار الملك ، فيحملون يطفاناتهم بوسطهم ويخرجون ، إلا الخرناجي ، فيذهب الى موضع حكمه ، ولا يخرج مع الوزراء الا يوم الجمعة ويوم الثلاثاء . ومن عادة الوزراء أنهم كل يوم يقابلون الملك صباحا للسلام عليه . ثم يقصدون مواضعهم التي يسمونها بالأعلىة (106) . أما يوم الثلاثاء فاتهم يذهبون لبساتينهم في الصباح ، وعند الزوال ياتون لمواضعهم من الحكم . وأما يوم الجمعة ، فلا يخرجون ، ويبقى كل واحد بعليه ، وساعة الغداء يدعون أصحابهم لتناول الطعام معهم .

تقديم هدية الملك : فاذا خرج الباي بعد الغداء من اليوم الاول ، فإنه يرجع لداره ويحضر هدية الأمير : أما الدراهم فنحو العشرين الف دورو . ومن المصوغ مقدار نصف ذلك ، وأربعة من الخيل العتاق ، ونحو 30 عبدا كبارا و 20 عبدا صغيرا من عبيد السودان وحيك القرمز (107) صنعة تلمسان وحيك الحرير المحببة صنعة فاس ، والبلاغي والرواحي بالذهب ، واشترامبيات بالذهب ، ونحو 20 قنطارا من الشمع ، ومثل ذلك من العسل . ومثله من السمن والجوز .

فعمدما يحضر ما ذكر ، ياتي رسل الأمير فيدعونه للسراية ، ليختلي به وحده ، من غير حضور الوزراء ، فيذهب ومعه وكيله فاذا وصل الى دار الملك سلم على النوباجية وردوا عليه السلام ، ويتقدم خوجة الباب فيأخذ البيطغان من حزامه ، ومن هناك للسراية ، فيستأذن ، ويؤذن له بالدخول . فيدخل الوكيل أولا ويسلم سلام الملوك ، ويقبل يد الملك ، ويتأخر ، ثم يتقدم الباي فيسلم مثل الوكيل ويقبل يده ويتأخر ، فيأمرهما بالجلوس ، فيجلسان جلسة القيام من السجود مطرقي الرأس ، فيرحب الملك بهما ، ويسأل الباي عن أحواله ثم يأمر لهما بالجلوس مستريحين . فيقول : لهما باللسان التركي : راحة اطر . وعندئذ يستقيمان في الجلوس . ثم يأخذ المماليك الهدية من يد خدام الباي وأتباعه . فاما الدراهم والأشياء النفيسة فيدخلونها الى تلك الغرفة والأشياء الأخرى الى غير ذلك الموضع . وعندئذ يخرج خزنة دار الدراهم . ويوزع على خدام الباي ثم يدخل ومعه باش خوجة ، ويسلمان

على الملك ويقيمان هناك ، وتأتيهم القهوة ، فاذا انتهوا منها أخذوا منها الفناجيل . الا ان الباى يملأ فنجانته بقطع من الذهب ، وعند ذلك يخرج الوكيل ، وخرنفة دار وباش كتيب ، ويبقى الباى وحده مع الباشا . حتى ممالك الباشا يتعدون عنهما ، ويبقون مقابلين لسيدهم .

يتحدث الباشا والباى مقدار ساعة ، وعندما ينتهي الحديث يقول الباشا باللسان التركي : « الله خير وار » فهذه علامة على الخروج من عنده ، فيقبل يده ويتأخر ، الى ان يخرج .

زيارات الوزراء : يذهب بعدئذ الى بيت خزندار ، فيجلس مقدار ربع ساعة ويعطي زوج شكايير بها الف دورو بيد خزندار ليوزعها على الممالك ، ويدخل الوكيل والباش كتيب للباشا يسلمان عليه ، ويخرجان مع الباى فينزلون في موضع الطباخ الكبير ، فيجلس الباى قليلا ، ويعطي للخدام الاحسان ، ويخرج الى داره ليسترريح ، ولا يدخل عليه احد الا باذنه ، وعلى بابه عسة من عسس دار الملك ، يتبدلون ساعة بعد ساعة لحراسته وخدمته .

فاذا اذن الظهر ، ياتيه الرجل الذي يتقدم امام الوزراء « ويسمونه قائد الزبل » فيذهب به الى دار الملك ، فاذا وصل فانه يتقدم في وسط العسة كما قدمنا ويسلم ويدخل ، ويجلس في سقيفة الملك مع خوجة الخيل اولا ، لانه الوزير الثالث ، وذلك هو موضع حكمه ، فيجلس معه هنية ثم يدخل الى الخزناجي في موضع حكمه قريبا من الخزنفة ، مقابل كرسي الملك ، فيجلس معه قليلا ، ويأتونهما بالقهوة ، فيشربان ، ويخرج من عنده الى السقيفة فيجلس مع خوجة الخيل ، ويأتيه خوجة الباب فيجعل عليه البرنوس ، ثم يخرج من هناك ويذهب الى حكومة الآغا ويسمونها « حانوت الآغا » وهو الوزير الثاني فينزل عنده هنية ، ومن هناك يذهب لدار نزوله فيقيم ويستريح .

هدية الخزناجي : فاذا صلى العصر ، واحيانا يصلي في المسجد مع الآغا يأمر بتوجيه هدية الخزناجي ، فيوجهونها اليه ، وهي مقدار ألفي دورو ، او ما يقرب منها ، مع اثاث ومصوغ ، وخيل ، وعبيد ، وكسوة ، وحيك قرمز ، وبرانس زغداني ، وحيك حرير ، وشمع وعسل ، وارز ، من غير حصر . فاذا قرب المغرب ، ياتي قائد الزبل المذكور من عند الخزناجي فيبلغه السلام ، ويستدعيه ، فيذهب معه ، والهدية من ورائه ومعه كتابه وقواده وآغواته ومماليكه وكل وزير من الوزراء له دار لأقامته عند انفصاله من دار

الملك ، أعني الاعلية ، فيجلسون فيها لاستراحتهم ولاشغالهم ، ولا يذهبون لديار الحريم الا بعد صلاة العشاء ، وقبل صلاة الصبح يأتي كل وزير الى عليه ، ومن هنالك يذهبون الى دار الامارة ، وعند كل وزير في العلي ، وكيل الحرج ، وامام ، ومماليك ، وطباخون ، وخدام . فاذا وصل الباي لعلي الخزناجي يتلقاه وكيل الحرج ويرحب به ، ويصعد به لسيدته ، فاذا وصل بتلقاه ويسلم عليه ، ويذهب به الى مطه في العلي فيجلسان في مكان واحد ، ثم يدخل الكتاب والاعوات والقواد ، فيسلمون على الخزناجي ، فيامر امثال الاعوات والكتاب بالجلوس معهم ، والباقون يذهبون لمكان آخر .

ثم يدخل خدام الباي بالهدية فيضمونها قبالة بازاء الغرفة ويخرجون . ويرحب الخزناجي بالحاضرين على حسب مراتبهم ، فاذا اذن المغرب يأتي الامام فيقيمون الصلاة ، ويفرش الخدام الزرابي للامام وللباي ولسيدهم . اما بقية الحضور فيصلون على البساط الاصلي . وعند الفراغ من الصلاة يجلسون ، فتوضع لهم السفرة ، وعليها من الاطعمة انواع لا توصف ، ويبدلون لهم الآواني التي فيها الطعام شيئا بعد شيء الى ان يكتفوا فيقدم لهم الطعام ولا يمدون اليه ايديهم ولا يبقى شيء من الطيبات الا قدم لهم . وعند الانتهاء من ذلك ترفع السفرة ، فيغسلون ايديهم ويؤتي لهم بالقهوة فيشربون وتؤخذ الفناجين من ايديهم ، وعندئذ يقوم الكتاب والاعوات يسلمون على الخزناجي ويشكرونه ، ويخرجون الى صحن الدار ويقفون والوكيل معهم ، فيبقى الباي مع الخزناجي قليلا ، ثم يخرج الى صحن الدار فيوضع له كرسي يجلس عليه ، ويوزع العوائد على خدام الخزناجي ، فيتقدم اولا وكيل الحرج وياخذ عوائده ويتاخر ، ويتقدم الامام ، فياخذ كذلك ويتاخر ، وهكذا يتقدم كل خدام الخزناجي على مراتبهم ، ويعطي الباي لكل واحد منهم ما يناسبه فاذا اتمهم رجع لداره وقائد الزيل ، وآغة القول ، والمزوار والبراح امامه وقدامهم القولية والحرس يصرفون الناس الذين ياتون كل ليلة لأجل الصدقات ، يمينا وشمالا ، فاذا دخل للدار وجلس يعطي لقائد الزيل والمزوار وخدامهم العوائد ، كل ليلة ، الى ان يسافر واما قائد الزيل ، فانه يعطيه في كل دخول وخروج ، ويعطي للوكيل والى شواشه الدراهم ليفرقها على اهل الصدقات . وبعد هذا ينام .

عوائد الباشا كتيب والكتاب : ومن الغد ياتيه قائد الزيل قبل صلاة الصبح ، ليذهب مع الوزراء الى الباشا للسلام عليه ، وبعد ذلك ، واداء الصلاة يرجع الى داره حتى وقت الغداء وهكذا كل يوم الى ان يسافر . وفي اليوم الموالي يضيفه الاغا ، فيهاديه مثل الخزناجي وربما اكثر منه ، وفي اليوم الثالث ،

بعد التصبيح على الباشا وشرب القهوة ، يخرج كل واحد من الوزراء الى حكمه فيدخل باشكاتب ، ومعه خزندار والخدام يحملون الدراهم الى موضع باش كاتب الباشا فيذهب الباي الى هناك ويجلس في موضع الباشكاتب ، والباش كاتب بأزائه ، والى جانبه باش كاتب الباي ، فيفرش سفرة من الجلد ، ويفرغ عليها الدراهم ويقف الصبايحي على الباب ، ويفتح الباش كاتب الدفتر ، وياخذ في توزيع السعوائد ، وتسمى عوائد الثلاثة ايام وذلك بمناسبة مرور ثلاثة ايام على لبسه الخطة السلطانية . فياخذ كل واحد من العمال ما يناسبه ، والكتاب وخدام المحكمة . وسائر الديوان من الشواش الذين يلبسون الطراطر على هذا الشكل ، وما بقي من الدراهم على السفرة بعد هذا التوزيع يعطيه لباش كاتب الكبير ، فاذا كان الباقي قليلا فانه يزيده عليه ، وبعد ذلك يذهب لداره ويستريح شيئا قليلا . ثم ياتيه الرسول للغداء ، فيذهب ويتغدى مع الوزراء كما قلنا . ثم يرجع لداره فيهيء هدية اخرى ، دراهم ومصوغا ، ويأتيه بعدئذ رسول الامير يطلبه لملاقاته ، فيذهب وأمامه وكيله ووزراؤه وباشكاتبه فيدخل على الباشا بالطريقة التي ذكرناها آنفا فيقيم معه نحو الساعة ويتكلم معه على احوال البلاد والرعية ، وغير ذلك من الامور . فاذا انفصل عن الامير دخل لبنت خزندار فيوزع الدراهم على الخدام كما فعل اول مرة يدخل الى بيت الطباخ الكبير فيوزع الدراهم ايضا ثم يرجع لداره فاذا استراح يأمر عندئذ بتوزيع العوائد الكبار على اهل الدولة ، والخواجة الترك ، والكتاب ، والترجمان ، ووكلاء الحرج ، والصبايحية والطباخ وكاهيته وخزنة دار ، وخواجة الباب . اما الدراهم فانه يبلغها لهم قبل دخوله للجزائر ، وذلك بواسطة وكيله ، بخلاف باي الشرق الذي لا يدفع لهم المال الا في اليوم الثالث . اما هذا الباي ، باي الغرب ، فانه لا يوزع عليهم الا العبيد ، والحياك القرمز ، والحريز ، والشمع والعسل والسمن ، والأرز ، لا غير . فيواصل كل واحد بعوائده ، فاذا اذن الظهر ، جاءه قائد الزبل ، فيخرج لدار الامارة ، ويجلس شيئا قليلا ، مع كسل وزير ، ويرجع لداره قبل صلاة العصر فيوجه الدراهم للشواش .

عوائد الشواش : فاذا صلوا العصر انفصلوا عن دار الامارة ، بعد انقضاء النوبة وعددهم سبعة شواش ، وهم الشواش الكبار ، غير الشواش الصفار الذين ياتونه صبيحة اليوم الرابع قبل الفجر . ويقال لهم شواش القصبية ، وهم ثلاثة : واحد يلبس الطرطورة ، وواحد يلبس العمامة المبرجة ويسميها اهل تونس « الرزة » والثالث يلبس الشاشية ، ولباسهم كلهم قفاطين من الملف الأخضر ، واحذية حمراء كبيرة مسمر في قاعها قطعة من

الحديد . اما شاوش آغة العسكر ويسمونه السراج ، فيلبس مثل الشواش ، الا القفطان ، فهو من الملف لون المور (110) وهو ياتي مع الشواش السبعة الكبار ، فيجطسون عند الباي ، ويشربون القهوة ، وبعد ذلك ، يقوم اصفرهم فيفرش على الأرض سفرة من القطن ، وهي خرقة كبيرة مدورة ، فيلقي الباي امره الى خزنداره ، فيفرع لهم على تلك السفرة الدراهم من الشكاير ما يزيد عن الف دورو ، ورؤوسهم مطرقة الى الأرض ، مثل الثيران التي تتعلم الحرث . وبعد حين يرفع باش شاوش رأسه ويقول بالتركي « ساوندار افندي » فيجيبه الباي بقوله بركات ! وعندئذ يرفع بقية الشواش رؤوسهم ، ويقول باش شاوش : نعم بركات . لكن نحن سبعة ، وعندنا المصروف الكثير في هذه الخدمة لانهم يذهب منهم كل سنة اربعة في الامحال التي ذكرنا ، اثنان لمحلة الشرق ، وواحد لمحلة الغرب ، وواحد لمحلة تيطري ، لكن لهم عوائد كبار تزيد على مصروفهم عشرين المرات ، الا أنهم قوم لا يقنعون . فيأمر الباي بالزيادة لهم قدر ما اعطاهم اولاً ، او ما يقرب من ذلك ، فسكتوا قليلاً ثم تكلم كاهية باش شاوش وقال : سواندار افندي ! فاجاب الباي : بركات واطالوا في الالحاح عليه واكثروا ثم اخرجوا حكة النفة (111) واعطوها له وقالوا : « جاك برنوط افندي » ! وهكذا يستمرون في الالحاح عليه يستطفون برأس الامير ورأس السلطان فيزيدهم ثلث ما اعطاهم ، وهكذا حتى واصلهم بأربعة آلاف دورو ، فاققسموا الدراهم بينهم من غير حساب ، وكل واحد منهم جعل حصته في منديل وضعه ما بين القبطان وصدرة ، وبعد ذلك يتقدم الشاوش المسمى بالسراج (واضع السروج) ويضع منديلاً بين يدي الباي ، فيأمر باعطائه ، ويلح عليه في الزيادة ، فيزيده ، ويتكلم بقية الشواش على رفيقهم فيزيده ايضاً ، حتى يصل ما اعطاه سبعة دورو ، او اكثر . عندئذ يفتحون له الباب ، ويخرجون من الغرفة بعدما يقبلون يده ، ويقفون صفافى الصحن ، وينادون بأعلى اصواتهم ، وهي كاصوات الحمير او اكثر ، يقولون بلغتهم : الله اصعلوك افندي ويطولون فيها ، الى ان يخرجوا من باب الدار ، فيذهبون الى دار آغة العسكر ، وهي الدار التي يسمونها « سرکاجي » وهي معدة لحكم العسكر ، فمن استحق منهم القتل قتلوه هناك . ومن استحق الضرب سوطوه . وهؤلاء الشواش يذهبون كل يوم بعد العصر يمشون هناك عند الآغا وفي تلك الدار طباخ ووكيل حرج ، فاذا تعشوا انصرفوا .

التقدم السنوي للشواش : ومن عادة هؤلاء الشواش انهم في كل عام ينمزل الباش شاوش ويتولى مكانه كاهيته ، وهكذا يتقدمون كلهم كل عام : فالكاهية

يصبح باش شواش القصبة ، ويترك العمامة المبرجة ويلبس الطرطورة .
وصاحب الشاشية يلبس العمامة ، وشواش الصبايحية يلبس القفطان
والشاشية ، وهكذا . وعندما يلبس شواش الجديد الطرطورة في دار
الامارة يذهب ليقبل يد الأمير . والشواش واقفون ، فاذا قبل يد الأمير وتاخر ،
يلحقه الشواش ويجرون خلفه بالسياط ، وهو هارب من امامهم ، الى ان
يصل الى مكان يدعونه حانوت الشواش .

اما شواش السلام ، فانه يتقدم لرتبة شواش صبايحية . ووكيل الحرج
في سركا جي يلبس الاحمر في مكان سلام شواش ، والشواش الذي يلبس
العمامة هو الذي يحمل باشماق الأمير عند دخوله لصلاة الجمعة ، ويضعه
له عند خروجه . ورأيته يوما عند ما كان الأمير خارجا من الصلاة يقدم له
الباشماق وهو منحني ، وممسك طرف الباشماق المقدم باصابعه ، فلما ادخل
الأمير مقدم رجليه اليمنى ، اطلق الباشماق وذهب يهرول على قدر جهده .

هدية خوجة الخيل : اما الباي ، فاذا انصرف الشواش من عنده ، كما
ذكرنا ، يحضر هدية خوجة الخيل ، وهو الوزير الثالث ، وهي تعادل نصف
ما اعطى قبله للوزيرين الآخرين . وقبل المغرب ياتيه الرسول فيذهب معه
لخوجة الخيل ، ويتعشى ، ويعطي لخدامه مثل ما تقدم ، ثم يرجع لداره ،
ويعطي الدراهم للذين يذهبون معه ، ولأصحاب الصدقات ثم ينام .

عوائد بقية رجال الوجاتي : وفي آخر الليل ، قبل صلاة الصبح ، ياتيه
شواش القصبة الثلاثة المذكورون آنفا ، ويعملون عمل اصحابهم المتقدمين
فيعطيهم ويتأخرون ثم يتقدم شواشان يلبسان القاطات (112) من الملف الاحمر ،
وعلى رؤوسهم شهود حمر بالذهب والاول هو شواش الصبايحية والثاني هو
شواش السلام ، فيأخذان عوائدهما ، وبعدهما يأخذ الطباخ ، ووكيل حرج
دار سركا جي ، عوائدهما ، ويذهبون كلهم .

وفي اليوم الرابع يتعشى الباي عند وكيل الحرج بباب الجهاد ، ويهدي
له مثل خوجة الخيل ، وفي اليوم الخامس يتعشى عند وكيل بيت المال ويهدي
له اقل من الوزراء المتقدمين ، والثلاث ليالي الباقية يضيف فيها الباي عند
وكيله ويعطيه عوائده نحو الفي دورو ، وعبيد وحيك ، وشمع ، فهو يعطيه
مثل بقية الوزراء ، ويعطي لكاتبه ثلث ما يأخذه الوكيل ، ويعطي عوائد خدام
الوكيل .

توديع الباي والهدايا التي تقدم له : وفي اليوم السابع ، وهي ليلة السفر
ياتيه الرسول من قبل الأمير ، فيذهب للسراية ، ويجلس معه ، ويوصيه الأمير

بالرعية خيرا . ويوصيه على امور بيت مال المسلمين ، وغير ذلك فاذا انفصل من عنده ، ورجع الى دار نزوله ، ويرسل له الأمير هدية : اثنين من الخيل ، ومكحلة بالذهب ، وسكينا ذهبيا ، وحوائج مذهبية ، واثاثا محجرا (113) وبعد صلاة العصر ، يرسل له الوزراء هداياهم ، من خيل ، وسلاح ، وقاطات بالذهب .

وفي اليوم الثامن يذهب في الصباح للسلام على الأمير وبعد شرب القهوة يلبسه الأمير قنضورة (114) من الذهب ويسلم عليه ، فيركب الباي فرسه داخل دار الملك ، ويخرج راكبا والنوبة من ورائه ، والآغا اعني الوزير الثاني يخرج معه ليودعه الى عين الربط ، فيرجع الآغا ويذهب الباي الى حوشه ، يبيت هناك ، ومعه وكيله وكتابه ويتحاسبون هنالك على ما صرفه عليه الوكيل ، ومن الغد يتوادعون ، فيذهب الباي ويرجع الوكيل .

بقية البايات : وهكذا جميع البايات . غير أنهم في الهدايا والعوائد والالزم يتخالفون (115) وكذلك الخلفاوات . وخطيفة الباي في الدنوش يدفع نصف ما يدفعه الباي في كل شيء الا المصوغ فلا يهديه الخلفاوات اما مقابلتهم للباشا وضيافتهم ، فمثل الباي في كل شيء .

دنوش باي الشرق : اما دنوش باي الشرق فانه يدخل الجزائر في فصل الصيف كل ثلاثة اعوام فيدخل الباي ويلبس الخلعة مثل باي الغرب في كل شيء كما تقدم . الا ان هديته التي يهديها للباشا في اليوم الأول حين يذهب لملاقاته فهي نحو ثلاثين الف محبوب ذهبيا (116) وبعض المهمات من المصوغ والملبوس وعدد من المواشي التونسية ومن الطيب : عطر الورد . وعطر الياسمين ، وتسابيح العنبر والمرجان والبرانس السوسدي (117) والجريدي والقفصي ، واشياء اخرى من المجبود (118) والاثاث والخيل والسمن والمحور (119) .

اللزمة : اما اللزمة فان باي الغرب يقدم بين يدي الأمير كما قدمنا ثمانين الف ريال صغيرة كوارط وبباي الشرق يقدم ثمانين الف ريال كبيرة بجة . واما باي نيطري فهو يدفع 14 الف ريال صغير . وهو مثل من تقدم في الملاقاة والضيافة . واما هديته وعوائده التي يدفعها فاقبل من باي الغرب وبباي الشرق . وكل الخلفاء يدفعون اللزمة كل ستة أشهر نصف ما يدفعه البايات وقائد سباو يدفع نحو ما يدفعه باي نيطري في دنوشه ، الا ان مقامه صغير وليس له خطيفة . فهو يدفع الف ريال كبير لزمة .

هذا خلاف لزمة البينباشي (120) وهي أربعة آلاف دوزو بجة في كل شهر يدفعها كل باي فمنهم من يدفعها كل شهر مثل باي الغرب . أما باي الشرق فيدفعها كل سنة اشهر في اليوم الثالث من دنوش الخليفة .

زكاة باي الغرب : أما الزكاة والعشور التي يدفعها البايات عن اوطانهم فباي الغرب يدفع عشرة آلاف صاع قمحا ، ومثلها شعيرا ، ويوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو الفي صاع قمحا ومثلها شعيرا . والغنم ستة آلاف رأس ، ويوزع أيضا على أصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة ، في افريل وفي سبتمبر . ويعطي العوائد في العيد الصغير ، والعيد الكبير ، ويوم عاشوراء ، والمولد النبوي الشريف ، للأمير ووزرائه ، وكتابه ، وجميع خدامه .

زكاة باي الشرق : وباي الشرق مثله في عوائد المواسم ، وفي زكاة القمح والغنم . أما الشعير فلا . وباي الشرق يزيد نحو الفي رأس من البقر للبايلك ، والفي رأس عوائد ويفرق القمح للعوائد كذلك ، والتمر والزيتون في كل سنة في ايار (121) ويبيعت في صيف كل سنة مركبا مشحونا بالشحم ، والسمن للمراكب الجهادية ، من مرسى عنابة .

زكاة باي التطري : وباي التطري يبيعت زكاة الغنم لبيت المال ، ويوزع شيئا على ارباب الدولة وكذا في عيد الاضحى ، لا غير . أما العشور فلا يبيعت ، لان عمالته اغلبها صحراء وسكانها العرب اصحاب غنم ولا حرث لهم — والذي يقبضه من الرعية شيء قليل يكفيه هو ومحطته أما عشور بلدة المدية فيجمله ، ويعمله عولة (122) وله وكيل عولة ، ويدفع تلك العولة لدار الامارة كل شهر .

زكاة قائد سباو : وقائد سباو يدفع الفي قلة زيت للبايلك . ونحو خمسمائة قلة لاصحاب العوائد والفي قنطار كرموس (123) ومائة قنطار شمع ، ويدفع خمسمائة صاع قمحا ومثلها شعيرا لأن وطن سباو ، ووطن تطري ، لو اجتمعا معا ، لما كانا قدر ثلث وطن وهران اما وطن قسنطينة فانه كبير جدا . حتى العارفين بالأرض قالوا ان وطن قسنطينة يلزمه اربع بايات .

تحديد البلاد : الناحية الغربية كلها بيد باي وهران ، وله خليفة ، وقواد واغوات ، وحكمه ينتهي الى بطوان والي عمالة باي تطري .

وباي تطري تحده متيحة شمالا ، ومن الناحية الشرقية يحده وطن بني سليمان وبني جعد وعريب ، وقائد سباو وعمالته زواوة (124) ويحد عمالته

وطن يسر ، ومن الناحية الشرقية وطن حمزة وهو من عمالة باي قسنطينة .
أما باي قسنطينة فتحده عمالة تونس ، والحد بينهما يقال له سراط .

الآغا وسلطته : أما وزراء الأمير بالجزائر ، فهم : الآغا ، وله رعية من بحلوان الى يسر . ويحده شرقا : سباو ، وغربا : باي تيطري ، ومن الناحية الغربية من جهة البحر تنس . لكن سكان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا ولا الباي (125) وللآغا قواد تحت حكمه . فأما بحلوان فان فيه زمول (126) من العبيد الموالي لاهل البلاد وغيرهم . فاذا اجتمعوا (127) في البلاد ، فان الأمير يبعث بهم الى بحلوان ، والى زمول اخرى في سباو ، فيسكنونهم هناك ، ويعطونهم تلك البلاد يحرثونها ، ويكسونهم كل عام ، ويعطونهم الخيل والسلاح ، وهم يعمسون هناك مقابلين للجبال ، أما في بحلوان فانهم مقابلون لجبل بني مناد وجبل سماته ، وكل زمالة من تلك الزمول عليها قائد يولي من قبل الآغا . واذا ركب الآغا الى موضع ركبوا معه ، ولا يدفعون شيئا من اللوازم والمطالب المخزنية .

وللآغا قائد في وطن حجوط ، يتصرف في بني مناد ، وسماته ، ومزاية ، وحجوط الى واد سبعة ، وقائد في وطن بني خليل ، يتصرف في جبل بني مسمود ، وبني صالح ، وبني ميصرة ، والى وادي الحراش ، وهو اكبر القياد ، وله قائد ثالث في الخشنة ، يتصرف في الوطن وفي جبال عمال ، وبني عيشة ، الى وطن يسر كذلك ، وقائد رابع في يسر يحده سباو ، وقائد سباو وهو الذي يسمى هذا القائد الا ان الآغا هو الذي يتصرف فيه ، وقائد خامس في وطن بني جعد ، وقائد سادس في وطن بني سليمان وبني خليفة ، وهم جبال ، وأهلهم اهل خير ، وقائد سابع في عريب ، وهذا الوطن اكثره اهل عمور ، وهم اهل خير وورع .

أما مرتبة هؤلاء القواد السبعة ، فهي هكذا : قائد بني خليل ، قائد بني موسى قائد الخشنة ، قائد بني جعد ، قائد بني سليمان ، قائد عريب ، قائد حجوط .

وهؤلاء القواد، يلبسون الخلعة يوم عيد الاضحى ، ويدفع كل واحد منهم لزمة الوطن وعوائده . وهذه اللزمة يفرضها الأشياخ في كل وطن ، وفي كل وطن قائد للعشور ولا مدخل للقائد فيه ، بل هو تابع رأسا لكاتب العشور بالجزائر . والآغا هو الذي يسميهم .

وأهل هذه الأوطان أكثرهم صباغية الأغا ، يركبون معه أينما يتوجه ، وهم
عسكره الخيالة ويتميزون على أخوانهم العرب من الرعية ، فانهم لا تلحقهم
المطالب المخزنية الا العشور ، ولا يلحقهم القواد ، وكبراؤهم قواد العشور .

خوجة الخيل وسلطته : أما خوجة الخيل فان له رعية من عرب الصحراء ،
وهم نجوع فأولهم : نجع رحمان ، ونجع الزناخرة ، ونجع اليواعيش ، وكثير
من النجوع الأخرى ، فيدفعون له الخراج والزكاة الا أنهم يمنعون الزكاة .
ولخوجة الخيل قائد يسمونه قائد العرب ، ومستقره متيجة ، وله أعوان
وهو المتصرف على هذه النجوع ، وله أشياخ لجمع المطالب المخزنية ، ولخوجة
الخيال اتباع يركبون الخيل ويسمونهم السرارجة ، وعليهم كبراء يسمونهم
المقاديم ، وهم مع خوجة الخيل ، ويقفون بين يديه وقت الحكم لأجل الاشتغال ،
وإذا أراد أمرا فانه يعين رجلا أو اثنين من السرارجة ليأتوا بخصم المشتكي
أو يرسلهم لحمل المكاتب للرعية .

كما ان للأغا أربعة كبراء : باش شاولي ، وكاهيته ، وباش علام ، وباش
مكاطي ، يقفون بين يديه في الحكومة ، ويفهمونه أمور الشكاية ويعينون
الصباغية للأشغال أو المكاتب ولتخفيض الحقوق ، والاتيان بالصوص
وقطاع الطرق ، وكبراء الأغا ومقاديم خوجة الخيل كلهم من العرب .

صالح باي ، ومقتل الخزناجي : بعدما وقع الصلح بين محمد باشا
والاصبانيول قدم البايات لتهنئته على حسب عادة دنوشدهم ، فقدم محمد باي
العرب ، في الخريف كمثل عادته فهذه بنصر الله ، وأوصاه الأمير على
وهران أن لا يترك عنها القتال ولا يهني من فيها من الاصبانيول .

وفي فصل الصيف ، قدم صالح باي قسنطينة ، ودخل الجزائر ، وقابل
الباشا ، وهناه بالنصر ، وفي يوم من الأيام ، أختلى الباشا بالباي ، وساله
عن أمر وسق الزرع (128) والبقر لأرض النصارى من مرسى عنابة ، وكان
الباشا قد أوصى البايات من قبل ، أن لا يبيعوا . فأجاب الباي أن الوسق
قد وقع بالفعل ، فقال له الباشا : ألم يصلك كتابي ؟ قال : بل وصلني لكن
بعد ذلك وصل لي كتاب من الخزناجي يأمرني فيه بأن نترك الوسق حرا
لمن بيده كتاب منه ، فكل من يأتيني بكتاب منه نسمح له يوسق العدد المذكور
في الكتاب . وهذه هي كتب الخزناجي . فغضب الأمير على الخزناجي ،
واشتد غضبه عليه ، وأمر الباي بلان لا يسمح لأحد من ذلك اليوم بالوسق
الا بكتاب منه . وأمره بلان يكتم هذا الأمر ، ولا يطلع عليه أحدا من الوزراء ،

فامتثل أمره وسكت . ولما انتهت أيام الضيافة ذهب لوطنه ، وجاء باي تيطري مثل أصحابه ، وذهب .

وبقي الباشا مهتما غاية الهم من أمر الخزناجي ، وكان هذا الخزناجي ظلما ، وله بنتان انكح احداهن لحسن وكيل الحرج ، والأخرى لخزنة دار الأمير . وكان من عادة الوزراء يجتمعون كل يوم بعد صلاة الصبح في سقيفة دار الإمارة قدر نصف ساعة ، ويكون وكيل الحرج معهم . فاذا خرجوا يذهب وكيل الحرج لملاقاة الأمير كل يوم ، ليخبره عن أحوال المرسى والمراكب . وفي يوم من الأيام قال الباشا لحسن وكيل الحرج : يا حسن اني مهموم من أمر . فقال له : وماذا يهيك يا سيدي وقد نصرك الله على عدوك ؟ فقال له : ان الأمر الذي يهمني يقرب من أمر العدو ، ولم أجد من يعينني عليه . فقال له : اخبرني منه ، ونحن نموت فذاك ! فقال له الباشا : ان صهرك الخزناجي تجرأ علي كثيرا حتى صار يتصرف في الأمور من غير إذن . وأنا أمره وهو يتعرض لأمرى ويأمر بخلافه ، وتكلم كلاما طويلا في هذا الموضوع ، فقال له وكيل الحرج : انا اكفيك أمره ، فلا تهتم به ، لأنك سيدي وولي نعمتي ، وغدا ان شاء الله ، تنفذ فيه حكم الموت .

خرج من عند الأمير ، وذهب الى العلي . ولما خرجت الناس من صلاة المغرب او صلاة العشاء بعث الى باش شاوش فاتاه خفية ، فقال له : غدا ان شاء الله ، عندما تأتي لتصبح على الخزناجي اقبض عليه ، وأذهب به لدار سرکاجي ، ولمجرد وصوله تخفته (129) وان فرطت في هذا الأمر فانت عوضه . وها أنا بلفت لك أمر الأمير . فقال له : سيما وطاعة وخرج باش شاوش من عنده وذهب الى كاهيته وقال له : غدا عندما نصبح على الخزناجي نقبضه ، وتكون انت مستعدا فاذا ناديتك تلحقني . وذهب لداره .

ولما قرب الفجر ، ذهب لحانوت الشواش كمادته ، وصلوا الصبح ، وأقاموا ينتظرون قدوم الوزراء كمادتهم ، حتى اتوا وجلسوا عند الباب مثل العادة ، فذهب الباشا شاوش الى الخزناجي ليسلم عليه ، فلما أهوى عليه ليقبل يده كالعادة ، نزع عنه اليطغان ورمى به بعيدا عنه ، ونادى الى كاهيته ، فأسرع له مع اخوانه وقبضوا على الخزناجي ووضعوه بينهم ، وذهبوا به لدار سرکاجي وبمجرد وصوله قتلوه . فلما مات وفتحت دار الإمارة ، ودخل الوزراء على الأمير ، اخبرهم بأفعاله وما وقع منه ، وكيف حكم بموته ، فقالوا : انه يستحق اكثر من هذا . وعندئذ أولى حسن وكيل الحرج خزناجيا ، وأولى علي برغل خزندار وكيلا للحرج ، وهما صهرا المقتول ، وحزنت بنتاه

عليه حزنا شديدا ، وعرفنا ان صالح باي هو المتسبب في ذلك ، فقاتلنا لزوجيهما : لا بد لكما من الاحتيال علي من كان السبب في مقتل ابينا ، ونقتله .

الوباء : وفي سنة (1201) جاء الوباء للجزائر ، حتى وصل عدد الاموات احيانا خمسمائة جنازة كل يوم ، ويسمى بالوباء الكبير . قيل انه اتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية . و طال الوباء بالجزائر الى سنة 1211 .

وفاة محمد باشا وولاية حسن باشا : مرض محمد باشا في سرايته ولما اشرف على الهلاك تكلم علي برغل خزنة دار مع الخزناجي حسن المذكور : انه اذا توفي الباشا فانه يرسل له خفية ليقيم الى دار الامارة ، ويتولى باشا حسب العادة ، وذلك خفية من علي آغا ، فلما كان يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة الحرام ، سنة 1205 (131) قدم الوزراء كعادتهم ، ودخلوا لدار الامارة فاتاهم وكيل الحرج المذكور وسالوه عن الامير كيف اصبح ، فقال لهم انه وجد الراحة في هذه الليلة ، وكان قد مات ليلتئذ رحمه الله . فامروه ان يبلغ له سلامهم . فطلع للسراية علي انه سيلفهم سلامهم . وهم خرجوا الى ديارهم .

وكان علي آغا المعروف بالقهواجي ، يريد ان يتولى باشا بعد وفاة الامير ، خلافا للعادة لانه في عادتهم اذا مات الامير يتولى مكانه الخزناجي ، والآغا يتولى خزناجيا لكن علي آغا اراد ان يتقدم الخزناجي لانه راي نفسه شجاعا واذا باس وقوة .

وكانت دار الآغا ملاصقة لدار الملك ، وبيت الخزناجي قريبا من بيت الآغا . بحيث اذا ذهب الخزناجي لدار الملك ، فلا بد ان يمر علي دار الآغا . ولما كان وقت الضحى ، وتحقق وكيل الحرج ان الوزراء كلهم نائمون في بيوتهم ، بعث لحسن الخزناجي خفية يستقدمه ، فوجده الرسول مستعدا ، وذهب معه في الحين . ولما مر علي باب علي آغا رآه خفيه ، فأخبروا سيدهم فقام وحمل بناديق صغيرة تحت ثيابه ، وذهب في اثره .

ولما دخل الخزناجي دار الامارة استدعى كبير النوباجية ، اعني المساسين وامره ان يقبض علي علي آغا ان قدم ، وينزع عنه سلاحه ، ويبقيه عندهم الى ان يامرهم . ودخل مقابلا لكرسي الملك ، وجلس ، ثم استدعى الوزراء والعلماء ، واعيان البلد ، فلما حضروا عنده ، اعلمهم بموت الامير ، وانه اوصى اليه ، فبايعه اهل الحط والمقد ، ولبس الخطة السلطانية ، واطلعوا

الصناجق بدار الامارة ، وضربت النوبة واطلقت المدافع ، ونادى مناديه في اسواق البلد بالعقبة والامان ، وموت الأمير ، وتولىه حسن باشا .

أما علي آغا ، فانه عندما وقع في اثر الخزناجي ، قبضوا عليه ، وحبسوه في مطهرة (132) ثم امر الأمير بنفيه الى القلعة . ومكث بها الى ان وجد مذبوحا ، قيل انه قتل نفسه ، وقيل ان حسن باشا امر بقتله . وكان حسن باشا عارفا ، عاقلا ، وله فطانة في الأمور ، غير انه كان في بعض الأحيان يعتريه حمق ، حتى يفعل أمورا لا محل لها .

اهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 — اعلنت قبائل اولاد نايل ، التي تمتد أرضها بين مسيلة ، وبوسعادة ، والأغواط وجنفة العصيان ، فسار اليها من اجل اخضاعها قائد تيطري ، السيد سفطة ، فغلبوه وقتلوه . ثم سار اليهم صالح باي قسنطينة رحمه الله ، فارغمهم على الطاعة .

2 — 1203 (1788) سار صالح باي بجيشه الى مدينة توقرت ، التي كانت منذ قرنين خاضعة لحكم محلي تتولاها عائلة بني جلاب . لمضى على تلك العائلة ، وادخل توقرت وضاحتها ضمن الجامعة الجزائرية .

3 — ابتدأت قضية القمح والحبوب بين فرنسا والجزائر في الظهور ، دون علم للباشا : ذلك ان التاجرين اليهوديين نفتالي بوشناق ، ويوسف بوخريص (باكري) حصلا من الخزناجي حسن علي اذن بتصدير الحبوب لفرنسا ، وكانت في ضيق شديد ومسغبة فتاكة ، اثر حوادث الثورة الفرنسية الكبرى . وهكذا ابتدأت القضية التي انتهت بعد حوالي اربعين سنة باحتلال فرنسا للجزائر بغيا وظلما .

4 — كان القاضي الحنفي في ايامه الشيخ حسن بن أحمد التناحي ، ثم الشيخ مصطفى بن عبد الله . ثم الشيخ محمد بن مصطفى . ثم الشيخ حسن بن أحمد ، ثم الشيخ محمد بن اسماعيل . أما قضاة المالكية فكانوا على التوالي . الشيخ أحمد بن محمد . الحاج أحمد بن عمرو . عبد الرحمن المرتضى — الحاج ابن جعدون ، الشيخ محمد بن الشاهد ، الحاج علي بن عبد القادر .

5 — توفي في ايامه من كبار علماء الجزائر الشيخ علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان وقد استقر مدة بدار الخلافة استامبول . اسره

الروس ومات في الغربية ، والشيخ محمد أمزيان الملياتي صاحب كتاب المستفيد في عقيدة التوحيد ، والشيخ عبد القادر الراشدي تولى قضاء قسنطينة وله مؤلفات منها كتاب في مباحث الاجتهاد ، وحاشية على شرح السيد للمواقف العسدية ، وله رسالة في تحريم التدخين .

6 — تولى أيام السلطان العثماني مصطفى الثالث ، واستمر كامل مدة السلطان عبد الحميد الأول ، ومات رحمه الله أيام السلطان سليم الثالث .

التعليق

(1) هو محمد عثمان باشا ، وقد كنا نشرنا سنة 1937 هذا القسم من سيرته * مع كل ما يتعلق بها ، في كتاب خاص ، تحت اسم : محمد عثمان باشا داي الجزائر .

(2) 8 ابريل 1766 ميلادية .

(3) قصر الجينية ، وكان يتصدر ساحة الشهداء اليوم ، وقد احترق (أو أحرق) في أوائل عهد الاحتلال الفرنسي وقد نقلت الساعة الكبيرة التي كانت فوق بابه ، ووضعت فوق منارة المسجد الجديد ، حيث لا تزال الى الآن .

(4) ملابس

(5) أي مصنع ثوبا جديدا .

(6) جمع « بطفان » وهو نوع من السيوف .

(7) أي مجلس الحكم .

(8) عبارة هامة جزائرية تدل على الملكية والتبعية . أي خزنداره .

(9) خزنة مال الدولة

(10) السلوكة التي تكون غالبا شر كسية من جبال القوناز ، وتباع في سوق النخلسين باستامبول

(11) لا يزال هذا البرج قائما الى يومنا هذا في رأس المول بمرسى الجزائر القديم . وسبب تسميته ببرج سردينية هو وجود رسم منحوت على الحجر ببابه يمثل مسكين من نوع السردينية .

(12) نوع من السفن الحربية الخفيفة تحمل المدافع وتتجه بسرعة لملاقاة العدو على بعد .

(13) القنبلة التي ترمى بها سفن العدو . والكلمة افرنجية .

(14) كان من اجمل مساجد العاصمة الجزائرية ، واكثرها زخرفة وبهاء . وقد باهر الفرنسيون بهدمه بصفة تامة اثر احتلالهم للمدينة . فاحتنوا بذلك صدمة رهيبة عند اهل المدينة لا زال يذكرها الخلف من السلف ، الى ان سعت يد الثورة الشعبية العامة صفحة ذلك الاحتلال المقيت

- (15) في الاصطلاح الجزائري : زينة .
- (16) الاعراض هي الاساطين
- (17) هذه الاساطين وضمت بعد تهديم مسجد السيدة ، امام الجامع الكبير .
- (18) هذا المنبر البديع موجود الى اليوم بالمسجد الحنفي او الجامع الصغير بالعاصمة .
- (19) للمدينة .
- (20) الثكنات العسكرية . جمع ثكنة . واللفظ تركي .
- (21) الرابيس في الاصطلاح الجزائري هو قائد سفينة القرصان .
- (22) سفن خطر السواحل في الاصل . انما تستعمل في الغزوات لخطه حركتها وسهولة ادارتها
- (23) اي هجم . واصل الكلمة « صادم »
- (24) 1770 ميلادية .
- (25) مملكة في الشمال الغربي من اوروبا . تقع شمال ألمانيا ، ويفصل البحر الضيق بينها وبين مملكتي السويد والنرويج . وهي معها تمثل السكندنافية .
- (26) القيرة لفظ افرنجي معناه الحرب . وفي الاصطلاح الحديث يقال : غرامة الحرب .
- (27) الدورو قطعة فضية اصلها اسباني ، وتساوي في وقتها ربع قطعة ذهبية وزن 6،451 غرام . وبما ان القطعة الذهبية تساوي اليوم 80 ديناراً جزائرياً ، فالدورو في ذلك الوقت يعادل اليوم ما قيمته 20 ديناراً . اي ان غرامة الحرب التي اخذها من الدانمارك تعادل اليوم خمسين مليون دينار جزائري .
- (28) المركز البحري . واصله العربي : دار الصناعة اي صناعة المراكب ، ومنه اخذت الكلمة الفرنسية : ARSENAL
- (29) اهل مملكة نابولي ، من ممالك وامارات ايطاليا قبل توحيد الدولة .
- (30) انظر تفاصيل هذه المعارك الرهيبة التي خاضها الشعب الجزائري البطل ، طيلة 300 سنة تحت القيادة العثمانية في كتابي : حرب الثلاثمائة سنة ، بين الجزائر واسبانيا طبع الجزائر .
- (31) ملسك .
- (32) السواحل
- (33) الجزائريين
- (34) مدينة الجزائر
- (35) المراكز المحصنة

- (36) مركز عسكري محصن بالمدافع ، واصل الكلمة التركية : طوب خفة .
- (37) أشهر بليات قسطنطينة ، ولد بأزمير سنة 1725 . أولاه محمد باشا بليا على قسطنطينة سنة 1771 وبقي بها عاملا ، مصلحا ، مميّرا ، وكان له الفضل الأكبر في النصر المبين على الاصبان خلال هذه المعركة وقد عزله حسن باشا من قسطنطينة بعد موت محمد باشا صاحب الترجمة ، فزين له أصحابه الثورة ضد السلطة المركزية لكنه أخذ وقتل سريعا ، رحمه الله . واسمه الكامل : صالح بن مصطفى ازميرلي .
- (38) وادي الحراش
- (39) مادة بربرية قديمة من قبل أيام الفينيقيين ، يقدمون الابل لتكون وقاء للجيش
- (40) رجال الحرس الخاص
- (41) نقد جزائري من الذهب ، وزنه 3 غرامات
- (42) علما أسود ، اشارة الحداد
- (43) دامت المعركة عشرة أيام من يوم 1 الى يوم 11 جويلية 1775 . واسم قائدها الاسباني : اوريلي .
- (44) حراقة أو كراكة
- (45) ببلاد القبائل البربرية الكبرى
- (46) سنوات 1767 – 1768 – 1769
- (47) السهل الكبير الفسيح الذي يمتد جنوب مدينة الجزائر ، ومساحته 2000 ك م مربع
- (48) الباعة المتجولون في مختلف الأسواق .
- (49) المحطة هي الفرقة العسكرية
- (50) هو السلطان السادس والعشرون من السلاطين العثمانيين (من 16 صفر 1171 الموافق 30 أكتوبر الى 9 شوال 1187 الموافق 23 ديسمبر 1773 ، وقد حارب روسيا حربا عنيفة دفاعا عن استقلال بولونيا ، احترق اثناءها جزء من الاسطول العثماني .
- (51) 1759 ميلادية .
- (52) القائد العام للأسطول العثماني
- (53) الضربة المتفق عليها
- (54) جمع بابا أي أب باللغة التركية وكان هذا الاسم يطلق على كبار رجال الدولة من الاتراك .
- (55) الدنوش هو دفع البايات للضرائب المنروضة عليهم للخزينة العامة بمدينة الجزائر .
ونبما يلي بيان هام من المؤلف عن كيفية دفع الدنوش . وهو وصف ليريد لم يسق اليه

(56) أثناء الحرب مع روسيا ، هاجم القبطان حسن باي سفن روسيا التي كانت تحاصر جزيرة نفوس ، وارغمها على فك الحصار ، فكاه السلطان على هذا الانتصار ، برتبة الباشوية وتمينه « قبطان باشا » أي قائدا عاما للأسطول العثماني .

(57) لفظ تركي معناه الأسطول ، أو السفن الحربية

(58) جزيرة كبيرة في شرقي البحر المتوسط ، تقع بين مصر واليونان ، وهي اليوم جزء من البلاد اليونانية

(95) جزر بحر الارخبيل ، وهي اليوم من بلاد اليونان .

(60) كان اليونانيون ثارين على الدولة العثمانية ، موالين لروسيا ، ومراكبهم هذه كانت مراكب لصوصية بحرية

(61) اليونانيون

(62) ارتطمت بالبر واستقرت فيه

(63) سفينة حربية مسلحة بالدافع للحراسة

(64) بولغاز الدردانيل ، وأشهر ثلاثة هي « تشناققة »

(65) لصوصي البحر

(66) روسيا

(67) أي : فلما رأى المسلمون الفتح الخ

(68) منزلا عسكريا بحريا

(69) البحر الاسود باللغة التركية

(70) الروس

(71) كلية اسبانية معناها الأسطول الحربي

(72) سنة 1774 م . واعترفت الدولة العثمانية بامتلاك روسيا لشبه جزيرة القرم الواقعة شمال البحر الاسود ، والتي كان يسكنها اقوام من التتار المغوليين

(73) الدردانيل

(74) 34 كيلو تقريبا

(75) الريال بجة وزن 10 قرام فضة

(76) 1804 م

(77) وكانت الحملة تحت قيادة دون انطونيو بارثلو ، وابتدأ ضرب مدينة الجزائر يوم 1 يوليو من سنة 1782 م .

(78) مدافع الهاون

(79) يرجع تاريخ بنائه الأول لسنة 972 هـ (1564 م) وجدده محمد باثما

(80) قصر الجنيينة

(81) عين الربط ، هو المكان الذي يعرف بساحة المناورات أو « الشان دي ماتوفر » أيام الاحتلال ، وهو اليوم من أهم اقسام مدينة الجزائر .

(82) 1784 م . وكانت هذه الحملة مؤلفة من ثلاثمائة سفينة تحت قيادة نفس الدون بارثلو

(83) اي الركوب مع رجال البحر الرسميين تطوها ورغبة في الجهاد ومشاركة في النضال من أجل الحرية

(84) الناي

(85) اي لا تشمئز نفوسهم منه

(86) المقذاف هو المجذاف

(87) 1785 وكان الولد الاسباني تحت رئاسة الكونت دسبلي ، والاميرال مزاريدو ، وساعد قنصل فرنسا دوكرسي على تقريب وجهات النظر بين الجانبين لانقاذ الصلح .

(88) بايلار باي

(89) من بني حفص الموحديين

(90) ما يدعمه للدولة من الضرائب من عياله

(91) مكتب على مقربة من قصر الجنيينة ، مركز السلطة

(92) شيوخ القبائل العربية

(93) ذات القيمة الكبيرة

(94) برانس دتيقة الصنع من الصوف العسلية اللون

(95) كلمة عربية قديمة تعني الدولة أو السلطة المركزية

(96) الكابوس هو مسدس ذلك الوقت

(97) بندقيية

(98) خيمته

(99) النسوة اللاتي يحترفن في مدينة الجزائر الرقص والغناء ونقر آلات الطرب ولا يزال الاسم مستعملا الى اليوم

(100) هم ورثة الفن الأندلسي الرقيق لفظا ونغما ، وقد تناقلوه بدقة خلفا عن سلف ، ولا يزال محفوظا عندهم الى الآن ، بموسيقاه الثرية وانغامه الشجية ، وبدائعه الرائعة

(101) قطع فضية أكبر من الدورو المعتاد

(102) جمع سلوتي ، وهو نوع من الكلاب شهير برقة بدنه وخفة حركته

(103) ضيمة هذا النداء ، كما رويناه من نقيب الاشراف ، هو : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله ، الصلاة والسلام عليك يا خير خلق اله .

(104) يمكن تقدير قيمة الريال الصغير بما يعادل 65 سنتيما ، اي أكثر من نصف دينار جزائري

(105) قطان يمنع باستامبول ، ويرسله السلطان العثماني لكبار الحكام كشمار لتسلمهم السلطة منه .

(106) جمع « ملي » وهو الطابق الاول من الديار العربية وتعلوه احيانا غرف أخرى تسمى المنازه .

(107) القرمز مادة حمراء اللون تنشا وتجفف فوق أشجار خاصة توجد على الألب بالفاحية الغربية : فتجمع بعد جفافها وتستعمل صبافا أحمر قانيا ، ثابتا للمصوف .

(108) جمع ربيعة ، وهي حذاء خفيف يلبسه كبار العلماء وكبار رجال الدولة ، مع هذا آخر يدهى الباشماق .

(109) الشترامبيات ، نوع من الوسادات المربعة الشكل المطرزة بالحريز أو الذهب ، يتكأ عليها مند الجلوس .

(110) أحمر لون الرمان

(111) التبغ المسحوق الذي يقاوم من الأنف

(112) القاط هو اللباس البلدي الجزائري وأصله مأخوذ من الأتراك

(113) مرصعا بالحجارة الكريمة

(114) جبة

(115) يبلغ مجموع ما يدفعه البايات كل سنة لخزينة الدولة ما يلي (من السائح المستشرق فانتير دي بارادي) :

(وزن 20 قرام فضة)	باي الشرق	228000	دورو
(« قبل فتح وهران)	باي الغرب	273000	دورو
»)	باي تيطري	67000	دورو
»)	مجموع ما يدفعه البايات	578000	دورو
»)	ما يدفعه الستة قواد	50000	دورو

مجموع ما يدخل خزينة الدولة من داخل البلاد ، وذلك خلاف ما يدفع هدايا وعوائد لاصحاب ادلولة : 618000 دورو

- (116) المحجوب قيمته 30 قران فضة أو ما يعادلها ذهباً .
- (117) رقيقة جدا تنسج من الصوف والحريز .
- (118) الجرد المطرز
- (119) كسكسي ناضج مجفف ، يخض بصنعه أهل قسنطينة
- (120) قائد عسكري تحت أمرته حسب النظام العثماني ألف رجل ويدفع البليات هذه اللزمة مقابل وجود الجيش التركي في بلادهم
- (121) ينابير أو جلفسي
- (122) العمولة هي الكسكسي والمحمصة وهي كسكسي غليظ والبرغل وهو قمح مطبوخ ومكسر وكلها يجفف ويحفظ للاستهلاك زمن الشتاء .
- (123) تين مجفف
- (124) بلاد القبائل الكبرى
- (125) جبال الظهرة
- (126) جمع « زمالة » وهي فرقة مستقرة من الفرسان العرب ومن يتبعهم من المماليك والرعايا .
- (127) أي كبر عددهم
- (128) القمح والشعير
- (129) الخنق هو وسيلة الأعدام الوحيدة بالنسبة للأتراك سواء اكتبوا بلشوات أو جنوداً .
- (130) 1787 م .
- (131) 12 يوليو 1791 م .
- (132) غرفة استحمام .

ذكر ولاية حسن باشا

في 10 قعدة الحرام سنة 1205 (1)

ولما استقر بالملك ، عين حفيده مصطفى خزناجيا ، وكان رجلا كريما صالحا ، متغفلا ولا يفعل شيئا الا بامر خاله . لان هذا حسن باشا كان عارفا ، عاقلا وله فطاة في الامور . غير انه في بعض الاحيان كان يعتريه الحمق حتى يفعل امورا لا تصادف محلا .

الحرب مع السويد وأمريكا

وفي صفر من سنة 1206 (6) نقض المهادنة بينه وبين السويد ، وأمر قنصل الميركان (7) بدفع ما عليه من المفرم ، وضرب له أجلا عشرين يوما . فان لم يدفع ما عليه ، فيوم الواحد والعشرين يأخذ ما وجد من مراكبه في البحر . ولما مضى الاجل أمر بتجهيز مراكبه الجهادية . فلما كان يوم السفر ، طلع اليه الحاج محمد (بالفتح) القبطان ومعه رؤساء المراكب لتوديعه فودعوه ، ودعا لهم ، وتأخروا عنه ، ثم نادى القبطان وأسر اليه في اذنه قائلا : اذا وجدت مراكب الاميركان بعد كذا فخذوهم . وكان من عادة رؤساء المراكب الجهادية انهم يوم السفر يودعون الامير ، ويمد الخروج من عنده يذهبون لزيارة الولي الصالح القطب الناصح ، سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعا الله به . ثم يذهبون لزيارة الولي الصالح سيدي علي العباسي نفعا الله به آمين . ومن هنالك يذهبون مقابلة لباب الجهاد يودعون وكيل الحرج ، ثم يذهبون لمراكبهم .

والحاج محمد القبطان ، عندما ودع وكيل الحرج (8) ، سأله عما اوصاه الامير ، فقال له اوصاني ان لقيت مراكب الاميركان ، بعد سفري بكذا وكذا ،

ان ناخذ ما وجدت منها . فقال له وكيل الحرج : خذ ما وجدت منها ولا تراعي
الأجل ، ولا تعمل بما أوصاك به الأمير . فقال له : السمع والطاعة . وقد
ظن القبطان ان وكيل الحرج تكلم بمراد الأمير . وانه غير رأيه بعد فراقه .
فطلع لسفنه وسافروا من حينهم . وبعد ثلاثة او أربعة أيام ، وجد مراكب
من جنس الأمير كان فآخذها . ورجع للجزائر ، فلما وصل خرج اليه قائد
المرسی ، فأخبره بان هذه المراكب غنيمة من جنس الاميركان ، اخذتها في
الغرب ، وأوصلتها الى المرسی ثم نرجع لتكمل سفرتنا . فذهب قائد المرسی
للأمير ، وأخبره ، فقام وقعد في موضعه ، واعتاظ كثيرا على القبطان ، وأمر
بقبضه .

علي برغل :

فلما ذهبوا لقبضه سمع وكيل الحرج فطلع لدار الامارة والتقى مع الباشا
في تلك الساعة وقال له : اني سمعت بانك اغتظت من القبطان وامرت
بقبضه فما أنا بين يديك افعل بي ما تشاء ، فاتا الذي امرته بأخذ سفن الامير
كان ، ظنا مني اننا نفوز بأخذه قبل ان يجمع مراكبه .

وأما الذي ذهب للقبض على القبطان ، فانه لما وصل لجفنه امره بالنزول
لملاقاة الأمير ، فتكلم له جميع الغزاة وقالوا : ان القبطان لا ينزل لاننا
مسافرون الآن ، فارجع الى الأمير وبلغ له سلامنا وقل له يدعو لنا بخير
وعندما نكمل أيام السفر ونرجع فانه يلتقي معه . فذهب الرسول وأخبره بما
وقع وبلغ له سلام الغزاة ، وكان قد سكن غضبه على القبطان واشتد غيظه
على وكيل الحرج . فسافرت المراكب في تلك الساعة . ووكيل الحرج رجع
لباب الجهاد . ومن الغد امر بنفي وكيل الحرج لبر الترك مع مركب كان ذاهبا
في ذلك اليوم ، وأعطاه جميع ماله في داره . فلما سافر من الجزائر وبعد
عن مرساها ، ظهر للأمير قتله ، وصاروا يجعلون الاشارات من برج الفنار
اولا بومضات ، فلم يرجع المركب ولا التفت الى الاشارة . فاطلقوا له مدفعا
من غير كور (9) فبقي ذاهبا ، فزادوه مدفعا بالكورة فسار ولم يرجع ، ووصل
الى استامبول ونال رفعة هناك . وبعد ذلك قدم الى طرابلس . وثار على
صاحبها ، واستقل بملك طرابلس . ولما سمع به حسن باشا دخله الرعب
منه ، وبعث لصاحب تونس (10) وأمره أن يتحرك (11) لطرابلس ليعين
صاحبها القديم ، ويقول له اني اردت أن أسدك بما تحب ، وكان صاحب

طرابلس المبعد قد استعان بصاحب تونس ، فخرجت محطة من تونس وذهبت الى طرابلس . واعانت صاحبها ورجعت لتونس . ولما بلغ خبر هروب علي برغل لمصر الى حسن باشا . كتب الى حمودة باشا يشكره على فعله .

والذي سمعت من كبراء بلدنا « الجزائر » الذين يعرفون علي برغل هذا ، هو انه رجل عاقل ، كريم ، منصف للحق ، حتى انه القى بنفسه للموت في قضية القبطان الذي اخذ مراكب الأمير كان . ولو لم يفعل ذلك لكان الأمير يقتل القبطان . وهذا القبطان لا يجود الزمان بمثله في الجهاد رحمهم الله . وقد تقدم ذكره في قتال الصبائيول وغيرهم . وبعدها اخذ مراكب عديدة من الأمير كان وغيرهم ، رجع للجزائر بغنائم لا تحصى ودخل الجزائر في يوم مشهود ، وامتلات أيادي الغزاة ، بالدراهم والحوائج .

فتح وهران :

وفي سنة الست (12) فتح الباي محمد (13) وهران من يد الاصبائيول وكان محاصرا لها ، وأطال الحصار عليها ، حتى سلموا وخرجوا منها ، وجاءت البشائر للجزائر بفتحها ، وانتقل الباي محمد اليها وسكنها وصارت مسكنا للبايات من بعده . ودخل الناس اليها وعمروها ، وبنيت فيها المساجد (14) .

وبعث حسن باشا ، بشارة فتح وهران ، ومفاتيحها الى السلطان سليم (15) ولما وصل الرسل الى استامبول ، وقابلوا الوزير ، وبلغوا له الرسائل بلغ الوزير البشارة للسلطان ففرح بذلك واستبشر المسلمون بهذا الفتح العظيم والنصر المبين . ولما استراح الرسل سرحهم السلطان وأكرمهم ، ووجه معهم لحسن باشا الخزمة والتقليد .

(هنا ترك المؤلف ستة سطور بيضاء)

موت محمد باي :

ان البايات كانوا يبنشون (16) كما اسلفنا كل ثلاثة سنين فقدم الباي محمد بعد فتح وهران بأيام ، كما هي العادة ، فلما اكمل أيام الضيافة بعد الثمانية ، خرج من الجزائر مكرما على احسن حال ، فلما وصل الى السائح بن خضرة كبير اولاد قصير ، وهي قبيلة كبيرة ، قريبة من قرية مزونة ، توفي الباي هنالك ، وحمله اولاده ميتا الى وهران رحمه الله ولما بلغ خبره الى الأمير اولى مكانه ابنه الباي عثمان . وقيل في موت الباي محمد ان حسن باشا بعث اليه من سقاه سما . وقيل انه مات فجأة ، لانه مات من غير مرض .

وعندما استقر الباي عثمان بوهران أمر عماله وقواده بان يرحلوا اليها من بلد معسكر ويسكنوها ، فامثلوا أمره ورحلوا كلهم وسكنوا وهران وعمرت البلد وكثر بها البيع والشراء ، وقصدها التجار من كل بلد .
قضية صالح باي قسنطينة :

وفي فصل الصيف من هذه السنة قدم باي قسنطينة صالح باي ، واتى معه باموال لا تحصى ، ودخل الجزائر في يوم مشهود ، ومن عين الربط وهو يوزع الضبلون (17) للفقراء وغيرهم حتى دخل دار الامارة ، واعطى مالا كبيرا للأمير ، من غير حصر ، ولاهله . وليلة من الليالي ، اخذه الباشا معه لداره ، وضيفة (18) ولم تكن هذه عادة الأمراء ، واعطى في تلك الليلة مالا لا يحصى عدده وخصوصا الى بنت الامير . وعندما كملت أيام الضيافة كما هي العادة ، وودع الامير ، البسه الامير عمامة مبرجة مثل الخواجة (19) وجعل له فيها ريشة من الذهب ، يسمونها باللسان التركي « تشانك » ولبس العامة ليس من لباس البايات . لان البايات يلبسون الشدود بالحريير والذهب فلما البسه العمامة ، فهم منه انه يريد قتله ، والعمامة علامة كفته ، فلما انفصل من عند الامير وركب فرسه ، أمر الامير باش زرناجي (20) بان يضرب النوبة على نعمة « لا حال يدوم » ومن عادة وزراء الجزائر عندما يسافرون ، تضرب النوبة من ورائهم ، والصناجق امامهم مدة سفرهم .

وصالح باي هذا ، هو الذي كان سببا في قتل خزناجي محمد باشا المتقدم ذكره . وبنت هذا الخزناجي كانت تحت حسن باشا قبل ولايته ، ولما مات محمد باشا وتولى حسن باشا ، طالبت زوجته بقتل صالح باي لتأخذ بثأر ابيها والحت عليه في ذلك . الى ان راي عزله . وكتب الى آغمة النوبة بقسنطينة بان يقبض على صالح باي ويسجنه . وبعث قائد سبوا الى قسنطينة بايا مكان صالح . وذهب معه اربعون رجلا من عمراوة . فلما قبض (آغمة النوبة) على صالح باي وسجنه ، بعثوا للمتولى الجديد وكان خارج قسنطينة ، فدخل البلد وجاءه كبراؤها وكافة العمال وقرأوا كتاب الامير ، ولبس الخلعة العثمانية . ثم كتب الباي الجديد للأمير وأخبره بسجن صالح باي ، ودخوله هو الى المدينة واعطى الكتاب لباش سيار ، وأمره بالذهاب الى الجزائر فذهب لحينه .

بعد ذلك اتفق من رأى جماعة صالح باي وقرابته من المخزن (21) ، بان طلوعوا للسراية عند الباي الجديد وقتلوه وصاروا ينادون على رجال عمراوه الذين جاؤا معه واحدا بعد واحد ، على ان سيدهم يدعوهم ، وكلما دخل واحد

منهم قتلوه ، وهكذا قتلوهم عن آخرهم وطلبوا للقضية الى صالح باي واخرجوه من السجن ، وذهبوا به الى موضعه دار (الباي) كما كان . أما السيار الذي ذهب الى الجزائر فانه عندما خرج من البلد اختفى خارجها ، لانه كان على علم بذلك . فلما وقع ما وقع ، اقاموا اياما كذلك وحسن باشا يراقب قدوم السيار صباحا ومساء . فلم يظهر له اثر . فعند ذلك تحقق عنده انه قد وقع شيء في قسنطينة وكان خائفا من الباي صالح ان يثور عليه . وكان الامر كذلك . فلما سمع بثورته ، وقتل الباي الجديد ، بعث محلة وفيها صهره علي (وكيل الحرج) وبعث معه الوزناجي باي تيطري ، علي ان يتولى بايا بقسنطينة ، بعد الظفر بصالح باي . فلما قربت المحلة من قسنطينة ، قبض على صالح باي اهل دائرته (22) واخبروا بذلك وكيل الحرج ، فدخل ومعه الوزناجي وقتلوا الباي صالح رحمه الله تعالى وتولى الوزناجي مكانه ، وحمل وكيل الحرج جميع الاموال ، والاثاث الرفيع والسلاح الثمين ، ما وجدته في الخزانة ، وما وجدته في داره ، من اموال ومصوغ ، وهذه الاموال كانت تقرب ما في خزانة الجزائر ، لكون هذا الباي طالبت مدته في الملك ، وساعدته الايام ، وكان قد وقع الغلاء في بر النصارى ، وكانوا يوسقون القمح والشعير من عنابة سنين عديدة ، حتى صار الباي لا يقبل الدورو من النصارى ولا الضبلون الممهود بيننا ، عندما تعميرت خزائنه ، فامرهم بان يجعلوا له ضبلون فيه مائة ضبلون ، فامثلوا امره ، وضمنوا له مثل ما امرهم . ولما استقر الوزناجي بقسنطينة واطاعته الرعية ، رجع وكيل الحرج بالمحلة .

ومما يحكى عن صالح باي ، انه كان يرفق بالرعية ، ويحسن للفقراء ، محيا للعلماء والصالحين ، وكان له حرث كبير ، وانعام كثيرة يستعين بها على شؤونه المخزنية ، وبني مسجدا بقسنطينة وصرف عليه اموالا قل نظيرها ، وجعل له اوقافا كثيرة . وبني مسجدا بعنابة ، وكلها للخطبة ، وكان مجاهدا ، وله مآثر حسنة . وقد تقدم الكلام عن بعضها ، واسمه طابق مسماه رحمه الله . انظر اليها المعتبر في امر هؤلاء ملوك الاتراك كيف يقتلون رجالهم ، وخصوصا خيارهم . والعجب كيف يقتل رجل مثل هذا ، لاجل خاطر زوجته على ما قيل والله اعلم (23) .

الحرب ضد الفلامنك (24) :

وفي سنة 7 (25) خرجت المراكب الجهادية سبعة اجفان بقصد الغزو ، والحاج محمد القبطان معهم ، واخذوا عشرين مركبا من مراكب الفلامنك ، ورجعوا للجزائر بهذه الغنائم ، وباعوا السلع والاثاث التي وجدوا في المراكب وقسموا

أموالها (26) فكان كل قسط ثلاثون سلطانيا ، وامتلت أيدي الغزاة . وفي سنة 8 (27) خرجت المراكب الجهادية الى البحر الكبير (28) أيضا ، وأخذت للفلامنك مراكب عديدة أيضا ، بها السكر والقهوة وغيرها من السلع ، حتى صار السكر لا يباع ولا يشتري ، وقيل أنه بالأسواق سبعة دراهم للرطل ، وجعل رؤساء المراكب بتاتي (39) بشاريات السكر في الزقاق ، يستقون الرجال والصبيان منه . ولما تم بيع السكر وغيره من السلع ، قسموا الدراهم على الغزاة ، فكان كل قسم 24 سلطاني .

الصلح مع الأمريكان :

وفي آخر السنة ، قدم الأمريكان يطلبون المهادنة مع الأمير ، بواسطة بعض الأجناس (الدول) فطلب الأمير ثلاثة ملايين دورو ، ومراكب جهادية : فوقع التشفع للأمير ، على أن يخفض له نصف مليون دورو . ويدفع زوج ملايين ونصف ، فرضي الأمير بذلك . ومع الدراهم ثلاثة مراكب جهادية . وعند ذلك عقد الصلح ، وضربوا الأجل ليأتي بالمال والمراكب ، فلما قرب الأجل دفع لهم المال ودفع المراكب : فركاطة وبلاندره ، وثلاثة سكاكين بألة حربها .

الحرب ضد جنسوا :

وفي سنة 1209 (30) ، أمر الأمير بتجهيز سبعة مراكب جهادية وعندما كانت خارجة ، أمر الأمير القبطان بان يسافروا لناحية جنوة وسردانية وياخذوا مراكب الجنويين والساد فاخذوا عشرة مراكب سارد وبعضها جنوي ، وعندما أتوا أيام سفرهم قدموا للجزائر وقدموا أمامهم الفنائم . ولما باعوا تلك الفنائم قسموا المال فكان ثمانية سلطاني لكل احد .

الحرب ضد النابوليتان (31) :

وبعد قسمة الغنيمة ، سافرت المراكب الجهادية بقصد جنس النابوليتان ، فغنموا منه ثمانية مراكب ، ورجعوا للجزائر سالمين غاثمين والحمد لله . هكذا سمعت من لسان الحاج مصطفى وليد عيسى وقال وهو ممن حضر أخذ هذه الفنائم : ركب حميدو (32) بركنتي قرصان ، وسافر فيه الى ناحية جنوى ، فالتقى مع بركنتي جنويز ووقع القتال بينهم ثم انزل الله نصره على المؤمنين وهجبوا عليه وأخذوه ، ورجع به الى الجزائر .

الحرب ضد البرتغال وغلطة كبرى :

وفي سنة 11 (33) سافر الرايس محمد بن زمران في الكريبط (34) الذي اعطاه الفرنسيين في مقابلة الشيطنة التي خرقها النابوليطان ، وسافر ابن

زيمان بقصد الغزو على البرديز ، فلما دخل الى البحر الكبير ، التقى مع زوج فراقط ، وكريبط وبلاندار ، ومركب صغير بصارى واحد يسيونه الكوטר (35) وقت العشاء ، فظهر للمسلمين ان تلك المراكب انما هي مراكب البرديز . والانكليز شاهدوا من جهتهم كريبط فرانسيس ، ووقع بينهم القتال الى نصف الليل . نحو الخمس ساعات . ثم ان النصارى سمعوا كلام المسلمين ، فعند ذلك نادوهم : من تكونون انتم ؟ قالوا نحن انكليز . فقالوا له : وكيف وانت صديق وتقاتلنا ؟ فقالوا : المركب مركب فرنسيس ، وانا عدو مع الفرانسيس ، فلذلك قاتلناكم . ثم انزلوا زوارقهم ، واتوا اليهم بالأطباء ، واشتغلوا بالمجروحين . والأموات ، فمن استشهد رموا به الى البحر ، ومن استحق القطع في يده أو في رجليه قطعوه . ومن لم يستحق القطع جعلوا له الدواء . وانا رايت رجلا من الأتراك قطعت له رجل واحدة ، ووضعا مكانها عمودا فهو يقف على العمود ويشغل في خدمته صناعة الحديد . ثم اتوا بالنجارين والبحرية واشتغلوا بترقيع الكريبط ثلاثة ايام حتى اصلحوا ما فسد منه ، واعطوهم ما يخصهم من آلات الحرب . ثم افترقوا بعد ثلاثة ايام .

فسافر ابن زيمان الى ناحية بر الغرب ، وكان ظهر له انه اذا رجع للجزائر يقتله حسن باشا لما يعلم من حماقته . فقتل للبر وأمر بتزال زورق فانزلوه وحمل سلاحه ، وقال لباشا رايس : انا اذهب لتلك الجزيرة لأنظر الهواء بين الجزر ، فذهب للبر ، ولما نزل قال لمن معه في الزورق : اذهبوا للمركب ، وعندما تجدون الريح مناسبة ارجعوا للجزائر . فرجعوا للمركب واخبروا الغزاة بذهاب الرايس ، وبما أمرهم بالذهاب الى الجزائر ، فرجع الكريبط للجزائر والرايس ذهب للمغرب واقام هناك الى ان مات حسن باشا . وعندما وصل الكريبط الى الجزائر وعرفوه ، ولم يروا الصاناجق (36) ظنوا ان الرايس مات ، فلما وصلوا وعرفوا القضية قال الأمير : لو اتى لقتلته !

وبعد يومين او ثلاثة ايام ، جعل (الأمير) رايسا للكريبط . وانشأ زوج بركنتى ، واحدا باربعة عشرين مدفعا ، والثاني بستة وثلاثين مدفعا . وانشأ زوج بلاندرات ، بكل واحدة أربعة وعشرون مدفعا .

اهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 - حسن باشا هو مجدد مسجد كمشاوة او مسجد رحبة الماعز . الذي اغتصبه الفرنسيون اول عهد الاحتلال ، وجعلوه كاتدرائية . واسعدني الله

بان استرجعته منهم أول أيام الاستقلال . وبنى الدار البديعة الملاصقة له ، والتي أصبحت فيما بعد دار الحاكم العام الفرنسي ، واتخذت منها بعد الاستقلال مقرا لوزارة الاوقاف الجزائرية .

2 - قدم حسن باثنا قرضا لفرنسا قدره خمسة ملايين فرنك ذهب دون فائض .

3 - استرجع مرسى القالة من فرنسا . بعد أن ضيق عليها باي قسنطينة

4 - سلم الجزائريون للمغاربة مدينة وجدة ، بعد أن بقيت مدة طويلة ضمن بلاد الدولة الجزائرية وذلك سنة 1210 (1795)

5 - تولى الامارة أيام السلطان سليم الثالث . وفي أيام هذا السلطان كثر ضغط الجيش الانكشاري على الدولة ، والفتنة ضد النظام العسكري الجديد . وقد شجع شيخ الاسلام هذه الفتنة وحرص عليها ، بدعوى ان الأخذ بالنظام العسكري الأروبي الحديث ، كضرورة

6 - كان القاضي الحنفي في أيامه الشيخ محمد بن عبد الرحمن . والقاضي المالكي الشيخ الحاج علي بن عبد القادر ثم الشيخ محمد بن الشاهد ثم الشيخ محمد الخوجة ثم الشيخ محمد بن علي ثم الحاج محمد بن مالك .

التعليق

(1) 1205 (1790)

(2) من أكبر مغامري الجيش التركي بتربيقيا . وكان له بعد حوائثه بالجزائر ، وقائع كبيرة في بلاد طرابلس ، امتدت جذورها الى البلاد التونسية .

(3) يقدمون للأمير تحية الصباح .

(4) لماكن حكمهم ومعلمهم

(5) قصر الجبينة البديع ، الذي كان واقعا على يمين ساحة الشهداء اليوم . وقد أحرق أيام احتلال فرنسا للجزائر . والساعة الكبيرة التي كتبت على واجهته ، هي الموضوع اليوم على رأس منارة الجامع الحنفي الكبير ، الذي يدعى الجامع الجديد .

(6) 1206 (1791 م)

(7) دولة الولايات المتحدة الأمريكية

(8) وكيل الحرج ، أحد وزراء الدولة الجزائرية العثمانية وهو المكلف بكل الأمور البحرية .

(9) الكور في الاصطلاح الجزائري هو القنابل (وصحيحها : القنابل)

(10) جريدة باشا من أشهر ملوك العائلة الصينية - وكان السبب في هودة الحرب بعد ذلك بين تونس والجزائر كما سير بك .

(11) أي يرسل حركة عسكرية

(12) 1206 (1791)

(13) من أشهر وأعظم بليات الأتراك بالولايات . راجع ترجمته الثرية في كتابنا : محمد عثمان باشا ، داي الجزائر : ص 158

(14) ومنها مسجد « الباشا » الشهير وهو تحفة فنية وقد بني بعد الفتح بقليل ، ودمى مسجد الباشا تخليداً لذكر الداى حسن باشا رحمه الله .

(15) هو السلطان سليم الثالث ، الثامن والعشرون من آل عثمان ، وهو الذي احتفلت الجزائر وكل البلاد العثمانية بميلاده كما تقدم في الصفحة الأولى من الكتاب (تولى سنة 1203 (1789) وخرج سنة 1222 (1807)

(16) القديش في الاصطلاح الجزائري هو دفع الباى كسل ثلاث سنوات للضرائب والأتاوات المفروضة عليه لخزينة الدولة كما سبق تفصيله .

(17) الضبلون قطعة فضية كبيرة تمثل اثنين من قطع الدورو

(18) أي أقام له مأدبة ضيافة

(19) جمع خوجة . وهم كتاب ورؤساء كتب الدولة والدواوين

(20) أي رئيس الفرقة الموسيقية التقليدية التي تعزف ألحانها بواسطة « الزرنة » وهي ناي متطور . ولا تزال تستعمل إلى الآن بالجزائر .

(21) المخزن كلمة عربية ببنية قديمة ، ادخلت في الاصطلاح العثماني ، ومعناها الحكومة أو الدولة ، وتستعمل بنفس المعنى في المغرب الأقصى .

(22) أي خاصته ورجال ديوانه . وهم الذين كتوا تولوا كبر المقاومة والمصيان ، وحنه على الثورة

(23) ربما كان لزوجة الباشا ضلع في عزل صالح باي والله أعلم ، أما مقتله فلأجل الفتنة والمصيان كما تقدم . وقد بينا ذلك بجلاء في كتابنا : محمد عثمان باشا - فليرجع إليه من أراد .

(24) نسبة إلى بلاد « الفلاندر » وكانت ولاية ممتازة ضمن هولاندا النمساوية . قبل تكوين الوحدة الهولندية الحالية .

(25) 1207 (1793)

(26) بعد دفع الخمس لبيت مال المسلمين بالجزائر . وتلك كتبت قاعدة السفن الجهادية من البداية إلى النهاية

(27) (1794)

(28) المحيط الاطلسي

(29) — الجراميل — ويقتل لها في الجزائر : البنية جمع بنتاني

(30) 1209 (1794)

(31) أهل دويلة نابولي ، وقد سبق ذكرها

(32) هو الرايس حميدو بن علي الجزائري أشهر رجال البحر الجزائريين

(33) 1211 (1796)

(34) سفينة حربية تدمى بالفرنسية « كورفيت »

(35) تدعى بالفرنسية « كوتر »

(36) الرابطة •

ذكر ولاية مصطفى باشا

في قعدة سنة 1212 (1)

ولما توفي حسن باشا ، تولى حفيده مصطفى الخزناجي ، وكان رجلا صالحا ، حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء رحيفا بالفقراء والأيتام ، محبا للمجاهدين والغزاة وكان شجاعا رحمه الله .

ولما استقر بالملك ، أولى مصطفى آغة ويعرف ببقار خزناجيا ، وأولى الحاج علي آغة في مكان الآغا الذي تولى خزناجيا . وكان هذا الخزناجي (مصطفى آغة) مبغضا للعرب محبا لليهود . وعزل الحاج عمر باشا كاتب صهر حسن باشا ، واعتقله أربعين يوما ، وصادره بأربعين ألف محبوب ، ثم أطلقه من السجن وأولى مكانه باشا كاتب : حسن المنايبي .

قصة الباشا كاتب المعزول :

وسبب اعتقال الحاج عمر ومصادرته ، هو أن مصطفى باشا ، عندما كان خزناجيا ، تزوج من صهرة خاله حسن باشا ، بعد ذهاب علي برغل المتقدم ذكره . فعندما دخل بها ، وأراد منها ما يريد الرجال من النساء ، قيل أنها دفعته برجلها . ولم يظهر لها فيه (2) ، لأنها كانت جميلة ، وكان زوجها المنفي (علي برغل) ، مثلها في الحسن . وكأنا متحابين . فلما نفى زوجها ، وطلقوها منه طلاق الأكرام وزوجوها من هذا الرجل لم يظهر لها فيه فطلقها . فعندما مات خاله ، صادر الحاج عمر الباشا كاتب لكونه خالها . هذا على ما قيل . وقيل أنه فعل ذلك بغضا للخزناجي لأنه كان صهر الأمير . ففعل به ذلك (3) .

وأما مصطفى باشا ، فإنه كان حليبا . والخزناجي كان متجبرا صائلا واطن
انه لولا حلم الأمير ، لكان فتك به قتلا .

خلاف كبير مع الدولة العثمانية :

وعندما استقر بالملك ، عين الحاج يوسف وكيل الحرج . وكاهيته الحاج
مصطفى ، وأصلهما من اعسلاج (4) الصبائيول ، وأمرهما بالسفر للدولة
العلية وحملهما هدية للسلطان واهل دولته . فلما وصلوا الى استامبول ،
انزلوهم كما هي العادة ، وبعد ذلك ظهر للسلطان واهل دولته ان لا يقبلوا منهم
تلك الهدية . وقالوا لهم : انكم استوليتم على بعض مراكب الكريك (اليونان)
وهم من الرعايا العثمانيين ، وبعثنا لكم لتردوا ما أخذتم فامتنعتم ، وأدعيتم
عليهم شيئا وابقيتم السفن عنكم . ثم ان رجال الدولة العثمانية ثقفوا
(حجزوا) جميع ما أتوا به ، كما ثقفوا جميع أموال التجار الذاهبين معهم .
وأخرجوهم من بيوتهم ، وطبعوا البيوت (اي وضعوا عليها الأختام) .
وسكتوا عنهم . فرجع الكاهية الحاج مصطفى للجزائر ، وحمل معه مالا آخر
وكتبا ، ولما وصل دفع لهم المال .

غزواته الاولى :

جهز اولا خمسة مراكب جهادية وأرسل بها الى بغاز (مضيق) الكورنة(5)
فلاقوا ثلاثة مراكب من جنس الكريك (اليونان) وأخذوا ما بها ، وباعوه في
الكورنة ، والمركب الثالث محمل فحما . واتوا بالسفن الى الجزائر ، ثم
قسموا مال الغنائم فكان كل باي (قسم) عشرة دورو (6) أما السفينة البلاكرة
من سفن الفنتيمة فقد عمرها الامير بالمدافع وسماها « الزينطوطة » وجعل
لها رائسا ، وأخذ بها غنائم كثيرة .

وبعد اقامة خمسة ايام بالجزائر ، رجع الغزاة الى ناحية اسبانيا ، فالتقوا
مع الكريك (اليونان) فتلاحموا معهم ، وكان جملة ما غنموه ثمانية عشر
مركبا محملة بالقمح وانواع السلع ، ونزلوا بتلك الغنائم بعدما رجعوا للجزائر
وعمروا دكاكين بأبستان (7) واقاموا اياما وهم يبيعون الغنائم ولم ينتهوا من
ذلك الا بمشقة . وعندما تم البيع ، وجمعوا الدراهم ، قسموا 22 سلطاني
لكل واحد .

مرتب قار للبحارة :

ثم ان الأمير تشاور مع القبطان الحاج محمد علي البحارة ، فاتفقا على ان
يكون لكل بحار راتب قار هو 4 بجة . وكتب (سجل أسماء) البحرية .

واستمروا على ذلك الراتب الى أيام حسين باشا ، وانقطعت الغنائم ، فزاد في راتبهم زوج بجة .

الحرب ضد النابوليطان :

في سنة 13 (8) أمر الأمير بتجهيز سبعة مراكب جهادية وأمر قبطان تلك العمارة بالغزو على النابوليطان . فلما وصلوا الى بر سيسيليا وقربوا من الأرض ظهر لهم مركب بازاء حصن ، وتعذر الدخول على المراكب ، فشحنوا زوارق المراكب بالغزاة وآلة الحرب ليخرجوا ذلك المركب من المرسى . فلما رأهم النصارى هربوا لذلك الحصن . ولما وصل الغزاة الى المركب وجدوه فارغا فاحرقوه ، وصار اهل الحصن يضربونهم بالكوز (9) . فاتفق من رأي الغزاة ان يفتكروا ذلك الحصن ، واصحابه يرمونهم بالمدافع ، ولما رأى اصحاب الحصن ان المسلمين قد اقتربوا منهم ، هربوا وتركوا الحصن فارغا ، فدخل اليه المسلمون ونهبوا ما فيه . وكان النصارى قد تركوا بعض البارود خارج الخزنة ، فاجتمع بعض الناس ليحملوه ، فأتى شاولس (10) من شواش العسكر لينظر ما تفعل تلك الجماعة ، فلما قرب منهم ولم يلتفتوا اليه ، أطلق نار بندقيته على الأرض ، ولم يكن له علم بالبارود ، فاشتعلت النار ، واحترق بعض الناس ، ودهش الذين كانوا بأعلى الحصن ، فلما اطلعوا على القضية ، حملوا من احترق بالبارود ، وحملوا ما قدروا عليه من الآثاث ، وآلة الحرب ، وانفسدوا المدافع ، ثم رجعوا لزورقهم . وعند عودتهم وجدوا مركبا صغيرا ، لاهل مالطة ، محملا بالجبن والكتان . فحملوا الجبن ، واحرقوا المركب والكتان ، ثم رجعوا الى سفنهم .

ومن الغد تلاقوا مع سفينة وفركاطة (11) أما مراكب المسلمين فكانت فركاطة وكربيط ، وشيطة ووقع بينهم القتال ثلاثة أيام دون انقطاع ، لقلة الريح ، وفي اليوم الرابع افترقوا سالمين . وألقى الله الرعب في قلوب المالطية فما قدروا عليهم . ومن هنالك ذهبوا لتونس ، فوجدوا اخوانهم الذين سبقوهم .

الحرب ضد البرتغال :

وفي سنة 14 (12) ، خرجت سبعة مراكب بنية غزو البردقيز ، وكان جنس المنامسة قد بدل بنديرتة (علمه) وجعل بنديرة اخرى ، فلقى المسلمون مراكب للمنامسة (13) فغنموها ، لأنهم وجدوهم من غير بنديرتهم الأولى واتوا بها للجزائر ، وباعوا ما وجدوا فيها من السلع ، واقتسم الغزاة مال الغنيمة .

فلما سمع الامبراطور بذلك اشتكى للسلطان سليم . فبعث هذا قبجي باشى الى الجزائر وبيده فرمان (14) لمصطفى باشا ، ليرد مراكب المنامسة فلما وصل قبجي باشى ، والتقى مع الباشا وقرا فرمانان ، اطلق النصارى من الأسر ، وكتب للسلطان بان الغنائم اقتسمها الغزاة وهؤلاء الناس . ورجع القبجي باشى بالجواب والأسرى الى اصطامبول .

وفي هذه السنة خرج الرايس ابن طابق (15) في سفينة البركنتي الكبيرة ، وعليها ستة وثلاثون مدفعا ، فلقى سفينتين للبردقيز . وهما بلاندة وسكونة ، فقاتل البلاندة وأخذها ، وهربت السكونة ، فلحقها تحت برج برصلونة . من بلاد الاسبانيول ، وعليه ثلاثمائة مدفع . وصار أهل البرج يضربونه بالمدافع ، وهو راغب في أخذ السفينة ، فعندما لحقها ، أرسل اليها البركنتي فأغرقها ثم رجع للبلاندة ، وحمل منها الأسرى النصارى ، ورجع للجزائر .

بطولة حميدو :

وفي سنة 15 (16) ، خرج القبطان حميدو للغزو في فركاطة . فلما وصل قرب قاب كطة رأى فركاطة أكبر من فركاطته ، وكانت للبردقيز الذين خرج لقتالهم . فلما قرب منها قربا بعيدا عن القتال رفعت الفركاطة البردقزية علم الانكليز ، فأمر القبطان حميدو رحمه الله برفع الصناجق ، والعلم الذي يحمل رسم الفرس ، وهو خاص بالقبطان الكبير ، وأطلق مدفعا بالكور ، فلما عرف البردقيز انه حميدو لانه يعرف براية الفرس ، انزل علم الانكليز ورفع علم البردقيز ، وأطلق مدفعا على سفينة حميدو .

وكان الغزاة متهيئين قبل ذلك . فنادى القبطان علي جماعة الغزاة وقال : هذه فركاطة بردقيز نطلب ان تكون غنيمة لنا ان شاء الله . وقال انه يدفع للعدول الذين يبتدأون الهجوم على مركب العدو أولا ، الى حد العشرة قيمة نصراني لكل واحد ، وعليكم بالصبر والثبات ، وأمر الغزاة برفع أكفهم الى الله تعالى ، يدعوونه ، فرفع المسلمون أكفهم وتضرعوا الى الله تعالى ثم ان الله أفرغ عليهم صبره ، فالتقوا من سفينة البردقيز ، وابتدأ القتال ، والقبطان واقف على الكرسي (17) وعليه آلة حربه ، يشجع المجاهدين ، ويأمر صاحب الدمان (18) بان يقترب من العدو حتى تلتصق السفينتان ، فتم الأمر كذلك . ومن الوفاق الالهي ان دخل مخطاف الفركاطة في مخطاف الاخرى ، حتى صارا كأنهما مركبا واحدا . وأراد النصارى ان يفرقوا بين المركبين فلم يستطيعوا . وأخذ المسلمون سيوفهم في أيديهم وهجموا على

مركب العدو ، فوجدوا انه وضع شبكة على المركب . فعند تقطيعها استشهد بعض المجاهدين وجرح آخرون ، وعندما قطعت الشبكة ودخلوا للمركب والسيوف بيدهم ، هرب النصارى لأسفل الفركاطة ، ومن اظهر الشجاعة منهم قاتلوا المسلمين ، ثم دخل كافة الغزاة واخذوا الفركاطة وقبضوا على النصارى ورفعوا بعضهم لفركاطة القبطان حميدو وبعضهم تركوهم في فركاطتهم ووضعوا القيود الحديد في ارجلهم ونهبوا ما فيها من حوائج النصارى

وقد رايت مصطفى الرايس ، وبوجهه اثر البارود وهو اول من هجم على مركب العدو ، وهذا دليل على شجاعة القبطان حميدو ومن معه من الغزاة رحمهم الله تعالى ، وحشرنا مع زمرة المجاهدين .

ثم ان القبطان ، بعدما اخذ الاسرى ووضعهم في الاغلال امر باش رايس وهو دحمان وليد بابا شريف ، وكان رجلا شجاعا عارفا ، ان ياتي له بحوائجه وما يلزمه من آلات السفر الى الفركاطة البردقيز ، وابقاه رائسا بها ، ووعدته بركوبها حين يصل الجزائر ان شاء الله . وكان الامر كما وعده . ثم ان القبطان طلع لمركبه وبقي وليد بابا شريف هنالك ، وسافروا جميعا قاصدين الجزائر بهذه الغنيمة العظيمة . فلما راوا الجزائر امر القبطان (حميدو) وليد بابا شريف ان يعمر مدافع الفركاطة ويطلقها مدفا بعد مدفع ، عندما يتم القبطان اطلاق مدافعه على تلك الصورة . ثم يستأنف القبطان الاطلاق وهكذا . وعندما اصبحوا امام الجزائر امر القبطان برفع الصناجق والعلم الذي فيه الفرس ، وابتدا بضرب المدافع على الصورة السالف ذكرها . الى ان دخلوا المرسى . وعندما رآهم صاحب الناظور ، قدم للامير واخبره انه رأى فراقط ، وانها تضرب المدافع على التوالي . وقد كان حميدو خرج بفركاطة واحمد رايس الزمري خرج في فركاطة اخرى وخروجهم كان مفترقا فتشعب عليهم الامر ، وامر الامير صاحب الناظور ان يذهب ويحقق له امر الفركاطتين ، فذهب ورجع اليه بعد حين ، وقال له : اما من ناحية واحدة فانها فركاطة الرايس حميدو ، واما الاخرى فلم نعرفها ، ثم تلقاه قائد المرسى من بعيد ، واخذ منه الخبر ، ورجع للامير واخبره بان حميدو اخذ فركاطة بردقيز ، فاعطاه بشارة كبيرة ، لكونه كان كريما ، واستبشر الامير ، واستبشر جميع المسلمين وذهب جميع الناس لملاقاته بحيث لم يبق في البلد الا العاجز ودخل في شهرة عظيمة كانه يوم عيد ، وتعجب الناس من صنعه لانها فركاطة اكبر من التي كان فيها . وتحققوا انه لا نظير له في اقدامه وشجاعته . واهتز له الامير واهل دولته . واشتغل بعد نزوله المرسى بانزال الاسرى والذخائر .

فلما اتم الأمر ذهب لملاقات الأمير والأسارى خلفه وعددهم نحو الخمسمائة أسير ، وطلع في هياة حسنة ومشهد عظيم . فلما وصل عند الأمير ، وقبل يده دعا له وخط عليه خبطة سنينة ، ثم خرج لداره ، وذهب بالأسرى لموضعهم مع اخوانهم المتقدمين في الاسر ثم ان الأمير أحسن للغزاة ولكافة المجاهدين وامتلات ايديهم بما أحسن به الأمير اليهم ، وبما غنموا من الغنينة . ثم ان الأمير خير القبطان بان يبقى راكبا فركاطته ، او يركب الفركاطة البردقيز فاختر بقاءه في فركاطته وطلب منه ان يركب في الفركاطة الأخرى وليد بابا شريف ، وأخبره انه وعده بذلك ، فامضى له عهده ، وتولى وليد بابا شريف امر الفركاطة البرتغالية .

غزو بلاد النابوليطان :

وفي سنة 16 (19) خرجت مراكب جهادية ومعهها وليد بابا شريف في الفركاطة البردقيز ، الى ناحية قارواوليا (20) من بلد النابوليطان وانزلوا الغزاة في الزوارق بألة حريمهم ، وذهبوا للبر وغزوا على رعية النابوليطان فغنموا واتوا بثلاثماية وخمسين أسيرا منهم ستة عشر روميات بأولادهن ورجعوا الى زوارقهم ثم طلوعوا مراكبهم في تلك الليلة ، وسافروا الى قابو بأسطرو (21) فالتقوا مع سفينة بردقيز ، رئيسها السكر نيجة ، فعندما رأى هذا السفن وتحقق انها مراكب الجزائر فر منها الى مسينة . ثم انهم لما اكملوا أيام سفرهم رجعوا للجزائر .

موقفه من استيلاء فرنسا على مصر :

ولما أخذ الفرنسيين مصر (22) ، وبلغ خبر ذلك الى مصطفى باشا ، استدعى القنصل الفرنسي وساله عن ذلك ، فاخبره بانهم اخذوها فاغتاز الأمير لذلك ، وأمر ان يجعلوا قيد الحديد برجله ، وان يخدم الحجر مع الأسرى واستدعى جميع قناصل فرنسا الذين بالجزائر مثل عنابة ووهران وعندما قدموا وضع القيود في أرجلهم مثل صاحبهم ، يخدمون الحجر ، وعندما بلغ خبرهم لفرنسا ، كتب رجالها للسلطان فبعث لمصطفى باشا ليطلقهم ، فرجعوا لبلادهم . وبقي مع الفرنسيين في العداوة الى أن فتح الله مصر .

وكانت المراكب الجهادية قد سافرت اثناء ذلك فالتقت مع اثنين من مراكب الفرنسيين فاخذوها غنينة وبقي اصحابها أسارى الى أن وقع الصلح ، وقسم الغزاة تسعة عشر سلطاني لكل غاز منهم . ثم سافر قاره دنكزلي (23) في

سفينة بلاندره فلقى سفينة فرنسيس وهو قريب من قالص (24) فلما قربت سفينة الفرنسيين من البلاندره ابتدأها المسلمون بالقتال فاطلقت السفينة مايتي مدفع على البلاندره غيضا عليها لأنها ابتدأت القتال والبلاندره لا تضاهي السفينة ثم أخذها المسلمون ودخلوا بها الى قالص فقال راييس سفينة الفرنسيين للأسبانيول ، انهم أخذوني قريبا من بلادكم ، فابقي الاسبانيول البلاندره عندهم ، ثم أرجعوها للجزائر ، وأما رجالها فقد ذهب بهم الفرنسيين الى بلدهم ولما وقع الصلح ، بعد الثلاثة سنين أرجعوهم للجزائر بعد ان أعطاهم البونابرتي (25) عشرة دورو وزوج كساوي ملف لكل واحد .

وخرجت بعد ذلك فركاطة من الجزائر بقصد الغزو ، ورايسها الحاج علي ططار ، فرأى يوما من الأيام مركبا ، فجعل له اشارة ليأتيه فلما رأى المركب الاشارة هرب ، فزاد اشارة اخرى ، فزاد في الهروب فعندما لحقه ضربه بكورة مدفع ، فرقد المركب ، وجاء رائسه في زورق فلما طلع سألته عن جنسه فقال له فرنسيس فقال له : ولماذا هربت ؟ فاعتذر له ، فأمر به فربطوه الى مدفع ، وضربه مايتي سوط . ثم أطلقه .

ومن عادة رجال البحر القرصان ، انهم اذا لقوا مركبا وجعلوا له الاشارة ولم ياتهم فاتهم يلحقونه فيؤذونه . وهذا الرايس الفرنسيين قيل انه مات من ذلك الضرب . ورجعت الفركاطة بعد تمام سفرها .

وبعد ايام من ذلك ظهرت عمارة بحرية على مدينة الجزائر . فلما قربت رفعت راية الفرنسيين ، وكانت مؤلفة من اربعة عشر سفينة . وفي تلك الأيام كانت وقعت طريفوة (26) اي مهادنة بين الفرنسيين والانكليز . الى اجل معين . فلما أرست السفن ، ذهب اليها القنصل مع قائد المرسى ، فوجدوا فيها اخوي البونابارطي ، وقال لهما اننا نريد مقابلة مع الباشا فرجعا ، واخبر الباشا بذلك ، ومن الغد ذهب القنصل ونزل مع الاخوين والتقوا مع الامير فاخبره الاخوان بما فعل الحاج علي ططار مع الرايس الفرنسي ، وانه مات من الضرب ، وسأله عن قتل نفسه عن عمد في دين المسلمين ، فقال له : القاتل يقتل . فقال له : نطلب منك ان تحكم عليه بشريعتكم . ثم خرجا من عند الامير لدار القنصل . وتالم الامير من هذه المسألة كثيرا وكان لا يقدر على التحيل فبعث للخزناجي ، واخبره بالواقع ، وأمره ان يقبض على الحاج علي ططار ، ووضعها في سجن دار سركاجي ، ثم نادى لأخيه (27) بوجناح ، مقدم اليهود ، فلما قدم اليه اخبره بالقضية وقال له لا بد ان تنظر كيف تسلكها ، فقال له بوجناح : ابعث لسيدي عاشور ، وهو رجل من أهل البلد ، وكلفه

أنت بهذا الأمر ، فبعث له في الحين وأحضره بين يديه وأخبره بالقضية ،
فأجابته : ان شاء الله نسلكها .

ثم أخذ معه اليهودي ، وذهب لأخوي البونابارطي ، وكان سيدي عاشور
ذا همة في اللباس ، وله قد ، ووجه سمح ولحية ، يعرف كيف يتكلم وقد
أعطاه الله اقبالا ، فمهما تكلم في أمر الاسهل الله له فيه . فلما وصلا لدار
القنصل وتقابلا مع اخوي البونابارطي ، تكلم معهما مقدم اليهود باللسان
الفرنساوي ، فلما سألاه عن سي عاشور ، قال لهما هذا سانطو (28) كبير
عند المسلمين . فعند ذلك قاما على اقدامهما وتواضعا له كثيرا ، ثم سأل
اليهودي : ماذا يريد ؟ فترجم ذلك لسي عاشور ، وقال له : يقول لك اخو
الراي (29) ماذا تريد ؟ قال أريد منه ان يقضي لي حاجة ولكن لا أذكرها له ،
لاني أخاف ان لا يقضيها لي ، وتكون لي معرفة بين المسلمين ، وتكون له معرفة
بين الرايات (30) . وأنا ما أتيت الا لاني سمعت الخير عنه وعن أخيه وقدمت
اليه لأرى وجه رجل من اهل الخير وكلام آخر من هذا المعنى . وأطال الكلام
مع اليهودي فتعلق النصراني وسأل اليهودي فأخبره بما تكلم به ، فتصاغى
له النصراني وصار يرغبه في ان يتكلم بما يحب وأنه سيقضيه له ولو كان ما
كان . ثم انه (سيدي عاشور) تكلم مع اليهودي وعينه تسيل بالدموع ، كان
ذلك البكاء كان حقا ، وهو بكاء الفجار . فلما انتهى كلامه قال اليهودي
ان هذا الصانطواتاك لكي تشفع له في رجل حبسه الامير ليقتله وله اولاد
صغار ، حملتهم اليه امهم ليشفع لابيهم عند الامير ، والامير لم يقبل شفاعته ،
وهو عازم على قتله في هذه الليلة الا اذا أنت سامحته وبعثت للامير بذلك ،
فيمكن ان يطلقه فقال له : انني سامحته لخاطرك ولو كان الأمر اكثر من هذا
لقضيته لك . وأظهر له البشري ، وسي عاشور يزيد في البكاء ، فلما أخبره
اليهودي بقوله رفع رأسه للمساء كأنه يدعو له ، وطلب منه ان يكتب كتابا
للأمير بأنه سامحه وأنه يطلب اطلاقه اكراما لخاطره . فكتب له كتابا بخط
يده للامير ، ودفعه له ، فشكر له ، ثم انه أعطاه هدية دراهم نحو الف يورو ،
وخرج متوجها للخزناجي ، وناوله كتاب النصراني وأخبراه بالواقع فاستبشر
لذلك ، وبعث الكتاب حينئذ للامير ، وأخبره بما وقع . ففرح فرحا شديدا ،
لانه التزم للنصراني بقتله ، فامر بالأفراج عن ططار في الحين ، وبعث
خيمانية محبوب لسيدي عاشور ، وقيل ان الخزناجي أعطاه كذلك ،
والله اعلم .

الخلاف مع الانكليز :

وفي يوم من الأيام ، اغتاز مصطفى باشا على قنصل الانكليز ، وأمره

بالذهاب الى بلده ، وكان مراده ان يبذل بقنصل آخر ، فبعث له الانكليز وقالوا له ، اننا لا نبذل القنصل القديم ، وان لم تقبله فلن العداوة تكون بيننا ، فارسل اليهم يقول : اننا لا تقبله وانعلوا ما شئتم . ثم اتاه خبر ان عمارة الانكليز قادمة لا محالة ، فامر باحضار اللنجور (31) وكان قد امر بإنشاء مايتين منها ، فاحضرت وعمروا الأبراج (32) بما يخصها من الآلات الحربية ، وقدم بنفسه لباب الجهاد واقام هنالك وكل ليلة يخرج اللنجور للعمسة فكان رحمه الله يركب في زورق ويتولى العمسة مع المجاهدين وأمر باعطائهم الارز واللحم وجميع الغلال في كل ليلة . فكانوا يأكلون وما بقي لديهم يلقون به في البحر ، وهذا كله من كرمه وشجاعته . وبعد أيام قدمت العمارة الانكليزية ثلاثون جنفا ، وتكلموا معه في ارجاع القنصل القديم ، فلم يقبل منهم الا القتال .

ثم بعد ذلك وقع الصلح من غير قتال ، وغسر الانكليز القنصل وقبلوا الشروط واطفا الله نار هذه الفتنة . وهذا كله من نصر الله له ، رحمه الله .

معركة مع النابوليطان :

وفي سنة 17 (33) امر بتحضير سبعة مراكب منها ثلاثة فراكط . وجعل امراءها : حميدو القبطان على واحدة والرايس شلبي على فرقاطة البردقيز والرايس محمد وعلي (34) على الثالثة ، وجعل محمد وعلي هذا قبطانا على الجميع لكونه أقدم الرؤساء ، وحميدو كان يرفع على فرقاطته علم فرس الشجاعة . فبعد أيام من سفرهم ، التقوا مع سفينة من جنس النابيطان ، فتقدم منها القبطان شلبي لكي يظهر شجاعته ، ولان فرقاطته كبيرة . فلما لحق بها ، ابتدا القتال ، وصار النصارى يطلبون الامان من شلبي ، وهو لم ينتبه اليهم . وكانت له رغبة في الالتصاق معها كما فعل حميدو (مع الفرقاطة البردقيز) وبقي يقاتل حتى التصق معها فلما حاذاها صارت السفينة مائلة على الفرقاطة ، لا يستطيع المجاهدون الصعود اليها ، ولما رأى النصارى ذلك أخذوا يضربون المسلمين بالرصاص والمسلمون كذلك الى الليل . فلما نزل الظلام ، ذهب السفينة عن الفرقاطة ، وحميدو قريب منهم ، ينظر ، ولم يتقدم لامانته وكانت بقية المراكب ابعد من حميدو ، ويحكي عنهم من حضر تلك المعركة ، فقال : لو شاء حميدو وتقدم لأخذوا السفينة . ولكن انظر ما ظهر له في ذلك ، واستشهد كثير من المسلمين وسفينة العدو عندما هربت ، دخلت مرسى مسينة لتصلح ما فسد منها . اما مراكب المسلمين فقد قصدت مرسى تونس وارسوا بها . وكانت بالمرسى فرقاطة تونسية . فجاءها فرقاطتان نابليطان لأخذها واخراجها من المرسى ، فعندما رأوا عمارة

الجزائريين هنالك رجعوا هاربين . وقد انتقد الله تلك الفركاطة بسبب دخول العمارة الى تونس . ومن هناك رجعوا للجزائر .

ذكر ما انشا مصطفى باشا من المراكب وما بني من الحصون وبستانا وديارا :

ولما وقع الصلح مع الانكليز ، وردهم الله خسائبين ، ورزق الله النصر لمصطفى باشا ، ابتدا بناء برج باب الواد وكان قبل البناء مزبلة البلد ، وفي اثناء ذلك ، ابتدا بناج برج راس التافورة (35) وكان هنالك برج صغير فهذه وبنيء موضعه هذا البرج المعهود الى الآن ، وكان يهيء ليجدد برج قانت الفول لكنه توفي قبل ذلك . وانشا فركاطتين كبيرتين واحدة بعد واحدة ، فلما اتمها انشا مايتين من اللنجور . وعندما اتمها انشا زوج بلاندات ، واحدة بعد واحدة . وقد اجتمع لديه من الرؤساء (36) خمسمائة رايس بعضهم كان يركب المراكب الجهادية ، وبعضهم يسافرون رؤساء الطريق ، وبعضهم مقيمون في البلاد ، يتناوبون ركوب المراكب .

كما انه بني بستانا بعين الربط ، وبني به دورا وقصورا ، وغرسه بجميع الفواكه والثمار . (لا يزال موجودا . وهو الان جزء من قصر الشعب) ويدعى الى الآن : دار مصطفى باشا)

(هنا عشرة سطور بيضاء)

ذكر الثوار من الأتراك على مصطفى باشا :

في سنة 14 (37) ، كان رجل من الأتراك اسمه والي خوجة تعلق قلبه بالملك ، ولم يجد حيلة للتوصل اليه ، وعنده حفيد . وفي هذه السنة ، سمى حفيده نجاجي (38) بدار الامارة ، والنوباجية يقيمون عند بابها . فظهر لوالي خوجة انه يتوصل لمقصده بواسطة حفيده . فتكلم معه ، الى جمعة من الجمع ، كانت نوبة حفيده في العسة ، داخل الباب .

ومن عادة الامير انه يخرج لجامع السيدة ، مقابل دار الامارة بانحراف فاذا خرج الامير ووزراؤه وعماله كان النوباجية يتقدمون امامهم للمسجد ويبقون منهم رجالا داخل الباب لاغلاقه بعد خروج الامير ، ثم يعطون المفاتيح لكبيرهم من تحت الباب ، فياخذها ويذهب للصلاة مع الامير . فاذا اتوا صلاة الجمعة ، يتقدم امام الامير ، ويعطي المفاتيح للعساكين من تحت الباب فيفتحونه عند وصول الامير ، فيدخل ، ويدخل معه وزراؤه وعماله ، ويجلس على كرسي الملك . فيسلمون عليه ، ويأتونهم بالقهوة ، فيشربون وينصرفون

حتى كان يوم الجمعة التي وقع فيها الكلام ، وخرج الأمير للمسجد ، اتى والي خوجة مختفيا ، ومعه بعض اصحابه فلما وصلوا دار الامارة ووضع يده على الباب ، فتح لهم ، ودخلوا ، واغلقوه ، وطلعوا للسراية واخذوا السلاح ، وتفرقوا . فبعضهم يضرب من السراية الى المسجد وبعضهم ذهب الى السانجاق فوق الباب وصاروا يضربون من هناك وانقطع مرور الناس من الازقة الثلاثة المقابلة لدار الملك التي يسلك منها الى الجامع الاعظم : باب ستان وكذا باب البحر والسكة العظمى الشارعة الى باب عزون والسكة الثالثة على يمين الداخل لدار الملك شارعة الى باب الواد . وعندما اخذوا يضربون من السراية الى طيقان المسجد ، كان الناس في صلاتهم عندما سمعوا ضرب البارود وضرب الرصاص ، فاندھش الامير مع شجاعته لانه لم يعرف ما هو هذا الامر ، ولم يستطع احد ان يخرج من ابواب المسجد الثلاثة المقابلة لدار الامارة . ثم ان بعض الناس اتوا الى باب المسجد الذي من ناحية بيت المال ، واخبر الامير بالواقع ، فعند ذلك رجعت الحياة الى الامير ومن معه ، وخرج بعض الوزراء وبعض النوابجية من الباب الذي يخرج لسكة الصاغة ، ومن باب بيت الامارة ، ونقبوا نقبة (39) اخرى في مسجد صغير ملاصق لسقيفة دار الملك ، ودخلت زبانية الملك ، ولم يكن لولي خوجة ومن معه علم بذلك النقب ، الى ان وقفوا عليهم ، وقتلوهم ، وفتحت ابواب دار الامارة ، واخبروا الامير بما وقع ، فعند ذلك خرج من الجامع ودخل لدار الملك ، وجلس على كرسيه ، وهذاه اصحاب دولته واعيان البلد واطفا الله نار هذه الفتنة واخمد لهيبها .

وفي السنة التي بعدها ، ثار علي خوجة صهر الشيخ العسامة ابن مالك (40) ، وعلي خوجة هذا كان ملازما لبعض الاسماء (41) الى يوم من الايام ، اخذ قصبه خضراء اللون بيده يتكئ عليها . وخرج من دار من ناحية المرستان ، واتى مع السوق الكبير متكئا على تلك القصبه وهو يوالي ذكره : الحق ، ولسانه لا يفتر عن الذكر ، الى ان وصل الي دار الملك ، ودخلها والنباجية وكبرائؤهم ينظرون اليه ، ولم يستطع احد ان يقوم من مقامه او يرده وقصد الى سرير الملك ، ومقام الخزناجي قريب منه ، فذهب الى الخزناجي وضربه بتلك القصبه ، فجرحه جرحا بوجهه وآخر بيده ، والله اعلم انه دافع بها عن نفسه ، والقصبه التي كانت بيد علي خوجة لعلها يطغان مختفيء في القصبه ، ولما اراد الضرب ، استل اليطغان (42) وترك القصبه وترك ذكر الاسم (الحق) عند اشتغاله بالضرب ، فلحقه وكيل الحرج اوزن محمد ، فضربه ولحق وكيل الحرج الثاني اوزن علي وقتلوه ولم يكن له اصحاب

لأنه قدم وحده لدار الملك فبعد قتله سجدوه خارج دار الملك وألقوا به عند الباب . ثم ذهب الخرناجي لبيته وذهب الطبيب معه وصنع له الدواء للجرح الذي في وجهه وفي يده ، وبعثوا لصهره الشيخ ابن مالك وسألوه عن حالة صهره ، فقال لهم انني لم اطلع على امره فامروه ان يخرج من البلد ، فذهب لقريه القليعة واقام بها أياما فتكلم بعض العمال للأمير وقالوا له : هذا الرجل الذي نفيته من البلد ، وهو من اكبر علماء المسلمين ، وكان قاضي الاسلام ، اخرجته لاجل صهره وفرقت بينه وبين اولاده ، وبين الطلبة الذين يقرأون عليه ، فعند ذلك سرحه الامير ورجع للبلد .

واما الثورة الثالثة على الامير مصطفى باشا ، فانه كان رحمه الله ، لكثرة اعتناؤه بالجهاد قد اتم بناء برج باب الواد ، واتم بعده بناء برج راس القافورة وأراد ان يجدد بناء برج قانت الفول ويكبره ، لأنه كان برجا صغيرا ، وكان يخرج بنفسه لمعدن الحجز ، المحاذي لضريح الولي الصالح الشيخ ابن عبد الرحمن للحرم على خدمة الصندوق (43) . ففي يوم من الأيام اتفقت شردمة من العسكر مع بعض خدام الصندوق من الأتراك ، فضربوه في معدن الحجز وجرحوه ولحقهم عمال الحجز وقتلوهم ، ومات البعض الآخر منهم ، ثم حملوا الباشا وادخلوه للبلد في الليل ، وذلك في سنة 19 (44) والثورة (45) الرابعة التي قتلوه فيها سنذكرها ان شاء الله في آخر دولته .

افراح ختان ابيه :

وفي سنة 16 كان ختان ولديه الاكبرين ابراهيم واخيه . وقد صنع مهرجانا كبيرا لم يصنع مثله من قبل او من بعد . وكان ذلك خارج البلد ، بازاء بستاته بعين الربط ، وقد نصب الوطاقات والاخية والقياطين (46) واستقدم البايات وعمالهم ، وكافة اعيان اوطانهم . ونادى مناديه في البلد (بدعوة السكان) .

واخرج الطباخين من دار الملك واطاف اليهم آخرين ، وكذلك طبياخي وزرائه ، ودعي اهل البلد من الخاص والعام ، وكافة الفقهاء والطلبة ، وكافة اهل باب الجهاد من اصناف الرؤساء وغيرهم . وجمع كل اهل الآلات (47) من الترك والعرب ، وجعل كل صنف وحده ، ورتبوا في كل ليلة من انواع الملاهي على اختلاف انواعها ، واحتفلوا ايضا في نفائس الأطمعة والاكتار منها وكانوا يطعمون كافة الناس ثلاث مرات في كل يوم والقهوة في كل وقت . وكانت المدافع تضرب كل يوم من جميع الحصون واصحاب الخيل يتسابقون والبلهوانات (يلعبون العابهم) والنوبة تضرب صباحا ومساء .

وكان كل واحد من البليات في محطته بين ناسه ، في نزهة عظيمة ، وقومهم يتسابقون ، والنوبة تضرب عليهم والأمير وعماله ، ووزراؤه في وطاق ، وكذلك البليات ، ويطوف عليهم اصحاب الالات والملاهي طائفة بعد طائفة ، والاموال خارجة من عند الأمير لهؤلاء الطوائف . لا يفترون عن ذلك الا وقت النوم والاستراحة . واستمرت الوليمة سبعة أيام ، وفي اليوم السابع ، وزع على كل من حضر عشرة محبوب (48) لكل واحد ، وكذلك وزع على أهل المدارس والزوايا واكثر من افاضة الصدقات وتعميم الاحسان وأمر بختان اولاد الفقراء فاجتمع منهم خلق كثير ، ورسم لكل واحد منهم عشرة محبوب واستمر الختان في اولاد الفقراء من العمالة نحو الشهر ، ويعطيهم مثل ما اعطى الاولين من الصبيان . وقضى دين المدينين من الفقراء واطلق سراج جميع من كان في السجن في جميع البلدان من عمالته ، وقضى دين المدينين منهم . فلم يبق في السجن الا من لا يجوز الشرع اطلاقه ، كالمسجون في قتل النفس ، وهذه الشعراء بقصائد كثيرة واحسن لكل واحد منهم . وبلغ الغاية في العطاء .

زلزال القليعة :

وفي سنة 17 (49) وقعت زلزلة في الجزائر وعمالتها في اليوم الحادي عشر من رجب ، وكان يوم أحد ، في وسط النهار ، وتهدمت قرية القليعة ومات بها خلق كثير تحت الهدم ، ولما بلغ خبرها للأمير مصطفى باشا رحمه الله ، ركب من حينه وذهب اليها بنفسه ، وأمر باخراج من كان تحت الردم ، فمن وجده حيا كساه ، واعطاه نصيب مال بيده ، وأمر بتكفين جميع الاموات ، وفرق أموالا هنالك . وكسا كثيرا من الفقراء . وأمر باعادة بناء جامع سيدي علي مبارك حينا ، ومنارته ، والزاوية ، وقال لأهل البلد : انتي ابني لأهل البلد ديارهم ، بعد انتهاء بناء المسجد والزاوية ، وعندما تم البناء ، منعه اصحاب الشر من بناء ديار الفقراء .

محاولة هرب عثمان باي وهران :

وفي سنة 17 ، كان عثمان باي وهران ولد الباي محمد الذي فتحها ، وقع له تنافس مع الخزناجي ، واستوحش منه كثيرا . فارتأى الفرار لينجو بنفسه . فقدم له كربيط انكليز ، والظاهر ان الكربيط اتاه بواسطة القنصل الذي بوهران فوضع به ذخائره . ولما اطلع على الامر كبار أهل دولته ، القوا عليه القبض وبعثوا بخبره الى الأمير ، فأمر ان يؤتى به للبليدة واسكنه بها . وأولى مكاته مصطفى باي ، واقام بها اياما .

ذكر ثورة ابن عبد الله ابن الشريف الدرقلوي في ناحية وهران :

وبعدما تولى مصطفى باي أمر وهران ، ظهر ابن الشريف ، وكاتب العرب ، في أمر القيام على الترك وأدعى أنه صاحب الوقت ، واتبعه العرب ، وسارت اليه القبائل ، وظهرت له كرامات . ثم ان الباي خرج من وهران في محطة كبيرة وقصد ابن الشريف ، وكان مع ابن الشريف اناس كثيرون وكان بوسط حشم غربيين (51) . فلما التقى الجمعان ووقع القتال ، انهزم عسكر الباي ، ورجعوا هاربين . فحمل الباي بعض صناديق من خزفته وهرب ، وتركوا محطتهم بما فيها . فدخها ابن الشريف واستولى على ما فيها . واما الباي فقد لحق به بعض العرب . فكان كلما اقتربوا منه يأمر من معه بوضع صندوقين من النبي حمل معه . فيشتغل العرب بالنهب ، فاذا اتموا ذلك ولحقوا به ، يأمر بوضع صندوقين آخرين هكذا الى ان دخل وهران واغلق الأبواب ، وقيل انه بنى الأبواب .

والثائر بعد ان اخذ المحطة ، وفر الباي ، تبعته العرب من تلمسان الى مليانة بل الى متيجة ، حتى ان اهل تلمسان افرقوا فريقين ، وصار بعضهم يقاتل بعضا ، فالحضر (52) يقاتلون من البلد ، والكفلار يقاتلون من المشور (53) ، مع الأتراك ، يضربون الحضر ، وينادون على اخوانهم فمن اظهر نفسه لآخيه ، ضربه بالرصاص ، واشتد الأمر بينهم ، ودام على ذلك واما الامير (مصطفى باشا) فانه اخرج محطة من الجزائر ، واخرج معها وزيره الحاج علي آغا قاصدا ناحية وهران ، فوصل للعطاف (54) واجتمعت عليه العرب يريدون اخذه بحيث ان اهل المحطة كانوا لا يقدرون على الورد من الوادي وهو قريب منهم وصارت قيمة القربة من الماء بكذا وكذا فلما رأى الحاج علي آغا ذلك ، بعث الى شيخ نجع العطاف ، واتاه ليلا ، وقال له كيف يكون الخلاص ؟ فقال له : ان هؤلاء القوم اذا رحلت من هنا ، ياخذونك لا محالة ، ولكن يجب ان نعطي الدراهم لكبراء العرب ، وأرحل في الليل . فعند ذلك اعطاه الونفا من المحبوب الذهب ، وخرج من عنده ، فاعطى منها ما شاء لشيوخ العرب ، واخذ الباقي لنفسه ، ورحل الآغا بالمحطة في الليل . ورجع لناحية مليانة ، فنزل تحتها . ولحقه العرب (الثائرون) وبقي يحتمل الى ان وصل لحوش قايد السبت بحجوط ، بعد مشقة عظيمة ، ووقع قتال بينه وبين القبائل والعرب هناك . ومات من الفريقين رجال ، ورحل ليلا وأصبحت المحطة بعين الربط . وبلغ خبرها للامير ، فأمرهم بالرجوع (للقنال) فثار الأتراك الذين بالمحطة ثورة واحدة ، وبعثوا مع الرسول للامير يقولون له : اننا لا نرجع وانت لا نحتاجك اميرا ، وانما اميرنا الحاج علي آغا .

ويحكى عن هذا الأغا أنه كان رجلا كبيرا عاقلا لا يجب الشر . ولما ذهب الرسول للأمير وسمع منه بمقالة العسكر وتوليتهم الأغا أميرا ، أمر باغلاق أبواب البلد ، وبعث للعسكر يقول : ان أردتم الرجوع لبعدوكم فذلك أفضل من أن يصل لأبواب البلد ، وهذا هو رأي ولما رأيتم الدخول فادخلوا أما الأمير الذي وليتم فلا يدخل لبلادي ، بل يركب من هنالك البحر ويرجع الى بر الأتراك . ومع هذا فان الأغالمة يقبل الامارة عندما قدموها له . فلما وصل الرسول وبلغهم مقالة الأمير لهم وقع بينهم خلاف في الرأي ثم سلموا الأغا فحملوه بمركب كان ذاهبا لبر الترك ، وفتحوا أبواب البلد ، ودخل ، ودخل العسكر وبقي الثائر وحده في ناحية وهران . وظهر ثائر آخر بناحية قسنطينة .

فكر ثورة ابن الأحرش وأصله من المغرب

عندما كان الفرنسيين بمصر (55) قام ابن الأحرش هذا ، وجمع اليه أناسا من المغاربة واهل الواسطة (56) وأصبح يقاتل الفرنسيين خارج مصر ، بما قدر عليه ، واثرت شوكته فيه ، وأصبح له صيت بمصر الى أن فتحها الله ورجعت للمسلمين ، وبلغ خبره لأمير تونس يومئذ حمودة باشا ، فبعث له واستقدمه ، فلما قدم عليه لقيه بالبشر ، وعظمه وشكر صنيعه وأحسن اليه لكي يؤنسه ، ثم رجع لموضعه . وكانت عند حمودة باشا دسياسة في خاطره على ملوك الجزائر ولم يظهر لهم ذلك خوفا منهم ، والتزاما لوصية ابيه علي باي عندما حضرته الوفاة ، كان يساعدهم ، ويمعطهم السنوية التي التزمها لهم ، لكونهم هم الذين اخذوا لهم بثارهم من ابن عمهم ، وأرجعوا لهم ملكهم حتى قيل أن علي باي قال لابنه حمودة باشا : العشر والخراج الذي تقبضه ، اعط بعضه للجزائر وبعضه لمصاريف المملكة وبعضه لتعيش به ، واياك أن تجعلهم اعداء . وقد تقدم ذكر هذا (57) .

ثم ان حمودة باشا استدعى في احد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلا : ان رجلا مثلك شجاع او كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب الى ملك الترك (بالجزائر) وينزعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك . وكان مقصد حمودة باشا ان يشغلهم عنه لا غير . وأما اخذ الملك من الأتراك فما كان يظنه واقيا والله اعلم بحقيقة الامر . ثم ان ابن الأحرش اتسع في عقله مثل هذا الكلام ، وتعلق به قلبه فوافق على ذلك ، وذهب لناحية قسنطينة وكاتب الناس ودعاهم لاتباعه وكتب للقبائل ، فثار جميع الوطن على الباي الإنكليز ، وخرج بمسحة فانهزم ورجع للبلد واشتد عليه

الأمر ، وكتب للجزائر وأخبرهم بما وقع فتخبر الأمير لذلك . ثم رأى أن يولي عثمان باي (ابن صالح باي) على قسنطينة ، فبعث له واستقدمه وولاه وأمره بالذهاب إلى قسنطينة فذهب من حينه وعزل الباي الإنكليز ، وكتب للرعية وحذرهم من الفتنة ، واشتغل بتجهيز المحطة وترتيب أحوالها ، وخرج لسطح المنصورة ، أو لموضع قرب البلد ، وخيم هناك ، واجتمعت إليه العرب ، وسار نحو ابن الأحرش .

أما الباي الإنكليز فإنه دخله الخوف على نفسه من الأمير ، فهرب إلى تونس واستقر بها .

وأما ابن الأحرش فإنه عندما سمع بخروج الباي عثمان في طلبه ذهب إلى ناحية واد الزهور وأقام بين تلك القبائل وخمدت نار الفتنة ، وأذعن العرب للطاعة ، ووقعت العافية ، ورجع لقسنطينة . وعندما أتى فصل الربيع ، أمره الأمير بالدنوش (58) فقدم الجزائر كما هي العادة ، ولما رجع لقسنطينة واستراح أياما خرج إلى واد الزهور لقتال ابن الأحرش . فعندما وصل قريبا منه نزل في أرض هناك بين الجبال ، وخيمت المحطة وابتدأ القتال مع ابن الأحرش ومن معه من القبائل . فاطلق هؤلاء الماء على تلك الأرض التي بها المحطة فصارت مثل السبخة ، حتى ابتلعت أرجل الخيل إلى البوادر والرجال إلى الركبة ثم حملوا على المحطة وقتلوا الباي ومن معه فلم ينج منهم إلا القليل ، وأخذوا تلك المحطة ، وغنموا منها أموالا لا تحصى لكون الباي عثمان لم يترك شيئا بخزنة قسنطينة وحمل جميع ما فيها من الأموال ، وتركها خاوية على عروشها والله أعلم أنه ما حمل تلك الأموال إلا لكي يظني الخزنة لما سمع من الخزنياجي ، وما يعلم من بغيته له ، فقال أنه إذا ظفر بعدوه ، رجع وماله معه ، وأن مات فالذي يأتي بعده يجدها خالية . والله أعلم بمراده .

ثم إن الأحرش ، بعد قتل الباي عثمان وأخذ أمواله والآلات حربه ، جمع القبائل وكتب العرب ، وقصد مدينة قسنطينة وأصبح يقاتل عند بابها . وأبوها مغلقة وأهلها يقاتلونه من فوق الأسوار وأقاموا كذلك أياما .

ولما بلغ الأمير خبر موت عثمان باي ، استقدم قائد الخشنة ، وكانت تحتها الداخنة بنت بن كانة (59) ، شيخ العرب بقسنطينة ، فلما حضر القائد عبد الله بين يديه ، أولاه بايا على قسنطينة ، وأخبره بموت عثمان باي ، وأمره بالذهاب حالا . ولا أعلم شيئا عن كيفية وصوله لقسنطينة فلما وصل المدينة ، رجع ابن الأحرش القهقري ، وتفرقت عنه القبائل . ثم كتب عبد الله العرب أصهاره ، وجميع الرعية واستقام له الأمر ، وسائر كبراء العرب ،

واجتمع لديه اهل المخزن ، ثم ائنه جهز محطة وخرج في طلب ابن الاحرش ، وضيق عليه البلاد ، الى ان هرب الى الناحية الغربية فقتله ابن الشريف (النائر بها) واطفئت نار الفتنة من الناحية الشرقية . وكان جزاء هذا الباى ان قتله امرء الجزائر بعد موت الأمير مصطفى باشا ، وعذبوا زوجته حتى ماتت حتى العذاب ، وذلك لتظهر لهم اموال عبد الله باى . ويحكى عن هذه المرأة انها كانت من احسن نساء زلماتها ، وكانت لها شجاعة كبيرة ،

نهاية الدرقاوي :

ولنرجع الى اخبار وهران ، فان الباى مصطفى بقي فيها منحصرًا ، ولم يقدر على شيء . وبقي الأمير متحيرًا من ذلك ، وانقطعت الطرق ، ووقع الغلاء في الجوب في المدن وغيرها حتى وصل القمح بالكيل الجزائري الى خمسة دورو للصاع الواحد وصاروا يأتون بالقمح الى الجزائر في البحر . وعظم الأمر في ذلك ، ثم ان الأمير بعث الى ولد الباى محمد ، ويعرف بالقلج ، وولاه بايا على وهران ، وذهب ولم يجد مسلكا على طريق البر ، فرجع لشرشال وزكب البحر وذهب لوهران ، فلما وصل وجد أبواب البلد مغلقة ، ففتحت له ، وارجع الباى مصطفى الى الجزائر في البحر ، فلما وصل بعثوا به الى البليدة . ثم ان الباى الجديد كتب للمخزن القديم وكتب لكبراء العرب ، واخبرهم بقدومه ، وبذل لهم الاموال ثم جهز محطة خيمت خارج البلد ، وبذل العطاء للصادر والوراد ، واجتمعت الناس عليه وسافر بالمحطة ، ونادى مناديه ان من اتى برأس (من الأعداء) ياخذ عشرة سلطانية فوقعت قتالات بين الباى المقلج ، وبين الدرقاوي ، ومات من العرب عدد لا يحصى ، وكانت تجتمع رؤوس بني آدم مثل الجبال . ثم ان الدرقاوي هرب الى عمالة الغرب (60) والباى ومسطته رجعوا مع الرعية الى ان وصلوا مليانة ، واطاعته البلاد ، واستقر له الأمر ، ثم رجع لوهران .

مصرع كبير اليهود وقيام المسلمين :

لقد قدمنا ان الخزناجي كان محبا لليهود ، وكان كبيرهم ولد بوجناح له صولة كبيرة مع الأمير والخزناجي وكانت له مراكب توسق القمح والشعير من وهران وعنابة الى بر النصارى (61) بانن الأمير ووزيره الخزناجي وذلك قبل ثورة ابن الشريف وابن الاحرش ، وكسب مالا كثيرا من ذلك الوسق ، وكان النلس والأتراك يخافون شوكته الى آخر سنة 19 (62) . فقام رجل من الأتراك اسمه يحيى ، وحمل بنائق صغيرة ، وذهب قاصدا قتل اليهودي ان

وجده . وكان ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة . فعندما وصل الدكان (63) وكيل باي الشرق ، وهي قريبة من دار الإمارة ، رأى اليهودي جالسا على باب الدكان ، متكئا على مجمع الدكان ، فلما قرب منه ضربه ببندقية لبطنه ، وأصابه إصابة قاتلة ، فقام اليهودي من موضعه ودخل الدكان ، ومات لحينه . وعندما تيقن التركي هلاكه ، رجع لقتلته . فلما سمع أهل البلد بموت الذمي وبقاتله ، فرح المسلمون بذلك ، وذهب بعض الفقهاء غير الموظفين للقتلة وشكروا لذلك التركي صنيعه ، وقد قيل ان الشيخ ابن مالك وكان عزل من القضاء ، قد ذهب اليه ليلا .

فعندما رأى الأتراك ان أهل البلد فرحوا بصنيع ذلك التركي ، اتفقوا في تلك الليلة على انهم يقتلون جميع اليهود وينهبون أموالهم ، ويستريحون منهم . فلما طلع النهار ، وهو يوم السبت ، خرج الأتراك ، وذهبوا للحارة (64) وابتدأوا يقتلون رجال اليهود ، فقتلوا ، منهم نحو المائتين ، وكان بعض الناس من كل جنس ، ينظرون قتل اليهود ، فلما رأوا نساءهم وأولادهم هاربين صاروا ينهبون أموالهم . فلما رأى الأتراك ذلك قالوا نحن أردنا قتل اليهود للاستراحة منهم . وهؤلاء مرادهم نهب الأموال . فتأخروا عن قتلهم ، وصاروا ينهبون الى آخر النهار . واستغنى الكثير من الناس ، وكثرت بذلك أموال المسلمين . ومن الغد جمعوا فرائس اليهود وأخرجوها خارج البلد ، قرب أفران الجير ، وأخذوا معهم الحطب ، وأحرقوها . ثم أخذ الترك وغيرهم يبيعون أثاث اليهود بأبخس الأثمان ، وأصبح اليهود يسعون في الأسواق وهم حفاة عراة . وعندما وقع هذا الأمر باليهود ، بقي الأمير ساكتا ، ولم يقدر على احد ثم قال الخزناسي لكبير الحراس : كل من علمت انه نهب اليهود من الحماليين والبحرية وغيرهم ، يجب ان تقبض عليهم وتصلب كل يوم عشرة منهم واذا نقص واحد من العشرة اصلبك مكانه فاخذ في قبض المسلمين وتصلبهم الى ان صار كبير الحراس يقبض على من وجده يتشاجر مع صاحبه ليكمل به عدد المصلبين . واستمر ذلك البلاء اياما .

ذكر ثورة احمد خوجة بعد واقعة اليهود

ومصرع مصطفى باشا

أحمد خوجة هذا كان كاتباً من الكتاب الأربعة بدار الإمارة ، الذين بيدهم دفاتر العسكر ، ومداخل الملك من الخراجات والعشور ، ومصاريف الملك من الرواتب وغيرها . ثم ان الملك (مصطفى باشا) غضب عليه . في يوم

من الأيام وعزله . وكان له بستان عظيم ، فذهب اليه . ثم انه رأى ان يبيع
 البستان على انه ذاهب للحج ، فاشتراه منه قائد العرب ابن سحنون .
 وبعدهما باع البستان ، اشتغل في اثاره العسكر خفية ، وله أعوان في ذلك ،
 وانحاز بعض العسكر اليه . ووعدهم بان يزيد لهم في الراتب ، ويعطي القمح
 للمتزوجين منهم . وقد فشا بعض هذا الأمر عند الناس فخافوا على أنفسهم .
 ومن جملة ما تحيل به ، ان بعض أعوانه ذهب الى الخزناجي وطلب الخطوة
 معه وقال له ، ان العسكر قد اتفقوا على تعيينك بموضع مصطفى باشا .
 وبعثوني اليك . فانسح الأمر في عقله ، وقال له : كيف يكون ذلك ؟ فقال له :
 انت لا تفكر في هذا الأمر ، وابق بعيدا عنا الى وقت الحاجة ، ولا نحتاج منك
 شيئا . فرضي بذلك ، وخرج من عنده وذهب الى أصحابه وأخبرهم بما
 فعل . وانما هم فعلوا ذلك خفية ان يبلغه الأمر . فلما كان يوم الجمعة
 الخامس من جمادى الثانية من سنة 22 (65) ثار العسكر على الأمير مصطفى
 باشا . وقارا خزناجي (66) ، فخرجوا من دار الإمارة هاربين الى ضريح الولي
 الصالح سيدي ولي دادة العجمي ، فعندما وصلا الضريح وجدوا أن باب
 الزاوية قد اغلق ، عندما بلغ القائميين عليه أمر الهرج . فرجعا . ولما وصل
 الأمير لزنقة فرن الزناكي ، لحق به العسكر وقتلوه ، ثم لحقوا بالخزناجي
 وقتلوه بين باب جامع كئشاوة وباب الحمام . ثم استقدم العسكر أحمد
 خوجة وأدخلوه لدار الإمارة ، رحم الله هذا الأمير ، فسبحان من لا يزول ملكه
 ولا يدوم بعد الخلق الا هو .

(هنا صفحة وسبعة سطور بيضاء)

أهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

- 1 — سنة 1801 انعقد الصلح بين فرنسا والامبراطورية العثمانية ومنها
 الجزائر . وانتهت حالة الحرب .
- 2 — الرايس حميدو كان يقود اسطولا مؤلفا من ثلاثين سفينة حربية . منها
 ثلاث فركاطات تحمل كل منها 44 مدفعا .
- 3 — هاجم عثمان باي الغرب ، واحة عين ماضي ، مركز الطريقة التيجانية
 فاخضعها وفر الشيخ التيجاني الى فاس .
- 4 — كان القاضي التركي في ايامه الشيخ محمد بن عبد الرحمن . والقاضي
 المالكي الشيخ محمد بن مالك — وتوفي في ايامه العلامة الشيخ عبد الرحمن

- بلش تارزي . ولا تزال عائلته موجودة الى اليوم .
5 - قضي كامل مدته ايام السلطان سليم الثالث .

التصاليق

- (1) 1212 (1797)
(2) لم يعجبها ولم يكن موافقا لذوقها
(3) الذي يظهر لنا هو أن عزل الحاج عمر لم يكن لاي من السببين المذكورين . بل لأمور
ادارية كان ينتدده عليها .
(4) اسرى من اسبانيا . اخفوا اثناء الغزوات البحرية .
(5) هي مدينة لبطورن بايطاليا وبها عدد كبير من التجار والسكان اليهود .
(6) سبق ذكره - وهو قطعة فضية قيمتها في ذلك الوقت خمس فرنكات . أي ما يعادل 12
دينارا جزائريا اليوم
(7) حارة بجوار مرسى الجزائر بمكنها وبرنادها رجال البحر الجزائريون
(8) 1213 (1798)
(9) القنابل . كما سبق ذكره
(10) من رجال الحرس العسكري ، وحفظ الأمن
(11) سفينة حربية كبيرة اسمها الفرنسية « فريقات »
(12) 1214 (1799)
(13) امبراطورية النمسا والمجر
(14) الفرمان هو الامر السلطاني الذي يحمل طغرى السلطان العثماني .
(15) عائلة جزائرية معروفة ، ولا تزال موجودة الى اليوم .
(16) 1215 (1800)
(17) مكان مرتفع فوق ظهر السفينة هو مركز القيادة
(18) الآلة التي تحرك السفينة وتديرها
(19) 1216 (1801)
(20) لم نثر على اسمها الصحيح
(21) « مدينة بولب كاسترو » داخل خليج بحمل اسمها ، جنوب ايطاليا .

(22) جاء الفرنسيون مصر تحت قيادة نابليون بونابارت ، قبل أن يصير امبراطورا ، سنة 1213 (1798) وكان عددهم 34000 رجل ، منظم ، مدرب ، محاربوا المماليك وانتصروا عليهم واحتلوا الاسكندرية والقاهرة ومعظم مصر الشمالية . وادعوا أنهم ما جاؤا الا لمحاربة المماليك واظهار حق الدولة العثمانية . لكن المقاومة الشعبية المصرية قامت ضدهم باعمال باهرة . واستعمل الفرنسيون العنف الشديد وضربوا الأزهر الشريف وكامل مدينة القاهرة بالقنابل . وقتلوا 13 من علماء المسلمين . والحقيقة أن فرنسا أرادت استعمار أرض مصر في محاربتها للانكليز ، وقطع طريق الهند عنها ، واخيرا اضطر الفرنسيون للجلاء عن مصر سنة 1216 (1801)

(23) كلمة تركية معناها : البحري الاسود

(24) هي مدينة كاديكس الاسبانية

(25) نابليون بونابارت

(26) كلمة فرنسية أصلها تريف

(27) كلمة استعملت نكبة بلخوناجي ، وتمريضا بمحبته لليهود .

(28) رجل دين مقدس

(29) الملك بونابارت

(30) بين الملوك

(31) نوع من السفن الحربية الخفيفة السريعة الحركة

(32) جمع « برج » في الاصطلاح الجزائري . وصحيحه البروج

(33) 1217 (1802)

(34) هكذا ينطق الجزائريون اسم « محمد علي

(35) قرب مركز البريد العلم في قلب العاصمة

(36) الرؤساء ، جمع رايس ، هم قادة السفن الحربية غالبا

(37) 1214 (1799)

(38) النوباتجي ، هو الحارس الذي يتناول الجرامسة مداولة

(39) ثقبا ، او نفقا صغيرا

(40) عالم كبير من علماء ومدربي الجزائر من اسمه الكامل : الحاج محمد بن أحمد بن مالك تولى قضاء المالكية سنة 1210 . وكانت له صلة ود صديق مع نقيب الأشراف . وكذلك لبناؤه . وسيكون لهم ذكر فيما يلي يدل على هذه الصلة . ثم ان له صلة مع عائلتنا .

اذ أنه تزوج السيدة نفيسة بوشناق أرملة جننا المرحوم محمد بن أحمد المدني ، الذي كان شيخ البلد بمدينة الجزائر واستشهد غرقا أثناء رجوعه من الحجاز .

(41) أي يوالي ذكر اسم من أسماء الله الحسنى

(42) نوع من سيوف التشرينات

(43) يطلقون في الجزائر اسم « صندوق » على قطع كبيرة من الحجر الصلب تحت على حجم معين متساوي الأضلاع وتستعمل لبناء الجروج والحصون .

(44) 1219 (1804)

(45) ليست ثورة بالمعنى المتعارف بل هي وأمثالها محاولات انقلاب ضمن دائرة ضيقة

(46) القباطين ، جمع قبطون ، هي خيام كبيرة تسمع جميعا من الناس .

(47) آلات الطرب

(48) المحبوب كما تقدم ذكره قطعة ذهبية وزنها 3 غرامات

(49) 1217 (1802)

(50) في اصطلاح الطرق التي تنسب الى الصوفية ، ان « صاحب الوقت » هو القطب الصوفي الامام الاكبر الذي يجب على الجميع اطاعته والمير تحت لوائه ، يقول بهاء الدين زهير المصري في قصيد غرامي
فأنا اليوم « صاحب الوقت » حقا : : والمحبون شيعتي ورقاتي

(51) أي من المغرب الأقصى

(52) سكان المدن

(53) الكفلار ، أو ، الكورأوغلية ، أتراك من أب تركي وأم هربية والمشور هو القصر المحصن الكبير بتلمسان . وكان مقر الملوك من بني زيلن

(54) بلدة في منتصف الطريق بين مليانة والأصنم

(55) تقدم موجز تاريخ ذلك ، فيما سلف

(56) أهل الواسطة ، هم سكان القطر الجزائري لتوسطهم بين تونس والمغرب

(57) لم يرد شيء عن هذا في المخطوط . ولعله كان ضمن الأوراق التي سودها ، ولم يثبتها في الكتاب . او لعلها كانت ضمن المصححات التي تركها بيضاء .

(58) دفع الضرائب لخزينة الدولة . وقد تقدم وصف ذلك بلسهاب في سيرة الداوي محمد بن عثمان باشا .

(59) سيدة من بيت ابن كتنة الصحراوي . كانت كثيرة الفضل والخيرات . وتركت وقتا طائلا

(60) المغرب الأقصى

(61) الى فرنسا واطاليا

(62) 1219 (1804)

(63) مكتب

(64) العبارة في الاصطلاح التونسي والجزائري هي المكان المخصص في المدن لسكنى الطائفة اليهودية أما في المغرب الأقصى فتدعى : الملاح ، بتشديد اللام

(65) 1222 (1807)

(66) قارا باللغة التركية معناها الاسود .

ذكر ولاية أحمد باشا

يوم الجمعة جمادى الثانية 1220 (1)

اليوم الثاني من الخريف

استقدمه العسكر لدار الإمارة بعد مقتل مصطفى باشا ، فاحضر الديوان ، والعلماء ، واعيان الدولة ، فأجسوه على سرير الملك ، وخطعوا عليه الخطة السلطانية ، ورفع العلم العثماني وضربت عليه النوبة ، واطلقت المدافع ، ونادى المنادي بالأسواق ، ورحم على المتوفي ، ودعا بالنصر لمن تولى ، وبأيعة من حضر في ذلك الوقت . وأخرجت البشائر لجميع العمالة ، وثنى الراتب لجميع العساكر ، وأعطى القمح لجميع العسكر المتزوجين ، صاعين لكل واحد مع الراتب وكانت له بطانة من أقاربه واصهاره . واطلع على ما في الخزنة فرأى ان يبيع جميع ما بها من مصوغ وحجر كريم وجوهر ، وفزق ذلك على السلسلة ، ينادون به في الأسواق ، وباع من ذلك شيئا كثيرا ، وحصل للناس من ذلك ربح كبير . وبقي على ذلك البيع أياما ، ثم أرجع الباقي للخرقة لأنه شيء كثير .

نفاق (2) مزاية :

خرجت اليهم المحطة ، فقتلوا من العسكر عددا كبيرا . فبعث الأغا الى سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك . فتوسط .

الحرب مع البرتغال :

بعث الباشا بالمراكب الجهادية الى البحر المحيط يراقبون مراكب البرتغيز فاخذوا منه غنيمة كبيرة تحصل منها نصف مليون دراهم . ثم رجعوا وكان

البردقيز قد بعث يطلب الصلح مع الأمير ، فلم يقبل منه ، الى ان تولى الحاج علي باشا فوقع الصلح بينهم على مال كثير ، وسنذكر ذلك في محطة ان شاء الله .

الحرب مع تونس :

أمر الأمير بقتل عبد الله باي قسنطينة ، وولى مكانه صبيا (؟) من اولاد صالح باي ، المتقدم ذكره .

وقد كان ملوك تونس ، يبعثون مركبا محملا بالزيت ، وبعض الهدايا الرخيصة كل سنة فقطعوها في قيامه . فكتب لهم على ذلك . فامتنعوا عن الاذعان ، ووقع الكلام بينه وبين ملكها حمودة باشا الى ان اشتعلت نار الفتنة ، فبعث احمد باشا المراكب الجهادية لياخذوا ما وجدوه من مراكب تونس الى ان يدفعوا ما عليهم من العادة التي التزم بها ملوكهم ، لملوك الأتراك بالجزائر . فاخذوا منهم مركبين او ثلاثة مراكب . ثم ان حمودة باشا جهز محطة خفية ، وبعث بها لآخذ قسنطينة فحاصرها شهرا كاملا ، وهو يرمي البومبة (3) على البلد ، ومات فيها نساء وصبان ورجال . فلما بلغ الخبر الى احمد باشا ، بعث محطة على الفور ، في البر ، وجهاز ثلاث فراكط من المراكب الجهادية ، وحمل فيها المسكر وآلة الحرب ، وبعث معها خمسة من اللنجور ، على كل واحد مدفعين كبيرين وذهبت كلها لعناية ، فانزلوا بها العسكر ، ومن هنالك كونوا محطة . وطلعوا الى قسنطينة . ومن قدر الله ان هذه المحطة وصلت مع محطة البر في يوم واحد . الا ان محطة البر عندما اصبحت على مقربة من قسنطينة ، تلقاها عساكر تونس ، ووقع القتال بينهم ، فكانت الهزيمة اولا على محطتنا ، لان العسكر لحق في تعب شديد من الطريق ، ومن كثرة البرد . لان الفصل فصل شتاء . لكن اهل تونس سمعوا ضرب البارود من ورائهم فالتفتوا فوجدوا عسكر الجزائر قد لحقهم من الورا ، فالقى الله في قلوبهم الرعب فولوا الأبار ، ولما رأى جنودنا المنهزم ذلك ، وعلموا ان اخوانهم قد وصلوا من عنابة ، تقدموا من جديد الى المعركة ، ووقع ما وقع بين المسلمين ، من القتل ، وقطع الأذنين والأسر ، وغير ذلك . وفتحت أبواب قسنطينة (4) .

والذي أتى بمحطة التوانسة هو الباي الانكليز ، بهذا يسمى ، وقد كان بايا بقسنطينة سابقا ، فوقعت النفرة بينه وبين الأمير ، فهرب الى تونس ، ثم جاء مع محطة تونس ليسترجع قسنطينة . فلما دارت عليهم الدائرة ، هرب من جملة من هرب ورجعت المحطة للجزائر بالأسرى وبالأموال والذخائر التي

وجدوها بمحطة تونس ، أما المراكب التي انزلت العسكر بعنابة ففركاطتان منها رجعت على الفور للجزائر ، والفركاطة الثالثة تأخرت لتفرغ ما عندها من الوسط وبقي معها اللنجور .

محاولة برتغالية :

وانها كذلك ، اذ دخل عليها المرسى السفينتان من سفن البردقيز ، لياخذاها ، فمن قدر الله انه كان مع الفركاطة اللنجور فلما اقتربت السفينتان من الفركاطة ووقع بينهم قتال عظيم ، ورات السفينتان البردقيز انها لا تقدر على اخذ الفركاطة سلت خيوطها (5) ورجعت . وقد بقيت الفركاطة الجزائرية الى أن اتمت اشغالها ، ثم رجعت للجزائر ، وبقي اللنجور هناك .

اطلاق اسرى تونس :

وعندما رجعت المحطة بالاسرى ، كتب الجزائريون الاتراك منهم مسكرا ، الى أن تولى الحاج علي باشا فنفاهم . واما الاسرى من العرب فانهم حبسوهم في برج باب الواد ، اياما ، ثم ارسلوهم في مركب وارجموهم لبلادهم . وكان اهل مدينة الجزائر يعاملونهم . (اي يحسنون اليهم)

العودة للحرب مع تونس :

ثم ان الأمير ، امر الفقيه محمد بن العنابي ، قاضي الحنفية ، ان يكتب كتابا الى حمودة باشا ، فكتب الكتاب ، وبعثوا به . وصورته في ورقة صغيرة حتى نثبته في الأصل ، يوم التخريج ان شاء الله (6)

لكنهم (اهل تونس) ، لم يزدادوا الا نفورا وشدة . واشتغلوا بتجهيز محطة اخرى فلما بلغ ذلك الى احمد باشا ، جهز محطة كبيرة ، وبعث بها لكي تلاقي محطة تونس ، وامر ولد صالح باي بتجهيز محطته . وبعث مع المحطة حسن آغا . فعندما التقى حسن آغا مع ولد صالح باي قسنطينة ، واستراحا اياما ، ذهبا بالمحطة الى ناحية تونس ، والتقى الجمعان على وادي صراط فهربوا وتركوا محلتهم خاوية . فلما رأى ولد صالح باي هزيمة عسكر تونس ، وكانت لهم معه كلمة ، رجع بمحطته وترك الآغا وحده يقاتل بعسكره . ثم امر جيشه بحمل المحطة وهرب راجعا لقسنطينة ، وحسن آغا لم يشعر بذلك ، حتى بلغه هروب الباي ، فالتفت اليه والى المحطة فرأى العسكر ينهبون في الوطاق والناس هاربون ، لا يلتفت احد لاحد ، سارحون في الأرض مثل الغنم ، ولا احد يعرف صاحبه ولا احد يلتحق بالآخر . حتى اجتمعوا بقسنطينة . والآغا ،

عندما بقي وحده ، ذهب من جبلتهم . وبقيت المحطة بما فيها من الآلة الحربية والمدافع ، وغيرها الا خزنة الدراهم فكان العسكر قد نهبوها .

اما اهل تونس فانهم عندما انهزموا ، رأوا ان العدو لم يتبعهم فاجتمعوا وبعثوا خيلا لينظروا محطتهم ، فراوها على حالها ، فاقتربوا منها ، فلم يروا بها انسانا ، فبعثوا لكبيرهم وأخبروه بهروب اهل الجزائر ، وانهم تركوا المحطة على حالها ، فرجع اهل تونس لمحطتهم وأخذوا محلة عدوهم من غير قتال ولا عذاب . انظر ايها الآخ في هذه الحكمة الالهية ، كيف يجبر المكسور ، ويكسر الصحيح .

ولنرجع الى الآغا ، فانه عندما وصل الى قسنطينة ، قبض على ولد صالح باي وكتب الى الأمير وأخبره بما وقع . وان المتسبب في ذلك هو الباي . فعين الأمير علي شاوش بايا على قسنطينة ، بمكان ولد صالح باي ، وأمره بقلته ، فلما وصل علي شاوش الى قسنطينة بلغ مكتوب الأمير لحسن آغا .

فتنة احمد شاوش :

وكان من قدر الله ، ان تركيا اسمه احمد شاوش ، كان هاربا هند القبائل من قضية وادي الزهور ، فبعث له الأمير بعد ولاية علي باي كتاب الامان وولاه كبيرا على عسكر المحطة . فلما اتى من القبائل ، ودخل المحطة بوادي الرمل بقسنطينة ، جعل يدا مع رؤساء العسكر ، ثم ثار على الآغا ، والباي ، وقتلها ، وقتل صهر الأمير ، وفرق جميع ما وجدته في الخزنة على العسكر ، فاعطى كل واحد منهم سبعين محبوبا . وأولى خليفته احمد باي ، ويدعى طوبال (7) احمد بايا على قسنطينة ثم ارتحل بالامحال (8) قاصدا الجزائر ، لكي يقطع احمد باشا ويتولى مكانه ، فلما وصل الى حمزة (9) بعث احمد باشا الى طوبال احمد ، وولاه بايا على قسنطينة ، اذا تمكن من قتل احمد القبائلي الثائر فاتفق مع خواصه ، ودخل على احمد القبائلي (10) ليصبح عليه فلما دخل عليه قتله في الحين وبعث للعسكر بالامان ، وأمرهم بالذهاب الى الجزائر فذهبوا . ورجع هو بمحطة الشتاء الى قسنطينة .

مقتل احمد باشا :

في آخر مدته . جهز ثلاث فراقط ، وبعث بها لغزو البردقيز ، وغنموا منه ، ثم اتفق العسكر ، وثاروا على الرؤساء ورجعوا للجزائر ولم يتموا أيام سفرهم . ثم بعد رجوعهم لستة عشر يوما ثاروا عليه ، وقتلوه بالرصاص يوم

الاثنين 15 رمضان ، وهو هارب من دار الملك . فسقط الى قرب مخزن العثور ، فقطعوا رأسه وسحبوه في الزقاق الى السراجين ومن هناك حملوه ودفنوه .

وكان سفاكا لدماء المسلمين من غير شرع . الا اهل البلد (الجزائر) عصمهم الله منه . ومن ظلمه انه قتل رجلا كان كبير اعراب البادية ، وقتل ابنه وكان هذا الرجل خديم الصالحين وخصوصا الشيخ عبد القادر فنعنا الله به قتله لكونه اشترى منه بستاته (وهو ابن سحنون) (11)

وكان أنشأ عشرة من اللنجون الكبار بصاري واحد . وجعل على كل واحد زوج مدافع كبار . وجعل اعوانا من الترك والكفلار ، اربعون رجلا سماهم « القوبجية » .

اهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف

1 — اشتد الخلاف بين أحمد باشا والامبراطور نابليون بونابارت ، حول قضية القرصنة ، فأمر الامبراطور بسجن كل الجزائريين الموجودين بفرنسا ، وأمر بحجز املاكهم . وقرر أحمد باشا مقابلة العدوان بمثله . فتزع منحة صيد المرجان بالقالة عن الفرنسيين ، ومنحها الانكليز .

2 — حاول الدرقاويون رفع راية العصيان من جديد، ببابليك وهران ، فجهز أحمد باشا جيشا تحت قيادة محمد بوكابوس باي وهران ، فآخضعهم وقضى على عصياتهم .

3 — كان قاضيه المالكي هو الشيخ الحاج علي بن عبد القادر .

أما القاضي الحنفي (الذي كان يرسل من دائرة القضاء باستامبول) فكان الشيخ محمد بن عبد الرحمان (وقد دام في قضاء الجزائر عشرين سنة)

4 — كانت ولايته اواخر أيام السلطان مصطفى الرابع ، وأوائل أيام محمود الثاني . وكانت أياما حالكة الظلام بالدولة العثمانية لتجري الجيش على الدولة ، مما بلغت شظاياه البلاد الجزائرية .

تماليق

(1) 1220 (1805)

(2) انتفاض

(3) القنبلة ، كما سلب

(4) قلنا في تعليق سابق ، ان حمودة باشا التونسي هو سبب هذه الحروب المؤلمة . ونرى هنا من واجب الفزاهة والاتصاف ، ان نروي ما يقوله اخواننا أهل تونس من هذه الحرب الفاجعة وأسبابها . ونحيل الكلام الى العلامة المؤرخ الشيخ أحمد ابن أبي الضياف ، الذي يقول في كتابه : اتحاف أهل الايمان (ص 40 من طبعة 1963) :

« ولما أحس من قوته القدرة على دفع الضيم ، صار يتعمل على أهل الجزائر ، وأخذ في ازالة ما اعتادوه من التعدي ، الذي منه ان صاحب الجزائر أو قسنطينة يشتري الأنعام ويبيعها الى البيع بتونس بثمن يلوح بالاشارة اليه ، فيتعمل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسنطينة والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تزعم رعاته انه سرق منهم في أرض تونس ، فيزاد ثمنه على الثمن المطلوب .

« ومنه ان أهل الجزائر يطلبون مؤاخذه القريب بقريبه ويدعون السرقة والنهب على أهل السلطنة ، ويطلبون عقوبتهم بمجرد الدعوى . »

« وكانت رسلهم تنزل بباردو وباردو الضيوف بتونس ، ويلاقى الأمورون بهم من شدة التمسف والنف ما يستفز طبع الحليم . وحمودة باشا في خلال ذلك يتجرع الفصص ويجرعه لرعيته ، واذا اشتكت العربان من عسف الجزائريين ، يقول لهم لم أجد من أتحمز به منكم على دفع هذا الضيم . فتتعمل نفوسهم حتى توغرت صدورهم واشتملوا على بغض الجزائريين ، والظالم مبعوض بالطبع . والله لا يحب الظالمين . »

« وفي اثناء ذلك وفد الحاج مصطفى انقليز ، باي قسنطينة ، طريدا بعد عزله ، ومعه ابنه علي ، فاحسن الباي (حمودة باشا) قبوله ، وأكرم نزله ، وأعطاه بستانا بمنوبة وومده الامادة لبلاده . نفاظ ذلك صاحب الجزائر ، فتعمل بارمال عدد من البقر يطلب بيعه بتونس ، وعين الثمن في كتابه ، بصيغة صريحة في الامرة ، على غير الاسلوب الذي اعتيد منهم ، من لطف الخطاب ، وتلوش الامرة بمقتضيات المحبة . فانف (حمودة باشا) لذلك وامتلا حوضه ، وضعف تجلده . وجمع رجال دولته وكلهم في هذا الأمر . فقال له وزيره رئيس الكتبة ، أبو عبد الله محمد الأصرم : « نساعد أحوالنا ، ولا نقطع سياستنا فانها أحسن من حرب . فقال له الوزير يوسف صاحب الطابع : عظم الأمر واتسع الخرق ، والمساعدة هي التي أوصلتنا الى هذه الدرجة من الممره ، فان سيدنا (حمودة باشا) سمسار لصاحب الجزائر ، وليته وقف عند السمسرة ، بل هو محكوم عليه باداء مال معين . ودفعه بظلم رعيته ، كدفعه . من خزائنه »

الى أن يقول :

« . . . وكتب لصاحب الجزائر يقول : ان البقر امرنا يبيعه على يد هدلين . وتجمع من ثمنه كذا . وتولى قبضه رسولكم بامرنا . وان أرسلتم بعده للبيع شيئا . فليكن خطابكم في ذلك لوكيلكم ، وحاله في ذلك كعامة أهل البلد من غير فرق ، وقد كنا نرى ان فعلنا معكم سابقا انما هو ثمرة محبة ، وحيث رأيتموه واجبا ، فلانسلم هذا الوجوب .

« وأعلن بالحرب ، وأخذ في احضار موادها من العدد والعدة وامر أهل الجزائر بالرجوع لوطنهم »

(5) أي انسحبت سرا

(6) لم يقع هذا التخريج أصلا . وبقيت المسودة لا غير . وهي التي نشرها في هذا الكتاب

(7) طوبال كلمة تركية معناها : الأعرج

(8) الفرق العسكرية جمع : محطة

(9) سهل فسيح جميل المنظر ، يقع تحت جبال الجرجرة

(10) ليقدم له تحصية الصباح

(11) وقع ذلك سنة 1223 (1808) ولم تكن ثورة الجند هذه ولا مقتل أحمد باشا ، بالحادث السطحي . فان موجة اضطراب عظيم سادت بلاد الدولة العثمانية ، وخاصة العاصمة استانبول ، وقام جيش الانتكارية بثورات هوجا ضد النظام العسكري الجديد الذي يجعلهم جندا نظاميا ، وينزع عنهم ما الفوه من امتيازات . واشتدت فتنتهم في نفس هذه السنة ، وهاجموا القصر السلطاني واصلوا خلع السلطان مصطفى الرابع وسجنوه في قصره ونادوا ببيعة السلطان محمود الثاني . فهذا التجرد على دايات الجزائر من قبل الجيش كان في حقيقة أمره حلقة من سلسلة فليظة طوتت جيد الحكم العثماني ، الى أن قضى عليها السلطان محمود الثاني سنة 1240 (1826) بعد معركة هائلة . والفي نظام الانتكارية بصفة نهائية .

ذكر ولاية علي باشا (1)

15 رمضان سنة 1223 (2)

وبعدما ثار العسكر علي أحمد باشا وقتلوه اتوا بالذكور وبايعوه أميرا واجلسوه وبدل جميع الوزراء ، وبعد ثلاثة أيام عزلهم ، وعزل جميع العمال ، وجار الأتراك وأخذوا جميع ديار أوقاف الحرميين ، التي بيد فقراء البلد ، وأخرجوهم منها ، ونفي القبطان حميدو الى الشام لأنه كان يبغظه وكانت مدته أربعة اشهر .

اهم ما لم يذكره المؤلف

1 — تولى بواسطة الفتنة الدهماء اوائل أيام السلطان محمود العثماني

2 — كان القاضي المالكي أيامه : الشيخ أحمد بن علي بن جعدون والقاضي الحنفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان .

(1) ويعرف أيضا بالخنال . الجوالق هي الخسرق البالية من القماش . وكان رجلا وضع الرتبة عديم الاخلاق . ولولا الفتنة العسكرية الدهماء ، ما كان يصل لمرتبة الباشوية . ولو لامد تصير .

(2) 1223 (1808)

ذكر ولاية الحاج علي باشا

في 15 المحرم الحرام سنة 1224 (1)

والحاج علي هذا كان وزيرا ثالثا عند المذكور اعلاه ويسمونه خوجة الخيل ، وهو يدعى الشرف (2) ويلبس عمامة خضراء الى اليوم الذي تولى فيه .

وكيفية ذلك انه خرج من دار الامارة بعد الغداء ، ليستريح ، مثل عاداته فلما كان وقت الضحى الاعلى ، خرج من بيته ، واتى الى دار الامارة ، فلم يتعرض له النباجية من حيث انه اتى في غير وقت العمل . فدخل راسا لكرسي الملك ، وجلس عليه ، وبايعه العمال الحاضرون تلك الساعة وامر بالقبض على الباشا (علي الباشا السابق) فدخل اليه الشواش وقبضوا عليه واخرجوه لمكان قتل العسكر فخنقوه في الحين .

وعندما يسمع الناس المدافع . وراوا السانجاق العثماني طالعا بدار الامارة ونادى المنادي في الأسواق هرع اعيان البلد والفقهاء اليه واجتمع الديوان وبايعوه بيعة عامة ، ونظم الوزراء والعمال واستقر بالملك وعزل باي وهران وولى مكانه الباي محمد ، من اولاد الباي محمد ، الذي فتح وهران ، وولى نعمان بايا بتسنطينة ، وبعد سنة امر بخنقه وولى مكانه جعفر باي واستقامت له العمالة (3) ووقع الربح لجميع الناس .

اسطول الجهاد :

وقد اجتهد في تثنية المراكب الجهادية ، وقد انشا اولاً سفينة بلاندره ، وانشا كربيطا يعرف بالسكران ، وانشا غليوطة (4) ، واتاه كربيط هدية من استامبول . وهذا ما انشا في مدته خلاف ما كان موجودا من المراكب قبل ولايته ، ما اخذ من الغنائم .

ثم بعث الى القبطان حميدو يستقدمه من الشام فقدم ، واركبه الفركاطة الجديدة ، قبطانا كما كان . وكان مغرماً بالجهاد والغزو ، ومحياً للفرزاة والرؤساء ، وخصوصاً القبطان حميدو رحمه الله وحشرنا معه ، لأنه كان ذا صيت في البحر كبير ، وساعدته الأيام في الغنائم ، واخذ القراصنة ، وبقي على تلك الحالة الى ان استشهد كما سنذكره ان شاء الله .

الحرب ضد البرتغال :

ثم ان الأمير امر بتجهيز ثلاثة فراكط ، وبلاندره (ملاحظة : قال المؤلف في الهامش : (هنا تقديم وتأخير في الكتابة ونرتب ذلك وقت التخريج ان شاء الله) وأمر القبطان حميدو ان يذهب الى البحر الكبير (5) ليفزو على مراكب البردقيز فخرجت السفن من الجزائر وقصدت البحر الكبير ، والتقت مع سفن البردقيز في البوغاز (6) ، فلما تحقق البردقيز ان السفن سفن المسلمين ، ذهبوا لمرسى جبل طارق ، وارسوا به سفنهم . ثم ان نصارى جبل طارق لما راوا سفن الجزائر قاصدة مراكب البردقيز خرجوا ليروا كيف ياخذ البردقيز سفن الجزائر ، لان مراكب العدو كانت كثيرة وكبيرة . وكان رؤساء البردقيز يقولون : ان لقينا مراكب الجزائر نفعل بها كذا وكذا . وهم يفتخرون . فخرج جميع الناس ليروا الأمر . وبيعت المرآة الرادية (7) في ذلك اليوم يضبلون (8) ثم وقعت لهم المعرة في رجوعهم وصاروا مثل الكلاب بين أهل جبل طارق ، وبين الأجناس التي هنالك من أهل المراكب .

وبعد هروب سفن البردقيز ، ودخولها مرسى جبل طارق ، دخلت مراكبنا للبحر المحيط وأخذت غنائم من مراكب البردقيز ورجعت للجزائر سالمة غائمة ، وقسم الغزاة من دراهم تلك الغنيمة ثلاثة عشر دورو في السهم الواحد ، وكان ذلك في فصل الربيع .

وسافرت بعد ذلك ثلاثة مراكب صفار ، يسمونها البراكنتي ، الى سيسيليا ، والتقوا مع مركب قرصان تابع للساواروا فهجموا عليه ، وأخذوه ورجعوا سالمين . واحسن الأمير للغزاة .

الوقائع مع تونس :

وفي سنة 25 (9) سافر القبطان حميدو يقصد الغزو على النصارى . لكنه لقي مركبا من مراكب تونس ، فأخذه ووجده موسوقا بالشاشية ، ثم أمر الأمير بتجهيز ستة مراكب ، وأربعة لنجور من الكبار ، وعندما أتوا تجهيزها أمر القبطان حميدو بان يذهب الى جزيرة جربة ، وياخذها فسافر حميدو بالمراكب ولما وصل الى جربة ، وأرسى المراكب بمرساها بعث القبطان سفن اللنجور ، وأمرها بان ترمي الكور على برها . فلما رآها أهل جربة هربوا منها ، وذلك مساعدة لأمر الأمير وبقي حميدو بمرساها أياما ، ثم انه غادرها .

وكان أمير تونس عندما بلغه ان سفن الجزائر خرجت الى ناحية بلده ، أمر رؤساءه بان يجهزوا ثلاثة عشر مركبا ، ويخرجوا لأخذ حميدو . والتقى الجمعان على جزيرة قرقنة ، ووقع القتال . فهجم حميدو على فرقاطة من مراكب تونس فأخذها ، وهربت بقية المراكب التونسية ، فاتبعها سفن الجزائر لكن القبطان حميدو جعل لها اشارة فرجعت . وقال له رؤساؤها : لماذا لم تتركنا نذهب بأثارهم ؟ فقال لهم : نحن أخذنا لهم هذه الفرقاطة هذه المرة ، ومرة اخرى نأخذ لهم السفن ، لأنها كانت في حالة هزيمة . ودخلت السفن التونسية للمستير ، ومن هنالك رجعت لتونس ، فمكر بهم أميرهم أشد المكر (10) أما مراكب الجزائر فقد رجعت لبلادها ، وفرح بهم أميرهم ، وخطع عليهم خلعاً بالذهب (11) وأحسن اليهم غاية الاحسان ، وبالغ في الاحسان للقبطان حميدو ، وأعطى مالا لطائفة المراكب ، فقسموا ثلاثة عشر دورو لكل منهم .

وفي سنة 26 (12) أمر الأمير بتجهيز ستة عشر مركبا ، خلاف اللنجور ، وأمر القبطان حميدو بالذهاب لمقاتلة أهل تونس . فذهب اليها ، وأرسى سفنه بطبق الواد ، ورعى بالكور والبونبة بلدة حق الواد ، فهرب من كان بها . ووقع هول كبير بمدينة تونس . ثم رجعت السفن الى الجزائر .

ثم رأى الأمير ان يعمر عمارة في البحر ، ومحطة في البر ، على تونس ، فأمر بايجاد كل ما يلزم من آلات الحرب برا وبحرا . وكان الباى محمد قد دنش (13) في هذه السنة ، فأمر بتهيئة محطته لتذهب مع عمر آغا وكانت هنالك وحشة بين الباى وبين عمر آغا ، لان الباى كان قتل أخا عمر قبل أن يتولى آغا . فلما كانت سنة 27 (14) أمر الأمير بتوحيد العمارة ، وخرجت المحطة وبعثوا لباي وهران يستقدمونه ، فتأخر ، وجاءهم خبره بأنه ثار وناق في وهران ، فذهب عمر آغا اليه بمحطة ، وثلاثة مراكب قرصان في البحر ، وقبل وصول عمر آغا الى وهران ، كتب الى دائرة الباى ، فالقت القبض عليه وأوثقته . فلما وصل عمر آغا ، قتله ، بعدما عذبه . وهرب البعض من أولاده وأخواه ، وكانوا يعذبونه ويسألونه عن المال ، فلم يقر لهم بشيء حتى مات رحمه الله . ثم عمروا جردة رأسه بالقطن ، وبعثوا به للجزائر فأمر الأمير ان يجعلوه على عبود ، ويصلبه فوق باب البلد ، وبقي هنالك سنينا .

مؤامرة لانقاذ تونس :

وأما عمارة البحر ، فانه عندما كمل تجهيزها ، أمر الأمير وكيل الحرج بباب

الجهاد (15) ان يذهب مع العمارة لأخذ تونس لكن الله خيب أملهم فيما أرادوه للمسلمين .

وكان عدد المراكب 64 ، ما بين المراكب واللنجون ، فلما دخلوا لعنابة نادى وكيل الحرج المذكور على رؤساء المراكب ، يجتمعون عنده ليتكلم معهم . وكان القبطان حميدو مريضا فلم يذهب معهم . فعندما اجتمعوا عنده قال لهم : اننا قاصدون تونس ويجب علينا ان نكون بهرسي حلق الواد وندخله بعد ثلاثة ايام . ومن تكاسل يقتل .

فلما خرجوا من عنده ، اجتمعوا بموضع آخر ، واخذوا العهد من بعضهم ان لا يقاتلوا الا ما قل ، على مرأى منه ، اي من وكيل الحرج . ثم ذهبوا للقبطان حميدو واخبروه بمقالة وكيل الحرج لهم ، وبما اتفقوا عليه ، فشكرهم على ذلك . ولما دخلوا لتونس (بل حلق الواد) وجدوا عند التونسيين مائة من اللنجون ، فلما جاء وقت القتال خرج اللنجون التونسي ، فتقدم اليه اللنجون الجزائري ، وضرب بعض المدافع . ثم رجع القهري ، الى ناحية فركاطة القبطان ووكيل الحرج . وكان القبطان حميدو مريضا ، وصار كور اهل تونس يضرب في الفركاطة . وصار الظالم (وكيل الحرج) ينادي من القامرة (16) على القبطان ، ويقول لهم : قطعوا المخطاف واخرجوا بنا . فاتاه القبطان حميدو وقال له : هذا لا يكون الا اذا قاتلناهم ، ولا نهرب منهم . فقرب لنجور الجزائر من القبطان ، وجعل لهم اشارة ، فرجعوا الى ان صارت كورة العدو تلحقهم فاجابوه بانهم اقل عددا منهم . ثم انهم وقع لهم السقط (اي فساد في السفن) في اول القتال ، فامرهم بالضرب بما امكن لكي يردوا العدو ، فضربوهم من الفركاطة ومن بعض اللنجور ، فردوا العدو عنهم . اما راييس الفركاطة التونسية التي كان اخذها حميدو منهم سابقا ، وصار رائسا مع الجزائريين ، فانه خان العهد الذي تعاهد عليه الرؤساء ، ودخل بالفركاطة وقاتل بلدة حلق الواد واذى المسلمين . ومن الغد امر وكيل الحرج بالرجوع الى الجزائر ، وجعل الاشارة لجميع المراكب ، واصبح قائد الفركاطة الذي قاتل مريضا اشد المرض ، فلما خرجوا من المرسى وكانوا على الجوامر ، مات ودفنوه هناك في الجامور ، ورجعوا للجزائر .

واما المحطة ، فان عمر آغا بعدما رجع من وهران ، ذهب بها لناحية تونس ، وكانت العمارة تقدمت عليه . فلما وصل قرب الكاف بلغه رجوع العمارة الى الجزائر ، فرجع بالمحطة ولم يكن قتال بينه وبين اهل تونس ، وكفى الله المؤمنين القتال . ولقد كان مرادهم قتال اهل تونس برا وبحرا . فنقض

الله عزيمتهم بثورة البايع عليهم ويقال ان سبب ثورة البايع ان الاغا جعل له السحر حتى افسد عقله لانه كان يبغظه ولا يستطيع ان ينفذ فيه كلمته ، لان الامير قال لوزائه يوما من الايام : لا تاذوني في البايع محمد ولا في القبطان حميدو . واني لا اقبل فيهما اي كلام . وقيل انه لما اراد السفر الى ناحية تونس ، وامر عماله وكبراء رعيته بان يتهدواوا للسفر ، فلم يقبلوا الخروج من وطنهم ، فدخلوا على البايع ووسوسوا له من جهة عدوان الاغا . واطهروا له النصيح في ذلك ، واثاروا عليه بان يثور على الامير ويستقل بنفسه يدا مع مولاي سليمان سلطان المغرب (17) فاعتز بذلك ، وكانت عاقبته انهم هم الذين قبضوه واوثقوه .

وهذا من قلة عقله ، فانه طمع ان ينصره البربر ، وكم من احد اغتربهم واوثقوه في بهموت (18) لا قعر له كما تقدم ، مثل واقعة مولاي اسماعيل سلطان المغرب من الاشراف مع من تقدم من الاتراك (19) ، ولله سر في قلب الزمان ، وهو كل يوم في شأن .

الحرب ضد اليونان :

وفي سنة 28 (20) سافرت المراكب الجهادية بقصد الغزو على الكرايك (21) ومعهم القبطان حميدو ، فاخذوا منهم اكثر من عشرين مركبا موسوقة بالقمع والسلع ، منها ثلاثة كرايط (22) قرصان الا انها من غير مدافع . وعندما وصلوا للجزائر عمرها الامير بالمدافع وصارت من جملة المراكب الجهادية . وقسموا ما تحصل من دراهم الفتيمة فكان تسعة دورو في كل سهم .

كيفية قسمة الفتيمة :

وكان كل واحد من الغزاة ياخذ ما هو معين له . فمنهم من ياخذ سهما واحدا . ومنهم من ياخذ سهمين ، مثل الطيجي (23) ومنهم من ياخذ سهمين ونصف ومنهم من ياخذ ثلاثة ونصف وهو صاحب الدمان (24) ومنهم من ياخذ اربعة ومنهم من ياخذ خمسة (25) .

الغزو ضد السويد والدانمارك :

ثم سافرت المراكب الجهادية ايضا وغنمت من مراكب السويد ودبل المرك (26) عشرين مركبا كانت مشحونة بالسكر ، والقهوة وكوكا ، وغيرها من السلع وبيع ذلك وقسموا دراهمها فكانت 24 دورو في كل سهم .

مشادة من أجل أسير :

كان هرب من الجزائر أسير بردقيز من ناحية خارج باب الواد ، وحمله مركب اسبانيولي صغير . فلما بلغ خبره الى الأمير ، أمر بحجز جميع ما وجدته في المرسى من مراكب الاسبانيول ، وبعث لراي (27) اسبانيا وألزمه بالاتيان بالأسير ، والافانه يفعل معه الكثير . فبعث به للجزائر . فلما وصلها ، اطلق الأمير سراحه ، اكراما لراي اسبانيا . وانه اراد ان ينفذ امره لا غير . فانظر سطورة هذا الملك (الحاج علي باشا) مع النصارى ، وما أعطاه الله من الرعب والنصر .

الصلح مع البرتغال :

وكان البردقيز قد جاءوا سنة 27 لعقد الصلح ، بعد ان توسطت له الوسائط ، فانعقد الصلح ، ودفع مليونين ونصف ثمن الصلح ، وافتدى جميع اسراه الذين من جنسه بالف دورو (28) لكل واحد وفرق الأمير على العسكر من دراهم الصلح عشرة دورو لكل واحد .

أعمال عمرانية :

وكان الأمير قد بنى باب الجهاد بالمول (29) وبنى المخازن التي بين البلد وبرج الفنار ، وجدد قنطرة وادي الحراش وبنى قنطرة وادي شلف .

العودة لحرب اليونان :

ثم امر بخروج المراكب الجهادية الى غزو مراكب الكرايك فاخذوا لهم مراكب . ثم جاء الأمر من الدولة العثمانية بوجوب ارجاع تلك المراكب واطلاق سراح الأسرى منهم فما كان لوكيل الحرج من جواب على ذلك الا انه امر بشنقهم ، وصلبهم على صواري المراكب الجهادية . واجاب الأمير الدولة العثمانية بجواب قبيح حتى أنه قال لهم ان بقيتم على هذه الحالة فان الكريك ياخذون نساءكم . فلما بلغهم الجواب اثر فيهم كثيرا وقالوا ان هذا الرجل عاصي السلطان ، وحصل لهم حقد كبير عليه .

وبعد وفاته بسنتين ، ثار الكرايك على السلطان محمود ، ومكروا بالمسلمين ونسأئهم بكيفية لا توصف . وعندما وقع من الكرايك ذلك ، تذكروا كلام الحاج علي باشا ، وصاروا يترحمون عليه .

قتل وارهاق :

وفي سنة 36 صلب رجالا من جبل مزاية ، لان اهل الجبل قتلوا عسكريا ، ولم يقرروا على القتال ، ولم يبينوه فقبض على هؤلاء المتهمين وبعث لهم لكي ياتوا بالقاتل ، وان لم ياتوا به فانه يقتلهم في مكانه . فلم يمتثلوا لامره ، فصلبهم جميعا في يوم واحد وذلك سنة 37 .

ثم انه قتل من كبراء اليهود عددا ، فبعضهم لانه لبس اللباس الأخضر ، وبعضهم في ليلة عيد الفطر وبعضهم في يوم عاشوراء . واحرق بعضهم لانهم اكلوا اموال الناس بالباطل والزم اقاربهم بان يسددوا الاموال .

وفي آخر امره اختل نظامه وصار يقتل الناس . فقتل البعض من اهل البلد ، قتل وليد جنطوم وابن صيام ، وابن اللمداني لاجل انهم كانوا اصحابا لمحمد باي وهران (الثائر المقتول) وقتل رجلا غريبا من القدس للسبب المذكور ، ظلما وعدوانا . وقتل البارباري صهر احمد باشا وقتل ترجمانه ايضا . قيل انه ما اختل نظامه ووقع منه هذا الامر ، الا لان عمر آغا سحره . وقيل انه كان منجما وراى نفسه انه يقتل .

وعمر آغا كان يخاف من الامير خوفا كبيرا . وكان يوما من الايام ، امر ببناء قنطرة ابن هيني ، على مرحلتين من الجزائر الى الناحية الشرقية . فخرج ، وابتدا في بنائها . ورجسع للجزائر ليستريح . فامر الامير بقتل عسكر الزواتنة (30) على ما قيل .

التأمر عليه وقتله :

فاتفق الافامع وكيل الحرج عبد الله ، بدار الامارة على قتل الامير . ثم عاد عمر آغا الى اكمال عمله ببناء القنطرة المذكورة ، وبقي ينتظر خبر موت الامير ، الى يوم الثلاثاء في ربيع الثاني من سنة 30 (31) دخل الامير الحمام ، فاتي وكيل الحرج المذكور واغلق عليه الباب وامر واقد النيران ، على لسان الامير ، ان يقويها . فكلما زادها قوة ، امر بالزيادة والامير ينادي في الحمام على مماليكه ، ولا يسمعه احد . وصار يخذش في الباب ، الى ان اغمي عليه . ففتح وكيل الحرج عندئذ الباب ، ودخل اليه وذبحه ، واخرجه لسقيفة الحمام ، وابقاه هناك واوصد عليه الباب ، وتوعد المماليك بان لا يخرجوا هذا الخبر . وكان وقت الضحى ، فبعث الى عمر آغا ووصى السيار وقال له : ان لم تكن عند عمر آغا في وقت كذا ، فلا تلومن الا نفسك .

فذهب . ومن الغد قبل طلوع الفجر ، كان الآغا قد دخل الجزائر . ولم يكن عند الخزناجي خبر بذلك . لكبر سنه ، فبعد صلاة الصبح ، ذهب الوزراء لدار الإمارة كعادتهم ، وفتحت أبوابها ، ودخلوا وشربوا القهوة . فقام عمر آغا في وسطهم ، وأخبرهم بموت الأمير ، وقال لهم : ان الخزناجي هو الذي يتولى ، فوافق الوزراء على ذلك ، الا الخزناجي الذي امتنع كل الامتناع .

أهم ما لم يذكره المؤلف

1 - حاول جعفر باي تيطري إخضاع عصيان أهل الأغواط وناحيتها ، فآخفق في إخضاع العصيان الذي ثار فيها بين سطيف والمدية وبوسعادة . ثم أخضعت من بعد .

2 - يوم 6 جويلية من سنة 1814 ، جاءت سفينة فرنسية تخبر الداي رسميا عن تنازل الامبراطور نابليون بونابارت يوم 20 أفريل من تلك السنة . فتقدم أبناء اليهودي بوشناق (الذي كان أعدمه نفس الباشا) بمطالب جديدة في شأن ديونهم على الحكومة الفرنسية . واقتنع الباشا بصحتها ، وكلم قنصل فرنسا في ذلك ، فلم يجب بشيء وانسحب من البلاد .

3 - ثارت خلافات بين الجزائر ودولة الولايات المتحدة الأميركية فاعلن الباشا الحرب عليها ، واطرد قنصلها من البلاد .

4 - كانت أيامه كلها اثناء سلطنه محمود الثاني العثماني . وكانت مدة حكم هذا السلطان طويلة كئيبة مضطربة ، تطلتها الى جانب فوضى الجيش ، عدة حروب خاسرة مع الدول الأوروبية المختلفة .

5 - كان القاضي المالكي أيامه : الشيخ الحاج علي بن عبد القادر والشيخ محمد بن محمد بن علي .

6 - من أهم الوفيات التي حدثت في عهده ، وفاة الشيخ العلامة محمد الحنصلي القسنطيني .

التعليق

(1) 1224 (1809)

(2) الذي سمعته من قدماء العارفين بمدينة الجزائر انه كان حقا من سلسلة الاشراف ، ذرية الرسول الاعظم ويقولون انه كان عربيا من الشام .

(3) القطر الجزائري

(4) سفينة حربية

(5) المحيط الاطلسي

(6) مضيق جبل طارق

(7) النظارة الكبيرة التي ترى من بعيد

(8) تقدم ذكره ، وهو قطعة فضية تمثل مورود مزدوج

(9) 1225 (1810)

(10) اي هذبهم هذابا شديدا . قل ابن ابي الضيف (ص 15)

ثم بلغ الباي ان صاحب الجزائر يريد غزو تونس في البحر ، فجهز اسطولا به 24 مركبا حربية ، وثحنها بالمسكر ، وأمر عليها القبطان محمد رايس المورالي . فخرج ليلة الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الثاني سنة 1226 (7 ماي 1811) وكان يومئذ أكثر رؤساء المراكب من الأرنابوط (سكان البتيا . المعلق) فاتفوا من تقديم محمد المورالي عليهم . فلما التقى براكب الجزائر خذوه وأسلموه فدافع عن نفسه أسطول الجزائر وحده ، ومراكبه تنظر اليه ، لم يعنه أحد منهم بشيء فاستمات للقتال حتى عطبت مركبته « ورجعت بقية الشقوق لطق الوادي . بعد ان اسلموا أميرهم ليد المدور . ولما أتوا باردو دخل قبطهم إلى الباي رجل شاب اسمه محمد الازميرلي - ادركناه - من مكان قليبية - وكان من مسكر المراكب - فبكى وقال : ان هؤلاء الرؤساء كسونا معرفة لا تحتلها النفوس ، لمرحني أرجع لبلادتي « وقص عليه الخبر ، وتحقق الباي ذلك من بقية العسكر ، وشاهد الحال بصدقهم ، لان مراكبهم أتت سالمة كما خرجت ، فاحضروهم وقبح صنعم ، ونفاهم لقرى تونس ، مرموقين بعين احتقار ، ومذلة ، موسومين بخيابة »

(11) كساهم البسة مطرزة بالذهب

(12) 1226 (1811)

(13) سبق بيانه ، أي دفع ما عليه للدولة من ضرائب وجباليا

(14) 1127 (1812)

(15) الباب الذي كان موازيا للمرسى الحربي بالجزائر والذي كان المجاهدون يخرجون منه للفزو

(16) اصطلاح أروبي : بيت القيادة .

(17) مع أعظم وأشهر سلاطين السلالة العلوية الشريفة تولى الملك سنة 1206 ، وتوفاه الله محترلا الملك سنة 1238 .

(18) اشتقاق من كلمة البهائم ، على صيغة ملكوت ، وجبروت ، وعظموت .

(19) لم يذكرها المؤلف فيما سبق

(20) 1228 (1813)

(21) الكرايك هم اليونانيون الذين كانوا ثائرين على الدولة العثمانية من أجل الإصلاح منها ، مؤيدين في ذلك من طرف : روسيا وانجلترا وفرنسا . واستتوالى اخبارهم فيما يلي

(22) كرابيط سفن حربية صغيرة اسمها الفرنسي كورفيت

(23) الجندي القائم على امر الضرب بالمدافع . وكلمة « طوب » التركية معناها المدفع

(24) الدمان هو الآلة التي تحرك السفينة

(25) وذلك بعد دفع الخمس لبيت المال . كما تقدم

(26) الدانمارك

(27) ملك

(28) سبق ذكر الدورو الذي كان — ولا يزال — العملة الاسمية المعمول بها في الجزائر . يقولون لك اليوم مثلا ان الدينار الجزائري هو 20 دورو اي خمس فرنكات قبل الحرب العالمية الاولى

(29) مرسى المراكب البحرية

(30) معسكر الزواتنة هم الكولونيات الذين أسكنوهم وادي الزيتون . وكانوا من اب تركي وأم جزائرية

(31) 1230 (1814)

ذكر ولاية محمد باشا

سنة 1230 (1)

ولما وقع الاتفاق على الخزناجي اجطسوه على سرير الملك واجتمع الديوان والفقهاء واعيان البلد ، وباعموه واستقر بالملك . وكان له ابن فادعى الآغا المذكور بان ابنه يخرج المال من السراية وكذا وكذا فذهب اليوم السابع عشر من ولاية الأمير الى قشلة العسكر كانه هارب ، وكان مراده خلع الباشا الجديد وان يتولى هو مكانه فثار معه العسكر من اجل هروبه اليهم وذهبوا لدار الامارة ، وبعثوا له بالخلع فاخرجوه من دار الامارة وادخلوه لموضع قتل العسكر وخنقوه رحمه الله وكان رجلا كبيرا دخل في مدة التعمير (2) .

الصاعقة :

وفي ليلة المولد من سنة الثلاثين نزلت صاعقة على برج الفنار ، وتهدم بعضه ، وتداركنا الله بلطفه والا لكانت البلد تتهدم بالبارود الذي كان هناك .

اهم ما لم يذكره المؤلف

1 — الحقيقة ان سبب قتله هو انه كان يعلم ان عددا كبيرا من الجند لم يكن له وجود وكان خزناجيا مدة طويلة واطلع على جلية الأمر وعلم ان عددا من الموجودين كان يتسلم مرتبات ومخصصات الجند المفتعل فامر عندما تولى الحكم بتصحيح دفاتر الجيش والغاء مرتبات الذين لا وجود لهم . فثار اصحاب الفتنة وعلى رأسهم الآغا نائرة الجيش . ووقع ما وقع .

2 — كانت ولايته ايام السلطان محمود الثاني

3 — قضائه كالسالف .

التعليق

(1) 1230 (1814)

(2) اي ارذل العمر

ذكر ولاية

عمرباشا (1)

في ربيع الثانية سنة 1230 (2)

ولما قتلوا محمد باشا ذهبوا للقشلة واتوا بعمر آغا وولوه باشا ، واجتمع الديوان والفقهاء ونقيب الأشراف واعيان البلد ، ورؤساء المراكب الجهادية واطلقوا المدافع ورفعوا العلم العثماني وضربت النوبة . وبعد استقراره بالملك اشتغل باحضار الهدية للسلطان محمود (3) .

الجراد :

وجاء الجراد في هذه السنة . اوله اتى طائرا ، ثم غرس (4) واقام اياما في الأرض ثم خرج واكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء في تلك السنة وأعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سمرا على سعر أيام الرخاء وأمر الخبازين ان يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد لكن صار الناس يقتتلون (5) على ذلك الخبز . وبقي الأمر كذلك الى ان وجد الزرع الجديد ، وقد اخصبت الأرض تلك السنة ورخصت الاسعار والحمد لله .

الحرب مع الأمريكان واستشهاد حميدو :

وفي ايام غرس الجراد ، امر الأمير بسفر خمسة مراكب وعليها القبطان ، ثم جهز خمسة مراكب أخرى . من اجل غزو النابوليطان . والقبطان عليها هو الحاج عثمان ، من الأتراك (6) .

وعندما دخل القبطان حميدو الى البغاز اخذ خيرا بان عمارة المركان قاصدة للجزائر لطلب الصلح ، وكانت مؤلفة من تسعة فراكط ، وبرايدي ، وسكونات فرجع للجزائر ، واخبر الأمير بقدم المركان لطلب الصلح ، فقال وكيل الحرج للأمير ان رجوع القبطان حميدو قبل اتمام سفره انما هو من اجل العمل على

رأيه الخاص واطهار أنه يفعل ما يريد . فلما سمع القبطان مقالة وكيل الحرج بعث للأمير وطلب الاذن بالسفر فاذن له فساقر بعد ثلاثة أيام وذهبت معه بلاندره ، والغليوطة ، وبعد أيام افترق مع البلاندره والغليوطة ، ثم التقى مع الأمريكان على قابواكاطة ، وهي عشرة مراكب ، فأحاطت به ، وابتدا القتال . فدخلت عليه كورة ، وهو واقف على كرسيه ، فقسمته الى نصفين ، ومات رحمه الله في اول القتال ، فتقدم اليه خليفته احمد ولد عمر ، ويسمونه الباش راييس ، وحمله ، والقي به في البحر ، ووقف في مكانه للقتال فقاتلهم خمس ساعات ، واستشهد الكثير من المسلمين وتكسرت الفركاطة ودخل الماء بخزنة البارود ، وكانت كثرة المجاهدين الباقين جرحى ، فمنهم من قطعت له يد ، ومنهم من قطعت يداه معا ، ومنهم من فقد رجليه . وقتل بذلك الضرب عن المسلمين ، فهجم المركان عليهم واخذوهم . فلما صعد النصارى للفركاطة سألوا حالا عن القبطان حميدو ، فاخبروهم بموته فحصل لهم غيظ كبير وقد حكى لنا من شاهد هذا القتال ان النصارى عندما سمعوا بموت حميدو صاروا يضربون الأرض بارجلهم غيظا منهم على موته . ثم حملوا بقية المسلمين أسرى الى مراكبهم وادخلوا الفركاطة الى قارطاجنة والتقوا مع البلاندره فاخذوها الى قارطاجنة (8) ، ثم اتوا الجزائر وطلبوا الصلح مع الأمير ، فامتنع عن مصالحتهم . ولما اخبروه باخذ الفركاطة والبلاندره وموت القبطان اشتد غضبه ، وقال لا نصالحهم ابدا فبينما هم كذلك ، اذ طلع الكريبط من ناحية تماقفوس (9) ، وكان بعنابة فلما رآه العدو بعث له فركاطتين ، ثم بعث الميرانت (10) زورقا للمرسى ، وقال لهم ان لم تصالحوني فانا آخذ الكريبط ، فعظم الأمر على الباشا بان يأخذ له العدو الكريبط قبالة البلد ، ولا طاقة له على منعه ، فجعل معه الصلح في تلك الساعة وجعل المركان اشارة للفركاطتين بالرجوع عن الكريبط وانزل اسارى المسلمين والتزم باصلاح الفركاطة وارجاعها واما السبانيول ، فقد اتوا بالبلاندره ورجالها لكونها اخذت قرب بلادهم (11) .

الحرب ضد نابولي :

أما المراكب الخمسة التي ذهبت لناحية المشرق فدخلت الى غلف بليينية (12) وبعثوا سرية على ارض النابليطان فقبضوا على اربعمائة وخمسين أسيرا من النصارى وفيهم البعض من النساء والفراري نحو الخمسة عشر ، وفزع لهم النصارى ، فتقاتلوا مع من لحق بهم أولا ، ثم خلصوا منهم وركبوا زوارقهم وحملوا الأسرى الى المراكب . ولما خرجوا من الغلف ،

أخذوا مركبين ، مركب سيسليان ومركب حسونة «ورديار باشي» تونس ، ولما كانوا قرب حلق الواد لقيهم مركب من قرصان الانكليز ، فسلموا له حسونة كي ينزله بتونس ، فلما وصل عمر سكونة (13) قرصان ، وخرج في طلب مركبه الذي أخذه أهل الجزائر . فلحق به عند جزيرة مالطة . وكان القبطان الجزائري عندما أخذ مركب حسونة ، سلمه لقيادة رايس من رؤساء الجزائر اسمه الحاج مصطفى وليد عيسى (14) وكان تأخر عن قرصان الجزائر فعندما لحقته السكونة التونسية وعرفها استقام اليها ليقاتلها فلما رآه التونسي كذلك رجع عنه ، والجزائري عندما رآه قد رجع عنه ذهب في طريقه والتحق برفقائه في مرسى عنابة ، وقد كانوا سمعوا بموت الرايس حميدو فرجعوا للجزائر .

غزوة بيضاء :

وفي سنة 31 (15) أمر الأمير بتجهيز عشرة مراكب جهادية وجعل القبطان عليهم دالي حسن ، من الأتراك . وبعث بهم للبحر المحيط لغزو الفلامينك (16) فسافروا ، ودخلوا البحر الكبير ، وما وجدوا مطلوبهم ، فلما اتموا أيام سفرهم رجعوا للجزائر .

الانتقام لحميدو :

وبقي الأمير مفتاظا على وكيل الحرج الذي تسبب بكلامه في سفر حميدو حتى لقي حتفه ، فأمر بعزله عن سخط ، وذهب لباب الجهاد بنفسه واجتمع مع قباطين البحر ، وقال لهم : أنا لا أعرف أمر البحر فانتم المكلفون به أما أمر البر ، فانا له . ثم خلع (17) على رؤساء المراكب الذين كانوا بالبحر ، كبايط (18) كلها ذهب .

الفاء الأسر :

وقد ذكرنا انه اشتغل باحضار الهدية للدولة العثمانين عند توليه الملك . فلما حضرت ، طلب من الانكليز ان يبعثوا له بفركاظة لتحمل الهدية الى استامبول .

وفي تلك السنة ، إتفق جميع الرايات (19) مع السلطان محمود على الفاء الأسر فالمسلمون لا يأسرون النصراري والنصارى لا يأسرون المسلمين واتفقوا على ذلك .

فقدم الانكليز للجزائر بعمارة وأخبس الأمير بذلك ، وما اتفقوا عليه مع السلطان محمود وان الأسارى النصارى الذين بكامل الوجاقات كلهم تسرحوا من غير فدية . أما الأسارى الذين بالجزائر فانه أتى لكى يحملهم ، ولكن بعد دفع الفدية . وقالوا للأمير : اننا ندفع نصف الفدية هذه المرة وناخذ كامل الأسرى وبعد أيام نكمل بقية أموال الفدية . فقال لهم الأمير : انه لا يعطيهم من الأسرى الا على مقدار ما يدفعونه من المال وعندما ياتي ببقية الدراهم ، يأخذ بقية الأسرى . وكان الميرانتى الانكليزي قد طلب من الأمير حمل كافة الأسرى ، واغتناظ وتكلم بكلام قوي فأطرده الأمير . وقال له لا نعطيك ولا أسيرا واحدا ، ولا نبطل الأسر ، وانعل ما بذاك .

فلما انفصل الميرانتى من عند الأمير ذهب لوكيل الحرج بباب الجهاد ، ليتكلم معه ، وتكلم معه كلاما فاسدا فاعتناظ وكيل الحرج . واشتدت المناقشة فضرب وكيل الحرج الميرانتى فرجع لعمارته .

أما وكيل الحرج فقد ذهب الى باب الجهاد ، وأمر المجاهدين بتعمير الأبراج ، وبمقاتلة الانكليز اذا بدأوا القتال — وفي ذلك الوقت جاءت الفركاطة التي تعينت من لندرة لحمل البشكاش (20) فارست ، وذهب رايسها للميرانتى وتكلم معه ، ثم انه ركب زورقه واتى للمرسى . ففتلقاه قائدها ، وسأله عن مهمته ، فأجابه بانه أتى من لندرة ليحمل الهدية ، فواقفه هنالك ورجع للأمير فأخبره بامره فاذن له في الدخول فدخل ، والتقى بالأمير ، وأخبره بمجيئه لحمل الباشكاش ، ففرح به الأمير ، وقال له : كيف نبعث معكم الباشكاش . وانتم الآن اعداء ، فقال له : اما انا فلا عداوة بيني وبينك . وانا اتيت في خدمتك . وصار يلاطف الأمير ، وقال له : انا اذهب للميرانطي وانظر كلامه . واصالح بينكما ، ولا تكون العداوة بيننا ، ان استجاب لي . فأجابه الأمير : ان كان من أجل خاطر ، فيجب ان يدفع نصف المال ، ويأخذ نصف الأسرى وعندما يكمل الدراهم يحمل النصف الآخر . فذهب . ثم رجع اليه ، وقال له : غدا ندفع نصف الدراهم ، ونحمل نصف الأسرى والبقية تدفع على أجل قدره شهر ونحمل بقية الأسرى .

الصلح مع النابليطان :

ثم تكلم معه في أمر الصلح مع النابليطان فأجابه الى ذلك ، ونزل الميرانتى ، وعقدوا الصلح مرة أخرى ، وذهب الميرانطي الى مالطة ونادى رايس الفركاطة ، وواعده بيوم السفر ، وحمل الباشكاش ، واحسن اليه بكيوط محلى بالذهب ، وسيف بالذهب ، فرجع الى جفنه واشتغل برفع الهدية ، بعد

ان عين الأمير آغا الباشكاش ، وجعل في السفينة الانكليزية ، الأشياء المهمة . أما مادونها فقد حملها مركب آخر ، وسافروا الى استامبول .

الهدية للسلطان :

ويحكى من هذه الهدية التي بعث بها هذا الأمير ، انه لم يقدم مثلها أمير قبله ، ولا أمير بعده ، وكثرتها من احجار اليواقيت ومن الجواهر النفيس (21) ومن الذهب الابريز ، وقد قدرت حجرة واحدة من الحجارة المرصعة في سرج من السروج بستة وثلاثين الف محبوب او دورو وهذا شيء لا يقدر بثمن . انما يعبر الناس عنه بالخزائن .

اخذة رابية في ساعة نوم :

ولما انتهى الاجل الذي جعلوه مع الانكليز ، كتب الى جافر باي قسنطينة ، وأمره بان يمسك مراكب النابوليطان الذين يصطادون المرجان في ناحية عنابة ، ويبقيهم هنالك عنده ليجبر جنسهم على دفع الفدوة (22) . ثم أمر الانكليز بان يعطوه ما عين لهم ، لان الانكليز يؤدون على ذلك مالا معلوما (23) في كل سنة ، بعضه يدفع لخزينة الجزائر ، وبعضه يدفع لخزينة قسنطينة . وهم مقابل ذلك يسمحون لباركوات (24) النصارى بان يصطادوا لانفسهم المرجان من بحر طبرقة الى بحر سكيكدة . وفي يوم الأحد ، او في يوم يكون البحر في هيجان يدخلون مرسى عنابة او القالة ويشترون ما يخصهم ، من المونة . وكانت صيادة المرجان قبل ذلك بيد الفرانسييس ، ولم ادر ما السبب في نزعها عنهم (25) .

فارسل الباي لعامل عنابة يأمره بقبض مراكب المرجان التي بمرسى عنابة . فلما قرا الكتاب ، أمر اهل البلد وجماعة النوبة (26) بقبضهم ، فاذا بهم هجموا على مراكب المرجان وقتلوا منهم نحو المائتي نصراني ، ونهبوا المرجان الذي بداخلها وقد هربت زوج باركوات لبلادها .

وسمع النابوليطان بما وقع لرعييتهم ، وكانوا يجمعون مال الفداء ، فبعث الراي للميرانتي (الانكليزي) بمالطة واخبره بما وقع .

ثم ان الانكليز قدم بعمارته للجزائر . وعندما خرج من مالطة التقى مع عشرة من فراكط الفلامنك ، وكان الانكليز قبل ذلك قد رغب من الأمير ان يجعل معهم الصلح ، فلم يقبل الأمير الصلح ، واشترط عليهم شروطا لا يطيقونها ، فلما لقي الفلامنك عمارة الانكليز طلب منها ان تاتي معها . لكي يتوسط لهم في الصلح مع الأمير مرة اخرى .

ووصلوا للجزائر في اليوم الثالث من عيد الفطر (27) ، قبل الزوال . فلما توسطوا الجون ، أرسى سفنه وبعث زورقا يحمل رسالة للأمير وجعل الرايات البيضاء فوق السفن علامة الأمان الى أن يتكلموا . فتلقاه قائد المرسى وساله عن مجئيه فناوله الكتاب ، وقال له : نريد الجواب في ساعتين . وبقي هناك يترجى الجواب عند باب المرسى ، وذهب قائد المرسى للأمير بدار الإمارة ، فوجده نائما ولم يوقظوه ، حتى انتهى الأجل ، ورجع زورق الإنكليز وكان الأمير قبل ذلك يجلس كل يوم في باب الجهاد من الصباح الى المساء . وبعض الليالي يبيت هناك . لكن اذا اراد الله امرا هيا أسبابه ، حتى كان ذلك اليوم ، فدخلت العمارة رافعة راية الأمان البيضاء . فبعث القبطان لوكيل الحرج ، وقالوا له ان هذه العمارة داخلة للمرسى فيجب ان نضربها قبل ان تدخل تحت الأبراج لانها ان دخلت تحت المدافع اهلكتنا . فقال لهم : كيف نضربه وهو حامل للراية البيضاء ؟ قالوا له : هذه خدعة . فمنعهم عن الضرب فاغلظوا له القول . فقال لهم : من ضربه بمدفع قتلته . الا اذا اتانا الأمر من الأمير .

وهكذا دخلت العمارة تحت الأبراج وارتست ، والناس ينظرون اليها الى أن أصبح قريبا من الأرض ، وصار يشير للناس بان يهتفوا فلم يفهموه حتى ان بعض البهائم (28) من الناس قالوا ان تلك الإشارة مبايعة للأمير . وبعث الامير انتي سفن الفلامينك تحت برج يسمى براس سفورة ، مقابل باب المرسى ، ورتب مراكبه كيف شاء . فعند ذلك استيقظ الامير من رقدة اهل الكهف ونظر الى البحر ، فرأى العمارة ارتست بباب المرسى ، فخرج فازعا وهو يهرول حتى خرج من باب الجزيرة ، وقابل الأبراج وهو يجر رداءه وصار يشير وينادي اهل الأبراج ويأمرهم بالضرب . فضربوا المدافع في الهواء . الا ما قل قبالة بعض مراكب العدو . فلما رأى العدو ان الضرب ابتداء من عندنا ، اخذ يضرب هو أيضا . حتى تصمم جميع الناس ، وبقي يضرب في ظهور الأبراج وفي البلد . فجاء العسكر الى الجامع الأعظم ، وضربوا منه العدو بالرصاص ، لان سفينة الميرنتي كانت تحته ، وقتلوا النصاري الذين كانوا على ظهر السفينة . وكان جانب السفينة محاذيا للجامع ، فصار يرمي الكور على الجامع حتى هدم شطره ، وهرب من كان به من العسكر . وكثر الهدم في الأبراج ، وتعطلت المدافع . وفي اول المعركة ، ضربت سفينة للعدو ، اللنجون الذي كان بداخل المرسى ، ففسد جله ، واستشهد اكثر رجاله ، فما منع منهم الا القليل ، هربوا للأبراج .



عمر باشا يتفاوض مع رؤساء البحر الانكليز

وبقي القتال من أبراج المرسى ، ببعض المدافع المتقابلة للعدو ، وهو يضرب الأبراج بالبومبة والكور ، بجميع مراكبه ، الا برج رأس سفورة ، وبازائه طبانة (29) سيدي مبارك ، وفيها نحو عشرة مدافع مع الماء ، لا يلحقها ضرب العدو . فقاتل رجالها فراكط الفلامينك قتالا عظيما يرضى الله ورسوله . واهلكوا تلك الفراكط ، فإشار أهلها الى الميرنتي بهلاكهم ، فأمرهم بالمقام من أجل حمايته اذ لو ذهبت تلك الفراكط لهلكت سفيفته من ذلك البرج .

ولما كان وقت الأسفرار بعث فلوكة لداخل المرسى لكي يحرق مراكبنا ، فضربها بعض الناس من سقيفة برج رأس المول . فمات اكثر من فيها ، ورجعت الفلوكة . ثم بعث فلوكة اخرى ، وصار يضرب الموضع الذي ضربوا منه الفلوكة بالمدافع الى أن دخلت وأوقدت النار في السفن المحاذية لها ، فالتهمت نارا الا مركبين كانا داخل المرسى قريبين من البر . وصار الليل نهرا من ضياء النار ، وبقي الأمر كذلك الى شطر الليل .

وقد رأيت طيورا بيضاء ، تحوم على البلد والأبراج وأنا بعيد عن البلد قدر ساعة من الزمن ، وما رؤيتي لتلك الطيور الا من ضوء النار ، وأنا اذاك ببستاني (30) مقابلا للبحر والمرسى والبلد . وعندما ابتدا القتال لم يقدر احد من اهل البساتين على الذهاب للبلد لأن الطرقات قد قطعت من ضرب الكور الذي كان كالمطر الغزير ، فكنت لا ترى الا الغبار . وبعدما رأينا الطيور تبدل مجرى الريح ، وأصبح ريح بر ، وأعطى الله المطر في تلك الساعة . وصار الريح يخرج مراكبنا من المرسى ، بعدما احترق رباطها ، وكلها صارت نارا ثم ان العدو قد نفذ له البارود ، فرفع مخاطفه ونشر شراعاته وخرج . فعند ذلك رجعت الحياة للمسلمين ، وقاتلوه قتالا عظيما ولما بعد عن رمي الكور ، ارسى السفن بوسط الجون .

ومن الغد بعث الميرنتي زورقا فيه مكتوب مضمونه : يجب ان ترجعوا لنا ما أخذتم من الدراهم التي دفعناها لكم سابقا . وتعطوني جميع النصارى الذين هم أسرى عندكم . وتجعلوا الصلح مع الفلامينك . والا فاننا نجدد القتال . فلما وصل الكتاب للأمير ، اجتمع عنده عسكر الأتراك ، وجميع الرؤساء وقرا الكتاب وسألهم ما تقولون ؟ فتكلم الرؤساء لأنهم اهل المشورة في أمور البحر ، وقالوا : لا نعطيه الدراهم ولا الأسرى ونقاتله .

فقام رجل من أحقر العسكر وأصغرهم ، فقال لهم : باي شيء نقاتله ؟ ان المدافع كلها تحت الردم (الانقاض) فاجابوه بان مراكب العدو كلها تكسرت وعلامة كسرها انها استقبلت البحر ولم تستقبل الريح . ومن عادة المراكب

انها اذا ارست فتكون مستقبلة للريح وهم الان مستديرون وقد جعلوا المخاطف من جهة البر ، وعلى مقدار ما يستطيع العدو اصلاح مراكبه ، نستطيع نحن ان نرفع التراب والحجر ، ونظهر مدافعنا ، ونقاتله على البعد ولا نتركه يدخل كالمرة الاولى . فاجاب ذلك التركي وقال للأمير : اعطه ما طلب واجعل معه الصلح . ولا نقاتله . فكثر الكلام ، وعلت الأصوات ، حتى كاد يكون ما يكون .

واخيرا قال لهم الامير : اكتبوا له . واعطوه ما يريد . وهكذا وافق الظالم سفهاء العسكر ، ورد له المال ، واعطاه النصارى وعقد معه الصلح .

الصلح مع الفلامينك :

وكذلك عقد الصلح مع الفلامينك ، ولم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم ، وهو غرامة سبع سنين . وكان الفلامينك يعتمرون ان يدفعوا غرامة ثلاث سنين ، ثمنا للصلح ، تدفع في اجل معلوم .

الصلح مع الانكليز :

وكان اتى قبل ذلك اليوم بورمورت لعقد الصلح . ولم يقبل منه الامير وبقي اياما قبالة الجزائر ، حتى قدمت فرقاطة وكريبيط جزائريتان ، وكان رايس الفرقاطة جلاق حسين ، ورايس الكريبيط الحاج احمد الحداد ، رحمهم الله . فلم يروا العدو ، لان الفرقاطة كانت عندما طلع النهار قرب المرسى ، حتى كادت تصادم البر ، ثم دخلت . اما الكريبيط فانه كان عند طلوع النهار ، امام تماقفوس فعندما راي العدو قريبا منه اقترب من البلد ، ولحقه العدو ، ووقع القتال بينهم ، الى ان وصل الى مرمى الكور من الابراج ، فرجعوا عنه ، وحفظه الله منهم . واغتاز الامير على رايس الفرقاطة ، لانه دخل ، وترك الكريبيط وحده امام العدو ، والله المستعان . وكان ذلك اليوم ضبابا .

ومن ولاية هذا الظالم تقهقرت بلادنا ورجعت الى الوراء . ولو شاء الله لكان الانكليز اخذ البلد هذه المرة ، لكن لازال اجها . لانه عندما دخل المرسى وافسد ابراجها ، لم يبق له الا انزال عسكره . والبلد كانت فارغة من الناس لأن اكثرهم ساكن بالبساتين ومقيم فيها لأنها كانت ايام العيد .

وعندما وقع الصلح ونزل القنصل ، وضربوا مدافع الصلح ، حمل المخاطف (31) واستقبلت سفنه الريح كعادتها فعند ذلك ظهر تكسيرها ونسائها ، وحصلت للأمير ندامة . وبقي اياما وهو يرقع مراكبه ، وعندما رجعت مراكب الانكليز فسذ بعضها في الطريق ولم تصل بلادها . وهذا كله من فساد راى الامير ، وراى المفسدين من العسكر .

تلاحم الاسطولين الجزائري والانكليزي امام الجزائر



وقد رأيت العسكري الذي أشار بالصلح مع الإنكليز ، رأيته لم يمت إلا بعد ان اشتاق الى الموت وما وجدته ، ولقد عذبه الله في الدنيا ، وكذلك في الآخرة ان شاء الله . ولو ان الأمير اخذ برأي الرؤساء لما حل بنا هذا . ولكن لا ينجي من قضاء الله شيء . والله عاقبة الأمور . فسبحان من لا يزول ملكه ولا يسأل عما يفعل .

تجديد الحصون والسفن :

وعندما ذهب الإنكليز ، بعث الأمير لعماله بالبلدان وأمرهم بان يبعثوا البنائين الذين عندهم . وأمر البنائين بالبلدان ان يصلحوا الأبراج وأضاف اليهم بنائي العمالة عندما قدموا ، وكان واقفا معهم . وهم يعملون ليلا ونهارا . فلم ينقض شهر حتى أصلح ما فسد من الأبراج ، وبنى الجامع الأعظم ، وعاد كل شيء لأصله . وأنشأ كربيظا ، كمل في مدة حسين باشا ، وكتب للسلطان محمود ، واهل الدولة وعين الرسول الحاج علي غرناوط (32) وبعث به في السكونة التي بقيت بعد الحريق . فوصل الى استامبول ، ووجد آفة الباشكاش لا يزال هناك . فدفعوا المكاتب للدولة وأطلعوها على ما وقع لنا مع الإنكليز . فأعطاهم السلطان محمود ثلاثة مراكب من نوع فركاطة . وزوج كرايت ، ومدافع وآلات حربية ورجعوا بها للجزائر .

مولاي سليمان سلطان المغرب :

ثم كتب الأمير للسلطان مولاي سليمان أيضا (33) وعين السيد الحاج محمد العنابي قاضي السادة الحنفية رسولا . فلما بلغ المغرب ودفع المكاتب للسلطان ، أمر السلطان باستضافته ، وبعدها استراح التقى مع السلطان ، فأحسن اليه ، وأعطاه مركبين من نوع كربيظ ، وبلادنرة وأعطاه أموالا وأمره بتسليمها للمجاهدين ورجع للجزائر .

هدية طرابلس :

أما يوسف باشا ، أمير طرابلس فقد بعث بلاكرة اعانة للجزائر . وعندما بلغت المراكب المهدات من استامبول جاء معها الوباء الى الجزائر واشتعلت ناره سنة 32 (34) وفي شوال من السنة المذكورة ثار عليه الأتراك وخنقوه بدار الإمارة كما سيأتي تفصيله .

وكانت دولته وأيامه كلها عكس ومصائب : الجراد ، والفلاء ، ومصيبة موت حميدو ، ومصيبة إنكليز ، وكان سفاكا للدماء .

أهم ما لم يذكره المؤلف

1 — أرسل إلى باي تونس انذارا بطلب :

(أ) الاعتراف علنا بتبعيته لباشاليك الجزائر

(ب) دفع كامل ما عليه مما كان وقع عليه الاتفاق من قبل

(ج) تحطيم حصون ومعقل الكاف

ولم يرد جواب قطمي من تونس عن ذلك

2 — كانت سفن انكليزية تشتغل بصيد المرجان شرقي الجزائر ، فانزلت

بحارتها للبر قرب عنابة دون اذن لها بذلك ، فصادمها اهل المدينة وجيرانهم

وقتلوا كامل رجال البحر الانكليز . ثم ان الباشا امر بالاستيلاء على ما بمركز

صيد المرجان الانكليزي وساق لـ 800 من رجاله ثم سلمه من جديد

للفرنسيين .

3 — المعاهدة التي عقدت مع الانكليز بعد الكارثة البحرية الجزائرية ،

اطلقت سراح 12000 أسير منهم أسارى اماريتي نابولي وسردينا الذين

اطلقوا مقابل دفع 2500 فرنك فدية لكل أسير نابوليطاني و 1500 فدية لكل

أسير سردي .

4 — كانت أيام امارته كلها في ظل السلطان محمود الثاني

5 — كان القاضي الحنفي في أيامه الشيخ احمد بن ابراهيم البابوجي ، ثم

الشيخ محمد بن راسيل ثم الشيخ احمد بن حسين واخيرا الشيخ محمد بن

محمود العنابي .

أما القضاة المالكية ، فكانوا على التوالي : الحاج علي بن عبد القادر للمرة

الخامسة والشيخ احمد بن جعدون .

التعليق

(1) يقول ليون روش ، في كتابه ثلاثون سنة خلال الاسلام : انه روى عن ابن عمر باشا شخصيا

قوله : قدم أبي من تركيا إلى أفريقيا على نفس المركب التي امتطأها محمد علي الذي أصبح

باشا مصر ، واتصلت بينهما الصداقة وكانا قاصدين مصر معا ، لاستخلاصها من الجيش

الفرنسي ، وأقضى كلاهما لمصاحبه ببطامعه واحلامه فقال محمد علي لعمر : لا يجب أن نكون

معاً في بلد واحد . لأننا لا محالة سننصدم ونختلف فانا مازدهب لمصر ، وأنت اذهب

إلى بلد آخر . واتفقا على ذلك فكان عمر ممن قدم إلى الجزائر . ووصل إلى كرسي

الباشوية . لكن أيامه كانت أيام سوء في البلاد ، كما سير بك .

(2) 1230 (1814)

(3) كانت العادة ان الباشا عند ولايته يرسل هدية للسلطان ويطلب منه فرمان التولية وكان السلطان يرد الهدية بأحسن منها ، ويبحث للباشا بالتقليد والقطنان (انظر تفاصيل ذلك في كتابنا : محمد عثمان باشا ، داي الجزائر . طبع الجزائر سنة 1937 .

(4) أي حط على الأرض

(5) يتقاتلون ، أي يتزاحمون بشدة حوله

(6) كانت الاغلبية العظمى من رؤساء المراكب الجهادية من ابناء الجزائر ولم يكن بينهم الا القليل من الأتراك .

(7) رأس كاتا ، على الساحل الجنوبي الاسباني مقاطعة المريا

(8) قرطاجنة ، مدينة على الساحل الشرقي الاسباني بناها القائد البونبقي الشهير حنبعل قبل المسيح .

(9) لرضة صغيرة مواجهة لمدينة الجزائر على الطرف الآخر من الجون

(10) الأميرال

(11) السفينة التي استشهد بها الرايس حميدو رحمه الله

(12) هي بلنسية الاسبانية والغلف كلمة افرنجية معناها : الخبيث

(13) سفينة حربية متوسطة الحجم

(14) عائلة جزائرية قديمة لا تزال موجودة الى الآن

(15) 1231 (1815)

(16) أهل امارة الفلاندر الموجودة اليوم ضمن دولة هولندا

(17) اهدى

(18) جمع كبوط بتشديد الباء وهو الرداء الخارجى الذي يلبس فوق الثياب والكلمة المرنجية

(19) الملوك

(20) الهدية السلطانية

(21) وكلها ليست من الجزائر بل واردة من الخارج

(22) الجمل الذي تدفعه الدول الصديقة مقابل السلام وعدم تصدي القرصان لمراكبها

(23) كان اتفاق الانكليز مع الجزائر انهم يدفعون ذلك على رأس كل سنة لاكل ثلاثة أموام كبقية الدول

- (24) جمع باركراي ، سفن صغيرة للصيد
- (25) تقدم لنا بيان ذلك فيما سبق
- (26) جماعة الحراس المدنيين والمسكرين وهو يتناولون الحراسة مناوية
- (27) هي الحملة المعروفة باسم حملة الأميرال ايكسموت . وقد دخلت كما رأينا مخادعة لمرسى الجزائر وكان ذلك يوم 22 أوت 1816 .
- (28) الحيسر
- (29) حصن . واصل الكلمة طوب خانة : لفظ تركي معناه : مركز المدافع
- (30) لا يزال بعضه موجودا لأن مع الدار البديعة التي به . وهو على منتصف الطريق بين المدينة والأبيسار
- (31) المراسن
- (32) غرناوط ، أصلها ارناوط ، وهم سكان البانيا ولا تزال هذه العائلة الى اليوم
- (33) كتب يطلب من سلطان المغرب اعانة عسكرية لتجديد جيشه وعمارته البحرية .
- (34) 1232 | 1816 |

ذكر ولاية علي باشا (1)

في شوال 1232 (2)

وعلي باشا هذا كان من خوجات الترك ، وكان ملازما للسكوت . الى هذه السنة المذكورة فعندما ثار العسكر على عمر باشا ، وارادوا غيره ، سمع الباشا بأمرهم ، وأرسل لهم شياوشا من شواش العسكر الى قشلة الخراطيين لينهاهم عن ذلك . فعندما دخل الشاوش عليهم ، وجد علي خوجة في وسطهم فقالوا له : ارجع الى الباشا ، وقل له يخرج من دار الامارة فلا حاجة لنا به . واننا قد اولينا من يصلح بنا . واننا قادمون الآن الى دار الامارة ، فان وجدناه هناك قاتلناه . رجع اليه الشاوش ، ووجده قد تهيأ لقتالهم . فقال له الشاوش : ان هؤلاء الناس لا رجوع لهم عنك ، وانهم قالوا لك يجب ان تخرج من دار الامارة فان أتوا ووجدوك ، قتلوك .

فقال لوزرائه : ماذا تقولون انتم ؟ فلما رأهم ساكتين ، مطرقتين برؤوسهم الى الأرض ، وضع السلاح الذين كان عليه ، وقال لهم : افعلوا ما شئتم ، وذهب لموضع يقال له الجنينة ، واستقبل القبلة ، وأمرهم بان يخنقوه . فجاء الحراس وخنقوه . فلما مات بعثوا بخنجره الى علي خوجة الذي اولاه الجند ، وكان الرسول هو الشاوش الذي ذهب اولاً لكي ينهي العسكر : فلقينهم قادمين بعلي باشا . فعندما وصل اليهم قبل يد علي باشا . وجعل له الخنجر في وسطه ، وأخبره بموت عمر باشا .

ثم وصل العسكر الى دار الامارة ، واجلسوا علي باشا على سرير الملك ، وقدم الديوان والفقهاء وأعيان البلد ، والبسوه الخلعة وضربوا المدافع والنوبة

ونادى المنادي في الأسواق بنصره ، وبايعه الفقهاء ، وكافة الوزراء وأهل الديوان .

ثم انه بعد ان تفرق ذلك الموكب طلع للسراية ، واتى بمايتين من العسكر وأبقاهم معه ، لا يفارقونه ليلا ولا نهارا . ومن الغد عزل الوزراء ، فمنهم من ابقاه ، ومنهم من قتله ، فاما الخزناجي فقد نفاه الى تلمسان . واما خوجة الخيل فقد نفاه لمستغانم واما الآغا فأمر الخليفة بخنقه وأولى وزراء آخرين : فعين الخزناجي الجديد رجلا مسنا بلغ المائة سنة ، وأولى في منصب الآغا رجلا آخر تركيا اسمه ماسش القوراجي ووضع في منصب خوجة الخيل حسين خوجة ، وكان كاتب مخزن الزرع ، وهو الذي تولى بعده باشا ، وأولى في منصب وكيل الحرج ، تركيا كان يشتغل بصناعة نسج الكتان . وتركيا آخر لبيت المال ، أما نواب وكيل الحرج فقد كانوا اثنين ، وصيرهم أربعة .
ثم انه بدل جميع العمال ، واستقر بدار الإمارة .

اتخاذ حصن القصبه مقرا للإمارة :

ففي بعض الأيام خرج في موكب ، وذهب الى القصبه (3) وأقام بها نحو الساعتين . ورجع ولم يعرف احد لاي أمر طلع ، ثم أمر باشا طبجي بان يحمل مدافع ومهارييس (4) للبونبه ، مع ما يلزمها من بارود وكور ، وبونبه ، واثم تحصين القصبه .

وفي يوم من الأيام ، وكان يوم الجمعة ، بعث الى شيخ البلد (5) وأمره بان يامر اهل الصنائع البلدية ، ولم يكن فيهم احد من الاتراك ، يامرهم بان يصلوا المغرب بجامع السيدة ، الملاصق لدار الملك ، ويبقون هناك الى ان ياتيهم أمره .

ثم بعث الى كبراء القشلات بان يغلطوا أبوابها بعد صلاة المغرب ، وكان مراده الانتقال في تلك الليلة الى القصبه ، ولم يطلع احدا على ذلك . وبقي الناس في المسجد ينتظرون ، ولم يعرفوا ماذا سيصنع بهم . وأمر باحضار اربعمائة بغل وادخلها لدار الملك . وعندما اغلقتوا باب دار الملك بعد المغرب أمر المماليك والعبيد والعسكر ، والخدام الذين معه ، ان يحملوا كلهم سلاح الذهب ، ويتهيأوا . وعندما تهيأوا أمرهم بعدما فتح الخزانة ، ان يحملوا على الأربعمائة بغل ، ما بها من الذهب ، ففعلوا ما أمرهم ، وحملوا كل ذلك على البغال ، وحمل كذلك ما بها من بقية المال . والسلاح المحجر (6) والأثاث الثمين ، وأواني الذهب والفضة والفراش .

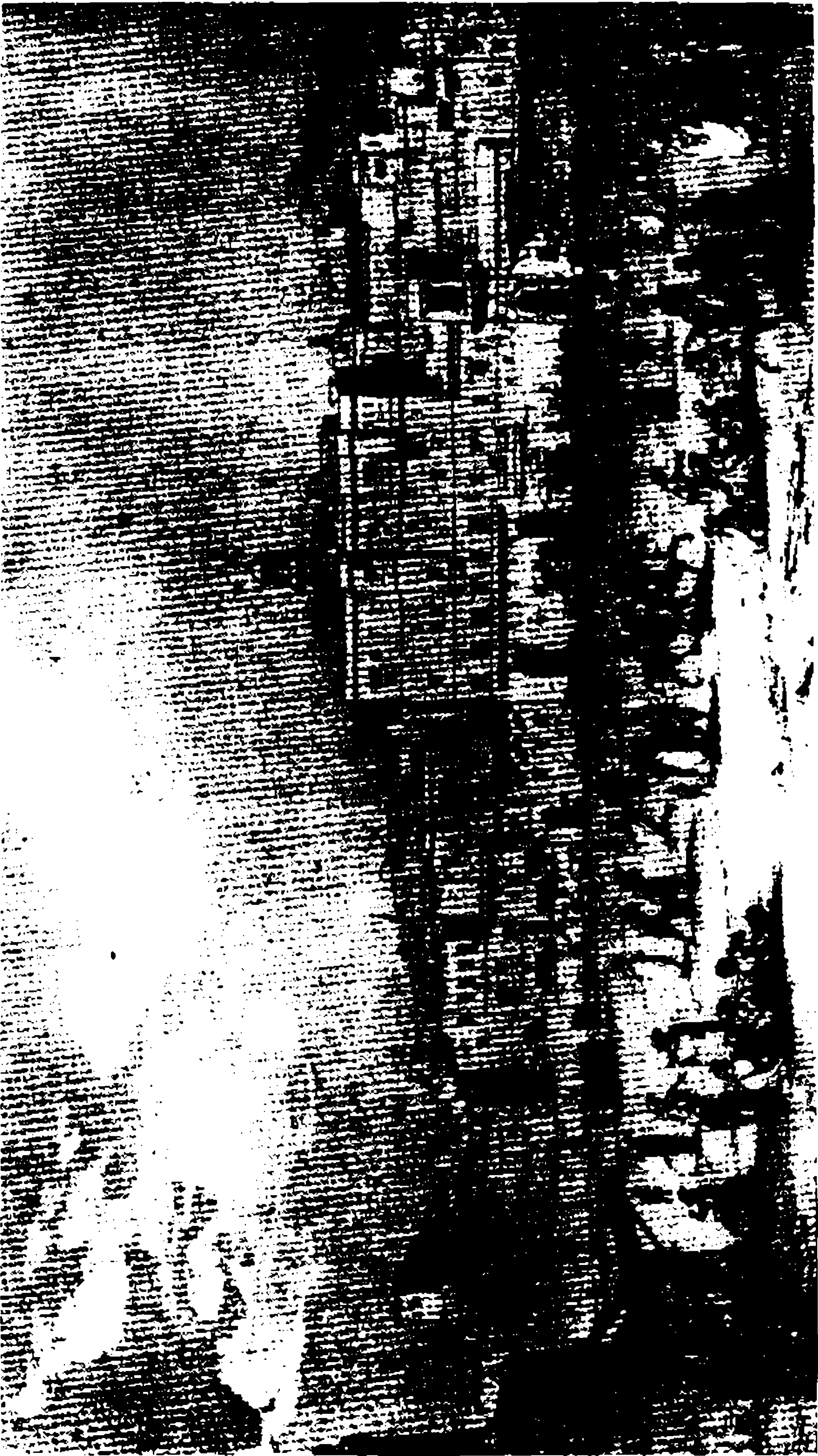


علي باشا

ثم أمر بفتح باب دار الملك ، ونادى أهل البلد من المسجد ، وكانوا في قلق فدخلوا لدار الإمارة ، وأغلقوا الباب من ورائهم ، ثم كلمهم الباشا وقال لهم : اني أريد أن أنتقل إلى القصبه ، وأسكن بها ، لأجل أن تنقطع فتنة العسكر كل يوم من البلد ، ويتهذا جميع الناس . وقد بعثت لكم لكي تعينوني في هذه الليلة ، وتكون لكم عند ي حضوة كبيرة . فأجابوه بالسمع والطاعة ، فأمرهم بحمل السلاح من الذهب والفضة وأعطاهم الشمع ، وأمر بأن توقد شمعة بيد كل انسان وأن يحملوا كل ما قدروا عليه من المال والأثاث خلاف المال الذي على البغال . فلما تم كل ذلك ، أمر بقطع الكندار الذي يحمل السانجاق فوق دار الملك ، فقطعوه ، ثم أخرج جميع الناس والبغال حتى لم يبق بها أحد . ثم خرج بأهله ، وأغلق الباب من ورائه ، فقدم نصف الناس بالسلاح ، وتأخر هو بنصف الناس ، وذهبوا للقصبه ، ولم يتعرض لهم أحد ، حتى دخلوا القصبه ، وادخلوا جميع ما كان معهم . وأغلقوا الباب ، واستراحوا من تعب العقبة (7) فاتاهم الأمير وشكرهم ، وأمرهم بالذهاب إلى بيوتهم ، وقال لهم : مهما احتجت لكم تكونون معي ؟ فأجابوه لذلك . وفتح الباب وخرجوا لبيوتهم . فلما صلى صبح يوم السبت . أمر بالسانجاق فعلق على باب القصبه ، كما هي عادة دار الملك . واطلاق خمسة مدافع . فعندما سمع أهل البلد والعسكر ذلك تحيروا . وخرج الناس من بيوتهم ، فالتقوا مع الذين طلوعوا معه للقصبه في الليل . وأخبروهم بأن الباشا انتقل في الليل إلى القصبه وسكن بها . فتخوف الناس كثيرا .

محاولة فاشلة :

وظهر عندئذ للعسكر ، أن يقوموا عليه ، وان يولوا غيره مكانه ، فوقع الخلاف بينهم في ذلك . واتفق بعضهم دون بعض في الليل ، وفي صبيحة يوم الأحد أصبح كل واحد من البلد في داره ، والأسواق مغلقة ، وبلغ الخبر للباشا ، فآدار مدافع القصبه نحو قشلات العسكر ، وأمر المنادي في البلد : من كان من حزب الباشا فليطلع ومن كان من حزب هذه الفرقة الباغية فليذهب اليهم . فذهب البراح (8) وصار ينادي : فهرع الناس إلى القصبه ، وفيهم من كبراء العسكر فامتلات القصبه بهم . وأعطاهم السلاح ، وكثرة الناس بقوا خارج القصبه ، فلما رأى العسكر ذلك . رأوا أنهم لا طاقة لهم عليه ، فبعثوا إليه كبراءهم ليستأذنوه في الطلوع إليه مع جملة الناس ، وياخذون له الثار من غدوه . فلما وصل الكبراء إلى القصبه ، وجدوه واقفا على سورها ، مما يلي الباب ، فبلغوا له كلام العسكر . فأجابهم : لا حاجة لي بهم ، وهم الأعداء



قصر الجنينة

فاعتذر الكبراء عنهم ، وقالوا له : ليس العسكر كلهم اعداء لك ، وانت تعرف اصحاب الفتنة ، فمن كان ظالما فانتقم منه ، ومن عصاك فنحن معك . فقال لهم : ان كنتم معي حقا ، وانتم بريئون من هذه الفتنة ، فاذهبوا واتوني بكبراء الفتنة فعند ذلك يظهر صدقكم . وان لم تأتوني بهم ، فالآن نهض عليكم القشلات ونفعل معكم ما اراده الله . فقالوا له : ابعث معنا الشواش ليقبضوا على اصحاب الفتنة ويأتوك بهم . فان أتوك بهم ، ولم يمنعم منك احد ، فاننا بريئون من ذلك . فامر بكافة الشواش بان يذهبوا لقتل الخراطين فقبضوا على سبعة نفر من كبراء اصحاب الفتنة وذهبوا بهم للقصبة ، فحين وصولهم امر بقطع رؤوسهم عند باب القصبة اهانة لهم ، لان العسكري الذي يستوجب القتل يخنق في دار سركا جي . ثم ذهب الشواش لياتوا بمن بقي من اصحاب الفتنة ، لانهم كانوا عشرة رجال لا غير . وانطفت نار هذه الفتنة وامر اهل المدينة بان يذهب كل واحد لدكانه ، وان يفتحوا الاسواق . بعدما شكرهم . ونسادي منادي العافية في البلاد ، فرجع الناس واشتغلوا بحرفهم واشتغل هو ببناء القصبة وزاد في تحصينها وعين نحو الثلاثماية من البغال يحملون بقية المال من الخزنة القديمة الى الخزنة الجديدة في كل ليلة . واقام على ذلك ستة وثلاثين ليلة . واستغنى الناس من ذلك المال ، لانهم كانوا يدخلون للخزنة القديمة . ويحملون السكة من الذهب والفضة ، مثلما يعمررون الزرع في الظروف وصاروا بعد ذلك يعملون السلاح والاثاث الثمين والفرش واواني النحاس وغير ذلك ، حتى لم يترك بها شيء . واصبحت خاوية على عروشها . لانها لم تبق دار امارة .

احكام الشرع :

ثم انه امر بابطال الزنا والخمر ، ومن وجدوه مخمورا او زانيا ، فيبعث به للقاضي لاجراء الحد الشرعي . وامر الناس بالصلاة مع الجماعة ونادي مناديه : ان من يبقى بدكانه بعد الاذان ، فلا يلومن الانفسه .

مع الجيش :

وهو لم يغفل عن امر العسكر ، وجعل بينهم جواسيس يلتقطون له الاخبار عنهم وقتل منهم خلقا كثيرا بيده ونفي بعضهم . وفي يوم من الأيام اخرج محطة ، وبعث فيها كل من رآه شيطانا . وبعث في اثرهم ، فمنهم من قتلوه ومنهم من اجلوه . واذا نحن اردنا ان نذكر كل اخباره مع الأتراك لم نقدر على الوفاء بذلك . ثم بعث الى باي الغرب وامره بالذنوش ، فلما وصل قرب مليانة بعث له من قتله في وطاقة ودفنوه . وولى حسن باي في مكانه واتى

هو بالذنوش وبعدهما خرج ورجع لوهران قدمت محطة الشرق مع الخليفة كما هي العادة . فعندما كان الجيش باثناء الطريق اتفق على خلع الباشا ، وتولية غيره مكانه . فلما وصلوا لحمزة (9) بعثوا للخليفة في امر تنصيبه باشا فامتنع عن ذلك . فראوا تولية شاوش المحطة فذهبوا اليه . وامتنع هو ايضا فاولوه جبرا . وجعلوا له وزراء . وتقدموا للجزائر وبلغ الباشا خبرهم فسكت عنها ، الى ان وصلوا لعين الربط ، فعندئذ ضربوهم بالكور من رأس تفورة ، والله أعلم انه كانت لهم يد مع العسكر الذين بالبلد . لكن هؤلاء دخلهم الرعب فلم يفعلوا شيئا . فعندما رأى عسكر المحطة ان عسكر البلد لم يظهر لهم اثر بل انهم ضربوهم بالكور . فروا الى قريب ضريح الشيخ ابن عبد الرحمان ، فبعث لهم اللنجون في البحر ، ورماهم بالكور ، ونادى مناديه في البلدان من اتاه برأس تركي او زيتوني من رجال المحطة فله كذا وكذا . فخرج اليهم من يريد الدراهم ، ولما رأى اهل المحطة ذلك فسد رأيهم وفروا هاربين . فمنهم من لحقه الناس وقتلوه ومنهم من قبضوا عليه حيا واتوا بهم بين يديه فقتلهم بيده وكان لا ينزع سلاحه ابدا ، كان يحمل اثنين من البنادق الصفار (11) وسيف معلق بوسطه . فمهما اتوه بتركي . الا قتله بتلك البنادق وبعض الأحيان يجهز عليه بالسيف ثم يجره الزبانية لموضع البناء فيبنون عليه بالجدار ، ذلك هو قبره ، من غير غسل ولا صلاة . فلما تفرق جمع هذه المحطة وهرب الشاوش الذي اولوه باشا مع وزرائه ، واختفوا وبعث في اثرهم . فأمر الخليفة بالدخول اليه مثل بقية الخلفاء ومن الغد قبض على الشاوش ووزرائه واتوه بهم ، فلما مثلوا بين يديه اوقف الشاوش بازائه على كرسي الملك ، وأمر بضرب المدافع وضرب النوبة عليه ، وقال له : لقد علمت انك أجبرت على القبول ، فاذهب بآمان الى المرسى ومنها الى بر الترك ، وأمر صهره (الشيخ ابن مالك) بان يعطيه الف دينار .

وأما وزراءؤه فقد قال للخزناجي منهم : انت لازلت على هذا المنصب ، الى ان تخدم وتتعلم احوال الملك ، فاذهب فاني وليتك وقافا على البغال التي تخدم الجير فذهب وبعضهم ابقاهم . ويقال انه قتل بعضهم . وهكذا تتبع امر الفتنة في العسكر . وبطش بهم بين قتيل ومشرذ : ولم ينج منهم الا من انجاه الله ، وقليل ما هم . فما اقال لأحد منهم عثرة ، ولا غفر لهم زلة ، واسقط من ديوان العسكر ما كان معهم من الزواتنة .

قتل جافر باي قسنطينة :

فلما خمدت هذه الفتنة ورجع خليفة جافار باي قسنطينة عين الامير محطة ، وجعل عليهم الأغا وأمرهم بالذهاب الى قسنطينة وقتل جافار باي . وعين

الأمير مملوكا من ممالك الأغا اسمه أحمد ، بايا على قسنطينة . وعين صهره الحاج مصطفى ابن مالك ، ليكون ناظرا على الأغا . فذهبوا لقسنطينة وقتلوا جانبا باي ، ونصبوا أحمد باي المملوك مكانه وحملوا جميع خزائن الدولة بقسنطينة وكتبوا للباشا وأخبروه بما فعلوا . ووقع في أهل قسنطينة من المصادرة الشيء العظيم ومن ذلك الوقت ما عمرت تلك الخزانة إلى أن قضى الله بأمره على الجزائر .

وعندما أتوا ما أمرهم به الأمير ، خرجوا من قسنطينة وأتوا الجزائر بتلك الأموال والذخائر والإبكار تميل عشرة أبكار وقيل اثنا عشر من بنات اليهود (12) مما لا يوصف حسنهن . ولما وصلوا أدخلوهن لدار الملك . وقيل أنهم أتوا أيضا بأولاد اليهود معهم ، فالبسوهم لباس الممالك . وحملوا سلاح الذهب . وقد كان قبل ذلك أخذ يهوديات . بنات أوليد حافو من الجزائر ، وأخذ بنتا لنصراني من أتباع القنصل سرقوها من والدها .

محاولة الصلح مع تونس :

ثم أنه في يوم من الأيام ظهر له أن يجعل الصلح بينه وبين تونس ، فبعث إلى تونس الحاج يوسف من كبراء الممالك ، وبعث معه العلامة الشيخ سيدي علي بن النيكرو والباشا كاتب . فلما وصلوا لتونس أنزلوهم وأكرمهم ودفنوا المكاتب لباي تونس (13) وتكلموا في شأن الصلح ، وبقي الأمر بينهم سرا لم نطلع عليه (14) ورجع الرسل .

وفي يوم من الأيام ، قدمت خمسة مراكب تونسية إلى الجزائر ، وأرست على بعد خمسة عشر ميلا . ورفعت الصناجق . وضربت المدافع لكي يعرفهم الجزائريون . ثم رجعوا لتونس ولم يقتربوا من الجزائر وكانت مراكبنا في ذلك الوقت قليلة لأنها احترقت في القتال مع الإنكليز فلما وصلوا تونس كذبوا على سيدهم وقالوا له : وصلنا الجزائر . ورمينا أبراجها وحصونها ، حتى عطلنا مدافعها . فظهر له في عقله الخسيس ، أن يعمر عمارة بجميع مراكبه ليذهب للجزائر فبعد أتمائها ، وهم بمرسأهم ، بعث الله عليهم ريحا عميقة ، فأهلكت السفن وتكسرت عن آخرها تحت بلدة رادس واستراح المسلمون من الفتن .

انظر يا أخي ، فان علي باشا رحمه الله ، أراد اطفاء نار الفتنة ، وبعث رسلا ، وعفا عما كان من قبل مع أخواته الباشوات ، وتواضع لأن العادة أن المغلوب هو الذي يطلب العفو من الغالب . ومع أن التونسيين هم الذين ابتدأوا الفتنة كما تقدم في ذكر ولاية أحمد باشا . لكن باي تونس لا زال على

حقده وكبره واصراره على العداوة ، حتى اهلك الله مراكبه رفقا من الله تعالى بعامه المسلمين .

وفي الوقت الذي اتت فيه مراكب تونس ، كانت عندنا فركاطة واحدة وزوج كرابط التي اهداها السلطان محمود للجزائر . وكانت غير مهياة للقتال . وكان علي باشا رحمه الله لا يحب الفتنة بين المسلمين ، ولو أنه ارادها لكان هاجمهم وربما كان يقع ما يقع . لكن الله تبارك وتعالى اصلح قلب علي باشا ، وازال منه حقد من تقدم ، فلم يغيره ذلك ولا هو التفت الى فعل التونسيين .

وصول السفن الاسلامية :

وبعد ذلك لحقت المراكب التي بعث بها مولاي سليمان سلطان المغرب رحمه الله ، والمركب الذي بعث به يوسف باشا من طرابلس ، وهي المراكب التي تبرعوا بها لعمر باشا (بعد المعركة المؤلمة مع الانكليز)

ومات علي باشا بالقصبة ، بالوباء
(هنا ترك المؤلف صفحة ونصف صفحة بيضا)

أهم ما لم يذكره المؤلف

- 1 — لم تدم مدته اكثر من سنة . ولم يقع فيها ما يجب ذكره ، أكثر مما رواه المؤلف وقد ترك لخلفه دولة تموية خالية من الفساد الذي احده سفلة الجنود الأتراك ، أسوة برفقائهم في تركيا .
- 2 — كان السلطان في استامبول يومئذ هو محمود الثاني . وكان يعاني ضغط الأجنب وحربهم من جهة كما كان يعاني فتنة الانكشارية واستهتارهم .
- 3 — كان القاضي الحنفي أيامه هو الشيخ محمد بن راسيل — ثم الشيخ أحمد بن حسين . أما القاضي المالكي فكان الشيخ الحاج علي بن عبد القادر .
- 4 — وممن توفاهم الله من كبار العلماء اثناء دولته : الشيخ علي بن محمد الطلبي ومفتي قسنطينة وعالمها الشير الشيخ عبد الملك الراشدي .

التعليق

(1) ويعرف بعلي خوجة . كان شهيدا حاسبا . قضى على فتنة اراذل الجيش واعاد الدولة الجزائرية لسالف توتها ومنعتها . لا تزال عائلته الى الآن بالجزائر .

(2) 1232 (1816)

- (3) مكان مرتفع يشرف على مدينة الجزائر وجونها . يقع الآن بين المدينة وبلدة الأبيار ولا تزال القسبة كما تركها لظفه .
- (4) تدعى اليوم مدافع الهاون أو المهاريس
- (5) هو جدنا الحاج محمد بن أحمد المدني القبي
- (6) الأسلحة الثمينة المزينة بالحجارة الكريمة
- (7) الطريق الصاعد .
- (8) المنادي العام ، الذي يبلغ بصوته أوامر الدولة
- (9) تقدم ذكرها . وهي السهل المنبسط جنوب جبال الجرجرة
- (10) سيدي محمد بن عبد الرحمان صاحب الضريح والمقبرة الكبيرة في حي بلكور بالعاصمة
- (11) التي كانت تدعى الطبنجة — وتسميها اليوم : المسدسات
- (12) لم أر ذكر هذه الحادثة في أي تاريخ ، ولم اسمع بها من قدماء مدينة الجزائر ، ولعلها من أحاديث العامة التي تخترع هذه الحكايات .
- (13) هو محمود باي ، ابن محمد باي تولى الملك سنة 1229 (1813) .
- (14) أي ان المذكرات كانت سرية لم يعلن عنها .

ذكر ولاية حسين باشا (1)

في 23 ربيع الثاني سنة 1233 (2)

وكان حسين باشا وزيرا ثالثا يكتى بخوجة الخيل . وكان رجلا عاقلا . متدينا ، مجبا للعلماء والأشراف والصالحين . وفي أول أمره كان بعض وزرائه يتصرفون ، وجميع ما وقع من فساد وظلم فهو منهم .

التولية :

ولما مات علي باشا بالوباء ، لم يطلع أحد على موته ، فرأى صهره السيد الحاج مصطفى بن الشيخ ابن مالك ، ان يذهب الى حسين بمعطه بالعلي (3) ، فدخل عليه ، وأخذ عنه العهد ان لا يضره وأخبره بموت صهره الباشا ، فلم يصدق في مقاله ، وصار خائفا ، لأن علي باشا هذا ، كان يخافه جميع الأتراك والعمال لأنه كان فتاكا بالقتل فيهم كما تقدم . فلما رآه خائفا ، أقسم له بالله على موته ، وعلى ان الخبر ليس خديعة منه . فأخرجه من العلي ، وذهب به الى دار الملك ، غير وقت دخول الوزراء ، فلما وصلوا للعسة التي بباب دار الملك ، لم يقدروا على رده ، لأنه جاء مع صهر الباشا ، ظنا منهم ان الباشا هو الذي طلبه . ثم ذهب به الى كرسي الملك ، وأجلسه عليه ، والخزناجي ومن حضر من العمال ينظرون ، وهو قائم على رأسه بسيفه في يده . ثم أمر الحاج مصطفى برفع الساتجاق ، وضرب المدافع ، وأمر بضرب النوبة ، ثم التفت الى الخزناجي والعمال ، وأخبرهم بموت الباشا ، وأنه أوصى بالولاية لحسين باشا ، ثم تقدم هو وبإيعه وتقدم الوزير وكافة العمال وبإيعوه ، وبعث للبراح وأمره بان ينادي في الأسواق بموت علي باشا ، وتولية حسين باشا ، ثم دعا الديوان ، وأغى العسكر والوزراء .

فلما سمع الوزراء مثل الآغا ووكيل بيت المال ووكيل الحرج بباب الجهاد ، وكافة القضاة والمفاتي وأعيان البلاد جاء الجميع اليه ، والبسوه الخلعة ، وبايعوه بيعة عامة .

ثم انه امر بدفن الباشا في ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، فجهزوا المتوفى ودفنوه وكتبوا البشائر لسائر العمال ، وبعث بالخلع لكل البايات واستقر بدار الملك وقدم الحاج مصطفى بن مالك في تلك العشية وطلب من الباشا ان يخرج اهل الباشا المتوفى فأذن له في خروجهم بعد العشاء فاخرجهم واخرج اهله .

ومن الغد ، او بعد الغد عزل الخزناسي ، وكان رجلا مسنا ، وولى مكانه احمد رايس الزمرلي . وكان قبطانا بباب الجهاد ، وعزل الآغا ونفاه الى مليانة ، وولى مكانه القايد يحيى ، وعين خوجة الخيل خليل خوجة وعزل وكيل الحرج وبيت المال وعين غيرهم كما عزل وكيل بيت الامارة وعزل بعض الكتاب وولى غيرهم .

قضية ابن مالك :

ثم ان العمال المتولين تكلموا مع الباشا في قضية ابن مالك . قيل انه قال لهم انه أخذ علي عهدا ولا يمكنني ان اخذعه . فكلف بأمره حسين وكيل الحرج ، فبعث له الزبانية واتوه به ، فسجنه هو وابن اخيه وصار يطلب منهم الاقرار على المال . فآقر لهم بشيء منه ، وتداولوا عليهم بالسوط مرتين او ثلاث مرات . وبقوا في السجن حتى صاروا الى آخر رمق . فأتى اهلهم الى نقيب الأشراف والحواء عليه ان يتكلم عليهما ، ومع هذا فانه لا دخل لنقيب الأشراف في هذه الامور . فاستجاب لهم ، وكتب لهم كتابا للباشا يشفع في المسجونين ، فاجابهم الباشا الى ذلك واطلق سراحهم . قيل ان الحاج مصطفى مات بمجرد وصوله الى بيته وقيل انه مات في الطريق ، وكذلك حفيده ، فلما سمع الأتراك بموتهما تكلموا فيما بينهم ، وقالوا يجب ان نخرجهما من القبور ونحرقهما (4) . فبعد ذلك تكلم نقيب الأشراف مع الباشا فأمرهم بان لا يفعلوا شيئا . ثم دفنوا الحاج مصطفى في ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وابن اخيه في ضريح سيدي محمد الشريف . وفي ذلك الوقت كانت نهاية ملك الأتراك وكل ما زادت مدتهم عن ذلك كان فائدة .

وابن مالك هذا ، كان يستطيع ان يتولى الملك عندما توفي صهره الباشا ، لأن الأتراك في ذلك الوقت لم تكن لهم قدرة على انتزاعه ، وكان يستطيع ان



حسين باشا

يفعل مثل ما فعل صهره علي باشا عند ثورة الترك عليه ، فانه جمع اهل البلاد واولاد العرب ، وزواوة ، والعبيد وهو متحصن في القصبه فلا يلحقه شيء من مكرهم .

وهذا شان الدول . فكلما قرب انقضاء دولة ، تولى الامر اشرارها والساعة لا تقوم الا على اشرار الخلق . كمثل دولة بني حفص بتونس ، وآخر ملوكها السلطان الحسن وابناؤه ، فانهم لما قدر الله زوال الملك من ايديهم استعانوا بالنصارى وملوكهم البلاد ، كذلك الأتراك لما اراد الله خراب ملكهم ، تولى آخرهم هذا . وكنا نسمع من اسلافنا يقولون : آخر ملك الأتراك ، يتولى علي وعليه تعلى ، يعنون به سكناه القصبه ، وعلي حسن تتحسى ، يعنون به زوال الملك من ايديهم ، فوافق قولهم ما وقع ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يسأل عما يفعل .

بعض اعماله :

ولنرجع الى حسين باشا . فانه بعدما استقر اياما ، شرع في اكمال بناء القصبه ، وبناء دار لسكناه (5) وديار اخرى بازاء داره ، ورتب السراية وبني المسجد للخطبة .

وأول اعماله الخسيسه واي خساسة انه بنى قنطرة الزنا (6) ، بعدما هدمها من قبله واباحها لابناء جنسه .

وبعد شهرين ونصف من ولايته امر بتسريح المراكب للحج ، وعين (أمين) بيت المال أمينا على الصرة (7) ودفع له مال الصدقة التي تدفع كل سنة لفقراء الحرمين الشريفين . وفي هذه السنة ذهب الناس افواجا للحج . منهم الفقير الى ربه . وكان الوباء قد اشتعلت ناره وفي يوم سفرنا ، وقت الضحى ، وصلت مائة جنازة . ثم سافرنا ، نطلب من الله القبول والعودة لنا ولجميع المسلمين .

وبعد سفرنا للحج ، ذكروا لنا انه عزل باي قسنطينة ، وولى مكانه محمد باي المين ، هكذا عرف ، وهو من الأتراك . لأن المعزول كان من علوج (8) بر الأتراك

واستقام له الملك ، ووقعت العافية في جميع البلاد

ثم جاء الانكليز ، يطلبون صداق النصرانية التي اغتصبها علي باشا من أبيها فدفع له صداقها ، وذهب ، وبقيت العافية في تلك السنة .

وفي شعبان من سنة 34 (9) وقع كلام مع السبانيول ، والنايلطان ، وأتوا بعمارة بينهم طالبين الكلام مع الأمير ، ولم ينتقض معهم المهادنة ، فرجعوا الى بلادهم .

الهدية للدولة :

وفي هذه السنة 34 ، وهي الثانية من ولايته بعث الباشكاش (10) مع الحاج يوسف وكيل الحرج السابق الى الدولة العلية ولما وصلوا الى استامبول ، وبلغ خبر وصولهم لحضرة السلطان محمود خان أمر بتزولهم واکرامهم وتلقوهم بالفرح والسرور وأنزلوهم منزل العز والقبول ، ودفعوا ما أتوا به من الهدية لمولانا السلطان ، ودفعوا هدية الوزراء والبسهم مولانا السلطان الخلع وأحسن اليهم غاية الاحسان ، ومما انعم به (11) على الوجاق (12) : كربيط ومدافع ، مع جميع الآلات الحربية . وبعث للباشا المتولى : الخلعة السعيدة والقلج (13) والفرمان (14) كما هي عادة الدولة . ثم سرحهم لبلادهم . فقدموا الجزائر وانزل آغة الباشكاش في الكشك ومعه التقليد والخلعة .

افراح البيعة :

ثم جعلوا نزهة في تلك الليلة في باب الجهاد . واجتمع الديوان والعلماء ونقيب الأشراف والمشائخ وأعيان البلد ومن لزم حضوره من الكرام ثم البسوا الخلعة للباشا وتقلد القلج . وقرىء الفرمان جهرا على رؤوس الملا ، واطلقت المدافع باعلان البشارة ، وبسطت الاكف بالدعاء ، وابتهل كل الناس بالطلب من المولى المنان دوام نصرة السلطان . ثم جلس الأمير على كرسي المملكة ، وأجريت رسوم تقبيل يده ، وبورك له بالأمر الذي استولى عليه . وكان يوما معهودا بالسرور ، لم يشهد مثله في غابر الدهور .

ولادة عبد المجيد :

وفي هذه السنة 1240 قدم قبجي باشي ، من الحضرة العالية ببشارة ولادة السلطان عبد المجيد (15) فأنزلوا القبجي باشي . ومن الفد قريء مكتوب بشارة السلطان . ففرح جميع المسلمين ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد وللوليد الجديد بطول العمر وان يكون خليفة لأبيه من بعده . وضربت المدافع سبعة أيام صباحا ومساء ، وكتب الأمير البشارة للبايات ولجميع العمال .

الصلح مع تونس

بعد أيام سافرت المراكب الجهادية فالتقت بمراكب أهل تونس ، وكان مركب منها تحت رئاسة حسونة ورديان باشي من حلق الواد والمركب الآخر فيه هدية للدولة العثمانية . فآخذ الجزائريون المركبين ودخلا بهما الى مرسى عنابة . ثم اطلقوا سراح أهل تونس ممن كان في المركبين ، بعد أن استقامت الرياح . ثم رجع الجزائريون لمدينة الجزائر وأطلع الأمير على المراكب فأما سفينة حسونة فقد أمر ببيعها ، وأما السفينة الأخرى ، فقد أبقاها على حالها عندما وجد فيها مكاتيب الهدية للدولة العثمانية وأرجعها لتونس .

ولقد كان علي باشا أرسل قبل ذلك في آخر سنة 1232 العالم العلامة الشيخ باش كاتب رحمه الله ومعه الحاج يوسف لاصلاح ذات البين كما أسلفنا وبقي الأمر على ما هو عليه ، الى ان بعث مولانا السلطان محمود خان الى أمير الجزائر وأمير تونس بان يرسل كل منها رجلا من الوجاق لكي يحضر عنده لينظر في أمر الجميع . فذهب من تونس رجل من خيارهم . وذهب من الجزائر رجل من أقل الناس عقلا ورأيا . لو ان الأمير بعث برجل من المرسلين (16) لكان أحسن من هذا الداب (17) .

ولما وصلوا للحضرة العلية ، أمر السلطان وزيره الأعظم أو أحد الوزراء بجمع هذين الرجلين والكلام معهم والاستفسار عن أمرهم . فلما اجتمعوا عند الوزير سألهم عن كيفية هذه العداوة الواقعة بين أمراء الوجاقين ، فتكلم التونسي (18) وأخبره عن القضية ، وعرف كيف يتكلم ، مع خضوع وادب ، وأظهر ان الحق لهم ، وانهم مظلومون وان التعدي واقع من أمراء الجزائر .

ولما أتم التونسي كلامه ، أمر الوزير بان يتكلم الداب الجزائري ، فأول كلامه انه قال : هذه تونس كنا اخفناها سابقا ، واصبح أهلها رعية لنا . وكنا نأخذ منهم الفرامة كل سنة . ثم انهم عصونا فصرنا نأخذهم ، ولا تزال نأخذهم ونأخذ بلادهم . ان التوانسة رعية لنا مثلما الكريك رعية لكم . فذاخذ نحن من التوانسة كما تاخفون من الكريك . وكان كلامه بالعنف والبغض وقلة الأدب . فانفعل الوزير من كلامه ، وقال له ان البلد من بلاد السلطان ، ولا يمكن ان تقع عداوة بين المسلمين . وأهل تونس قائمون بأنفسهم مثلكم . أما العطاء الذي كان أوائلهم يعطونكم فقد كان هدية ، والآن لا حق لكم عليهم .

فازداد الداب حمقا ، وتلجلج لسانه ، ولم يقدر على الجواب ، ثم افترقوا وأخبر الوزير السلطان بكلام الرجلين ، ثم أمر بالصلح بينهم ، وكتب لكل أمير

كتبا بذلك : وانطفأت نار الفتنة التي كانت بين الفريقين .

ولما وصلت الفرمانات والرسل لأميري البلدين ، عندئذ تم الصلح وفرح جميع المسلمين واستنشروا بأطباء هذه الفتنة ، والحمد لله على خمود هذه الفتنة ولله عاقبة الأمور . وكان ذلك في سنة خمسة وثلاثين (19) .

السكة الجديدة

وفي هذه السنة أمر الأمير ببناء دار السكة (20) داخل القسبة . وعندما تم بناؤها أمر أمين السكة أن ينتقل إليها من الدار القديمة . وأمره أن يعين نائبا عنه بدار السكة القديمة من أجل الميزان ومراقبة عيار مصوغ أهل البلد . فانتقل إلى الدار الجديدة . وابتدأوا بصنع المعادن على خلاف الطريقة القديمة ولما دخلت سنة 36 ، أمر بصنع قطع السلطاني الذهب ، عوض الدينار ، وميزان السلطاني عشر نواية ، وصنع نصف السلطاني وربيع السلطاني . أما قطع الدورو (21) الفضة فقد أمر بصنع انصاف لها ، واسم النصف : ريال بجة . (بوتشو) كما صنع أرباعا لها ، وصنع سكة النحاس وقيمتها ثمانية عشرة قطعة لثمان الريال . وذلك عوضا عن الدراهم الصفار القديمة . وأمر بان يدفع من السكة الجديدة الرواتب لكافة العسكر ولأصحاب العمالات (22) .

ثورة اليونان

وفي سنة 35 (23) ثار الكرايك على السلطان محمود في الجزر والمورة ، وقتلوا من كان معهم من المسلمين ومثلوا بهم ، وسبوا النساء والذرياري ، وفعلوا بهم ما لم يفعله غيرهم بعده . فلم ينج من المسلمين الا القليل الذي تحصن بالقلاع وأكثرهم مات جوعا وعطشا ، قيل انهم أكلوا الجلود ، والفئران وهم مع هذا في القتال ليلا ونهارا ، حتى أدركهم الله بلطفه ، وجاءتهم عمارة السلطان ، فمن وجده أصحابها حيا انقذوه أما الذين لم تصلهم عمارة السلطان فعندما عجزوا عن الدفاع واشرفوا على الموت ، دخلوا عليهم ومثلوا بهم حتى قيل انهم كانوا يأخذون المرأة ويدخلون الخنجر في فرجها ويقطعونها إلى صدرها ، وهي حية تنظر وتمتلك الرجال قتلا ذريعا لا يوصف . ثم ان الكرايك عمروا سفنا عديدة بألة الحرب ، بحيث لا يقدر احد من مراكب المسلمين ان يلقاهم . وصارت مراكب العدو هذه تقصد المراكب الجهادية ليلا في المراسي

فتلتصق بجانبها وتوقد فيها النار ، فتحترق مرة واحدة مثل البرق . وعندئذ تكون زوارقهم بازاء مركبهم فينزلون اليها ويهربون . واما المسلمون فمنهم من يلقي بنفسه في البحر وينجو عوما اذا كان البر قريبا ، ومنهم من يموت غرقا ومنهم من يحترق مع المراكب .

الاستنجاد بالجزائر

ثم ان السلطان محمود بعث للجزائر وتونس وطرابلس ان تبعث بمراكبها للاعانة على الكرايك . فامر الباشا بتعمير ستة مراكب واعطاتها ما يخصها من المونة وآلات الحرب . وعين عليها الحاج علي غرناوط صاري عسكر (24) وسافرت هذه السفن في شهر صفر من سنة 36 .

وفي اثناء سفرهم ، التقت سفننا مع بعض مراكب الفرنج ، فاخبروهم بان قبطان باشا (25) موجود على رأس ستة عشر مركبا ، باحدى مدن الأرناوط (26) ، فسارت العمارة صوب تلك البلاد والتقوا بالعمارة ، في مرسى يدعى كمنسية (27) وكانت العمارة التركية خائفة ان يتمكن الكرايك من احراقها ، فخرجوا معا من ذلك المرسى الى بالي بدرة في اليوم السادس عشر من سفرهم من الجزائر ، وارسوا بها ثم بعثوا مراكب صغيرة جزائرية الى بلد من بلاد الكرايك ، فاخذت من مرساها ستة عشر مركبا ورجعوا الى بالي بدرة بتلك الغنائم . فاخذ منها الحاج علي غرناوط رحمه الله مركبا ، وبعث فيه بالحاج احمد الحداد للجزائر .

وكان اهل الجزائر منتظرين اخبار المراكب التي ذهبت ، واخبار الكرايك وما فعلوا مع السلطان ، الى صبيحة اليوم السابع من مولده عليه الصلاة والسلام ، فوصل القبطان احمد الحداد رحمه الله ، على مركب الغنيمة واخبر الامير بما وقع ، والتقاتهم مع القبطان باشا في بلد اللارناوط ، وخروجهم منها الى بالي بدرة واخذ الجزائريين لسته عشر مركبا من الكريك . هذا احدها . فاستبشر المسلمون بنصر الله وبوصول السفن الجزائرية واجتماعها مع مراكب السلطان .

واقامت تلك الظلالمة (28) سنتين وثلاثة أشهر ، ووقع القتال بينهم وبين الكريك اثنتا عشرة مرة ، واحترق اثنان من الظلالمة ، ومات بهما خلق كثير .

وكان الأمير حسين باشا ، قد بعث اليهم بمركب فيه كسوة للعسكر ، والطائفة وبعث قاطات (29) بالذهب لرؤساء المراكب وصاري عسكر ، وهدية أيضا الى قبطان باشا (30) ، مع طلب ان يسرحهم من اجل الراحة في زمن الشتاء . وقد ارسل كل ذلك مع مركب طوسكانة اعني الكورنيز (31) . فلما وصلت السفينة بحمولتها الى عمارة السلطان ، وجدت مراكب الجزائريين ذهبت تغزو في ارض الكريك فارست هنالك تنتظر رجوعهم . فسمع بقدمها قبطان باشا ، اخذ منها جميع المكاتب ، وعندما اطلع عليها امر راييس السفينة بان يحمل اليه جميع ما اتى به من هدية ، ومال ، وكسوة . وعندما رجعت مراكب الجزائر من الغازية اخبر الرايس النصراني بما اتى به ، وانه سلم الى قبطان باشا .

وبعد ذلك جعل قبطان باشا اشارة الى صاري عسكر الجزائر . فذهب اليه فاخبره القبطان بقدم المركب من الجزائر ، وانه تسلم ما فيها ، واعطاه المكاتب وقال له : ان كنتم تريدون الذهاب للجزائر من اجل الاستراحة ، فاذهبوا ، وفصل الشتاء ، لا سفر (32) فيه ، ونحن نذهب للبوغاز (33) لقضاء فصل الشتاء ، وترجعون في زمن الربيع . فقال له : ان النظر لك في ذلك . فامر به بالرجوع الى الجزائر ، وكتب له كتبا للباشا ، ومن الغد تسلم صاري عسكر الكتب ، وودع قبطان باشا وسافر للجزائر . اما قبطان باشا فقد سافر في ذلك اليوم الى استامبول .

ولما وصلت السفن الى الجزائر استبشر الناس بقدمهم ، والتقى رؤساء المراكب والحاج علي غرناوط مع الباشا ، وسلموا عليه ، ومن هناك ذهب كل واحد لداره واستراح ايام الشتاء .

حراسة فرقاطة محمد علي باشا

بعد سفر عمارة الجزائر ، كما ذكرنا ، لنصرة السلطان ، أنشأ الأمير فرقاطة بزوج بطاريات وكمل صنعها آخر سنة 37 . وعند ذلك قدمت فرقاطة جديدة ، صنعت بلوندره ، لمحمد علي باشا وخاف راييسها ان يذهب وحده فيقع بين ايدي الكريك . فامر الباشا بتجهيز الفرقاطة الجديدة ، وكربيط وسكونه ، وجعل رانسها القبطان الحاج علي طاطار واوصاه بان يذهب مع مركب محمد علي الى كريت ثم يرجع من هناك . وعندما خرجوا من الجزائر ، خالف الحاج علي طاطار امر الباشا . وذهب مع الفرقاطة راسا الى

الاسكندرية ومن هناك ذهب الى ظلالمة السلطان والتقى مع مراكب الجزائر
واقام معهم الى أن رجعت الى الجزائر فعاد معها .

وبعد وصولهم — كما تقدم — بعث الباشا وقبض على الحاج علي طاطار ،
لأنه خالف أمره . وكانت مدة سفره تسعة أشهر ووضعته بالسجن .

لكن الحاج علي غرناوط والرؤساء الذين معه تشفعوا فيه لدى الباشا ،
فأمر باطلاق سراحه ، أخذا بخاطرهم . أما فركاطته ، فاعطاها لرئيس آخر .
وفي هذه السنة ، أنشأ مراكبا للجهاد تعرف بالسكونة ، وعليها اثنان
وعشرون مدفعا .

داعية شر من تونس

وفي سنة 38 (34) . قدم رجل من تونس يدعى أنه من نسل ملوك تونس ،
من أولاد يونس ، خائفا من المتولى على تونس (35) فأنزلوه واقام ايما ، ثم
طلب منهم ان يعينوه بمحطة لأخذ تونس ، وأخذ ثاره ، والحق على الأمير في
ذلك ، فأمهله وقال له : انتظر حتى نرى ماذا يفعل السلطان مع الكرايك ،
او ما هذا معناه . ثم خيره بين الإقامة في الجزائر او في قسنطينة ، فأختار
المقام بقسنطينة فأرسلوه اليها ، وكتبوا للباي وأمره ان يستوصي به خيرا .
فأعطاه دارا وأجرى له المؤونة من كل ما يحتاج اليه ، مثل الملوك . ثم بعد
ذلك أعطاه وطنا (36) يتصرف فيه ، من أحسن الأوطان ودام ذلك مدة سنين

ففي يوم من الأيام جاء رجل الى محكمة الباي والباي فيها ، وكان ذلك
الرجل ينادي بالشرع (37) فالتفت الباي اليه ، فوجد رجلا هائل القامة عاري
الجسم وأظافره مثل أظافر النسر ، فلققه الشواش واقفوه حتى لا يلحق الباي
وهو على تلك الحالة . لكن الباي كلمه ، وسكن روعه ، وآمنه وسأله عن
قضيته فقال له : أنا منذ سنوات مسجون تحت الأرض ، لم أر النور ، فبقيت
طيلة تلك المدة أحفر الأرض الى أن تمكنت من الخروج ، وأثيتك . قال له
الباي : ومن سجنك هذا السجن ؟ قال له سجنني ولد يونس ، قال له : وما
قضيتك حتى فعل بك مثل هذا الفعل ؟ فذكر له قضيته . فبعث الباي الى
ابن يونس يدعوه للمحكمة ، وقال له عنذما اتاه : ماذا فعل هذا الرجل حتى
تفعل به ما فعلت ؟ فعندما رأى ابن يونس الرجل المسجون تخرس لسانه
مع أنه فصيح اللسان ولم يدر كيف يجيب ، فانتهره الباي وقال له : لو لم
تكن غريب الديار لفعلت بك مثلما فعلت به . لكن اذهب الى دارك ، وحسبك

الله . فذهب لداره ، ودخله الرعب حتى جاء الليل فهرب الى بعض الجبال فعندما سمع البايع بهربه . كتب الى الأمير وأخبره بفعله ، فتعجب الأمير من أمره وبقي ابن يونس في الجبال الى ما بعد سنة 40 ، ثم كتب للأمير وطلب منه الأمان ، وأن يتركه يسكن الجزائر . فأمنه الأمير ، وأتى الجزائر ، فأعطاه دارا قرب دار الإمارة ، وبقي فيها سنين وكان الأمير يرسل له سفرة للغداء وسفرة للعشاء من دار الملك ، كل يوم ، ويبعث له كسوات للشتاء وكسوات للصيف ، وبقي كذلك الى أن انقضت دولة الترك .

انقطاع الوباء :

وفي سنة 39 (38) ، انقطع الوباء من الجزائر ، وقد حل بها في رجب من سنة 32 وبقي بها سبع سنين الى آخر سنة 39 .

الحرب مع الانكليز :

وفي هذه السنة وقعت العداوة مع انكليز ، والسبب في ذلك هو أن سكونة (39) أميركان قد هاج عليها البحر ، فالتجأت الى الساحل ، تجاه جبل مزاية ، قرب مرسى بجاية فنهب السكان ما فيها ، وقتلوا بعض النصارى وكان أهل تلك الناحية خارجين عن طاعة الأمير ، فلما بلغ الأمير الخبر ، أمر بالقاء القبض على أبناء تلك الناحية بالجزائر ، وسجنهم مع أبناء عمهم الى أن يأتوا بالنصارى ، وبما نهبوه من السفينة . فقبضوا على كل من وجدوه منهم ، وكان منهم أربعة يعملون بالأجرة عند قنصل الانكليز . فذهب الحرس ليقبض عليهم . فمنعهم القنصل ، وأغلق دونهم باب البستان ، وقال : ان هؤلاء القبائل في حرم الانكليز . فقال له الحراس : أما ان تمكنا منهم طوعا واإفاننا نأخذهم جبرا ، وهؤلاء الناس رعيتنا ، واكسوا أموال النصارى وقتلوهم وهم أهل عهد معنا ، وانت لا تدخل لك في أمرهم .

وعند ذلك اتوا القبض عليهم ، ووضعوا الحديد في أرجلهم ، وبعثوا بهم يعملون في مقطع الحجر ، كما هي عادة من يكون عاصيا لله أو للأمير من الباغية ، الى أن يتوبوا أو يردوا ما اغتصبوا أو منعوا .

ثم ان القنصل كتب للميرانتي بمالطة وأخبره بالقضية ، فبعث له الميرانتي مركب قرصان من مراكب الحرب . فلما أرسى بالجون ، كعادة قرصان النصارى ، أطلق اثنين وعشرين مدفعا من غير كور ، وردت عليه مدافع باب الجهاد باحدى وعشرين طلقة ، كما هي عادة النصارى مع المسلمين . والسبب في أنهم يطلقون اثنين وعشرين مدفعا . ونحن نطلق واحدا وعشرين

فقط ، لأننا نمتثل لقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله وتر يحب الوتر . وبعد ذلك أتى القنصل مع ترجمانه الى وكيل الحرج ، فذهب معه قائد المرسى ، جاعلا رايته في مقدمة الزورق .

وكانت العادة أنهم اذا وصلوا للسفينة القرصان ، فان قبطانها يتكلم معهم من ناصية المركب اذا كانت الكرنتينة (40) . اما ان لم تكن الكرنتينة ، فانهم يصعدون اليه ، ويتسلم مكاتب القنصل ، ثم يرجعون . فاما قائد المرسى فيذهب للأمير ويخبره بأخبار القرصان ، وبما جاء به ، ومن اين قدم . والقنصل يذهب لوكيل الحرج مع خديم من خدام المرسى ، ويخبره بخبر القرصان ، ثم يرجع لداره . وبعد ثلاثة ايام يبعث للقبطان المؤونة من بقر وغنم ، وخبز ، وخضر ، ودجاج ، مع زورقين . فاذا وصلت اليه المؤونة ، يطلق ثلاثة مدافع ، ويحملها ، وبعد ذهابه يحاسب عنها القنصل ، ويدفع ثمنها مع حق المخطاف ، اعني حق رسو المركب بالبحون .

اما هذه المرة ، فعندما وصلوا للمركب القرصان ، صعد القنصل الى المركب ، وقال لقائد المرسى ، ارجع انت ، اما انا فلا اعود معك . لانكم اعتديتم علي ، واخذتم الخدام ، وما راعيتم حرمة الجنس ، ولا البنديرة (41) وان الميراني يقول لكم انه يجعل معكم العداوة ، الى ان يأخذ بثاره منكم . ثم سافر القرصان . اما قائد المرسى فقد رجع حالا واخبر الأمير بما تكلم به القنصل . فقال الأمير : ليذهب في سخط الله . ولن يرجع لبلادي ابدا . اما القنصل فعندما وصل الى مالطة ، والتقى بالميراني ، كتبوا لدولتهم واخبروها بالواقع ، فلما بلغ كتابهم لدولتهم واطلع رجالها على القضية ، اجابوهم : بان الحق مع الجزائر ولا مدخل لنا في رعيتهم ، ولا نجعل معهم عداوة فنخسر اموالا ولا نحصل على طائل . ولا بد ان تجعلوا الصلح مع الجزائر ، وتدبروا رؤوسكم (42) .

فتحير رجال مالطة من ذلك الجواب ، وكانوا طلبوا من حكومتهم ان تبعث لهم بالعمارة البحرية . ثم اتفق من امرهم ان يجمعوا جميع مراكب القرصان ، التي هي في البحر الصغير (43) ويجعلون منها عمارة ، ويأتون بها ، ثم بعثوا مراكب وجعلوها قبالة الجزائر يمنعون الداخل اليها .

وكان مركب من المراكب الجهادية برئاسة الرايس قدور باصون (44) خارج الجزائر عندما فر القنصل . فلما رجع — ولم يكن له علم بما وقع — وقابل مدينة الجزائر لحقته فركاطة وبلاندره ، وتقابلا عليه نحو الساعة قبل

الغروب فتقاتلوا ، وطل بينهم القتال ، ونحن ننظر من البلد ، وعندما نزل الليل وانقطع صوت المدافع ، لم نعرف ما وقع ، وكانت مراكبنا في تلك الأيام بصدد الإصلاح ، استعدادا للسفر ، ولو كانت مراكبنا مهيأة لكانت خرجت اليه اعانة .

وعندما طلع النهار ، رأينا البلاقرة في وسط العجون ، من غير (شراعات) ولا سانجاق ولم نر اثرا لمراكب العدو . فخرج قائد المرسى لينظر ما هي قضية هذه البلاقرة ، فلما قرب منها ، ناداه المسلمون الباقون فيها احياء وقالوا له : انه عندما استشهد الكثير منا ، وتكسر المركب . ونفذ البارود ، ودخل الماء للسفينة ، أخذونا ، وحملوا الرايس وارسوا المركب هنا ، ثم ذهبوا .

(كما انهم قبضوا على مركب للحجاج وذهبوا به الى مالطة ، وبقي هنالك الى ان وقع الصلح) .

وعند ذلك خرجت الزوارق ، وادخلوا المركب للمرسى ، وامر الباشا بتجهيز اللنجون وجعل العسة في الحصون . وسلح الأبراج ، ووضع فيها ما يكفي من آلة الحرب .

ودامت هذه العداوة نحو الستة شهور ، ثم جمع الميرانتي مراكبه في مالطة ، وقدم الجزائر وكان مراده ان يخدعنا كما خدعنا سابقا ، فلما قرب من رمي الكور ، رفع الراية البيضاء علامة انه يريد الكلام ، وشرع في الدخول ، فاطلقت عليه المدافع من جميع الحصون والأبراج ولم تصله الكورة . فعندما رأى ذلك رجع القهقري ، وبعث زورقا يحمل الراية البيضاء ، وفيها مكتوب ، فتلقاها قائد المرسى ، ونادى على من في الزورق : الى اين انتم ذاهبون ؟ فقالوا : عندنا مكتوب من أجل المفاهمة . وناولوه الكتاب ودخلوا الى باب المرسى . فأخذ قائد المرسى الكتاب وطلع للأمير فقرأ الرسالة ومضمونها الصلح بشروط ، ومنها رجوع القنصل القديم لمنصبه ، والا القتال فقال الأمير : أنا لا أحب الصلح ، وأحب القتال لا غير . ثم سلموا رسالة مع قائد المرسى للزورق ، فذهب للميرانتي . ثم أرجعه هذا للجزائر . وبقي الكلام متداولاً أياماً ، والأمير لا يطلب الا القتال . الى ان ينسوا من كل شيء وتحققوا ان الباشا لا رجوع له عن رايه ، طلبوا منه الصلح على ما كانوا عليه من قبل ورجوع القنصل القديم . عند ذلك قال لهم الأمير : انكم طلبتم الصلح مرارا وأنا أقول لا بد من القتال ، لانكم انتم الذين بدأت بالعدوان . أما الآن فأقول لكم الكلام الصحيح : يجب ان تاتوا بقنصل جديد ، وتدفعوا العوائد مثل كل

الأجناس . وان لم تقبلوا هذا فلا تعودوا إلينا ، ولا نقبل منكم أي شيء دون هذا . وذهب الرسول بالخبر ، فبعثوا له بالقبول . واخبروه ان قنصلا جديدا غير موجود عندهم ، وانهم يقدمون رجلا آخر يقوم مقامه الى ان يحضر ويأتي معه بالعوائد (45) .

فعند ذلك وقع الصلح بيننا وبينهم ، وضربوا المدافع وانزلوا الرجل الذي يقوم مقام القنصل وتكاتبوا معه . ودفنوا هدية للأمير : اثنين من البنادق الصغيرة المذهبة المحجرة ، قيل ان الحجر الواحد منها يساوي ستة وثلاثين الف دورو . وساعة ذهبية محجرة وصنيذقة نفة (46) مثل ذلك . وكانت قيمة الجميع نحو المائة الف دورو .

ثم بعد ثلاثة أيام دفعوا لهم المونة كما هي العادة ، ونزل الميرانتي وتقابل مع الأمير ، وقال له : نحن أصحاب ، والشياطين دخلت بيننا ، والآن صرنا أحياب . فاعطاه الباشا هدية تناسبه ، ورجع الى مراكبه ثم سافر .

وبعد أيام قدم القنصل الجديد ، ودفن العوائد مثل القناصل ، لأن الانكليز كانوا من قبل لا يعطون العوائد . وقد اعلى الله كلمة هذا الأمير ونصره على اعدائه ، وردهم خائبين والظاهر من هذا انه كان لا يريد القتال الا لاعلاء كلمة الله .

غزوة على مركب روما

وبعد هذا الصلح ، انشأ زوج مراكب للجهاد . واشترى يحي آغا الوزير الثاني سكونة من الكورنة (47) وجعلها تحت رئاسة الحاج مصطفى وليد عيسى . ثم أمر الباشا بتعمير خمسة مراكب قرصان منها سكونة الآغا ، وبعث بهذه العمارة في طلب الزينطوط (48) لان الكريك كانوا ياخذون المراكب ويقتلون من وجدوه فيها ، ويحملون ما فيها من اثاث رفيع ثم يغرقونها . وخرجت المراكب فلم تجد احدا من العدو . فعندما تمت أيام السفر ، وعزموا على الرجوع . اخذ الحاج مصطفى رائس وهو في سفينة الآغا ، مركبا يسمونه « طرباقلو » تابع للارمنيز (49) غنيمة ، وفيه ما يقرب من الستين الف دورو (50) لان الرمنيز لم يمكن لهم قنصل بالجزائر ، وقد اخذت له من قبل بعض السفن ، وادعى انه زاوية (51) للنصارى ، واستعطف الأمير ، فاطلق لهم مراكبهم ، على ان يبعثوا قنصلا للجزائر . فطال الأمر ولم يعينوا القنصل ، فآخذوا له هذا الطرباقلو غنيمة ، وقسموا ما آخذوه من مال على رجال المراكب الخمسة ، فكان كل سهم خمسة عشر دورو .

زلزال مدينة البليدة

وفي تلك السنة ، اي 41 (53) ، كانت الزلزة التي تصدمت منها البليدة ، ومات فيها خلق كثير ، وكان ذلك في اواخر شعبان ، وقع الزلزال يوم الاربعاء قرب الزوال ، ثم عند المغرب وعندما بلغ خبر ذلك للأمير ، أمر الآغا بان يخرج اليها في الحين . فركب وخرج . وعندما وصل البلد وجده خربة ، فأمر الرعية بالبحث عن الناس الذين تحت انقاض البناء ، فمنهم من وجدوه حيا ، وأكثرهم ميتا . فدفنوا الموتى ، وجعل الآغا اخبية للأحياء ، وأخرجوا الأثاث من تحت الهدم ، وأعطاهم ما يأكلون . ثم بنى لهم نوات لمستقرهم ، وكفل اليتامى والأرامل ثم انه رجع للجزائر فأخبر الأمير بتلك الواقعة على التفصيل ثم انهم تذكروا في اعادة بناء البلد وكان الزلزال لا ينقطع عنها ليلا ولا نهارا لمدة أيام . وفي نفس مدينة الجزائر لم تنقطع الزلازل مدة ثمانية عشر يوما . لكنها كانت في النهار قليلة ، وأما في الليل فهي كثيرة ، بحيث أنها تكررت في ليلة من الليالي أكثر من عشر مرات . هذا الذي شاهدته أنا . وأما ما سمعت على لسان الأمير ، أنها تكررت تلك الليلة ثماني مرات ، لأن الأمير بات ساهرا وهو لا ينام في الليل الا قليلا . أما بمدينة البليدة فشيء كثير . نسأل الله العافية .

ثم ان الآغا ظهر له ان يبني المدينة الجديدة بعيدة عن المدينة المهتمة بنحو نصف ساعة . تحت بساطين البلد القديم ، وذلك من أجل أن يأتوا بالماء المنحدر من البلدة القديمة ، الى البلد الجديد . فوافق الأمير على ذلك ، واشتروا الموضع الذي أرادوا به بناء البلد الجديد من أصحابه ، ثم بعثوا للباقيين من أهل البلد المهتم ، وقالوا لهم : من كانت له قدرة على البناء فنحن نعطيه موضعا يبني عليه ما يريد دارا أو دكاكين . فلم يرضوا بذلك . وقالوا لا طاقة لنا على البناء . وأما لو كان في البلد القديم ، فنحن نرقع الأماكن الصحيحة بما أمكن ، ومن لم يقدر على البناء ، وبقيت له بيت فانه يجعل نواله (54) قبالة انقاض بيته ليستر نفسه على الناس حتى يفرج الله عليه .

ثم ان الآغا خرج للموضع الذي أرادوا بناءه وأمر بصنع الجير والآجر وأمر بالآتيان بالعمود (55) ، وصنعت الأخشاب من الجبال بالآجرة . وحفر أساس البلد وأتى بالبنايين من جميع البلاد وأبتدأ ببناء سور البلد ، وعندما أتموا حفر أساس البلد ، حفر أساس المسجد ، وبدأوا ببناءه . فلما قرب أتمام السور . أعطى الله الشتاء المتهاطلة ليلا ونهارا ، فابتدا السور يتهدم فرجة

من هنا ، وفرجة من هناك ، وهكذا على مدار السور . وتهدم كذلك جانب من المسجد . فأبطل البناء في تلك الأيام من أجل المطر ، وذهب للجزائر . وقال اننا في فصل الربيع سنعيد بناء ما تهدم . وبقي الامر كذلك ولم يتم الى الآن . اما اهل البلد القديم ، فمن استطاع منهم بناء الشطر المهدم من داره ، بناه ، ومن لم يقدر ، فقد جعل سترة والبعض رقعوا بالطين والحجر . واما مفتي البلدة ، سيدي بلقاسم بن سيدي الكبير ، رحمه الله ، فقد كان رجلا ينسب الى الخير ويسمى للخير ، فانه ابتداء ببناء مسجد الجامع الكبير ، مع كونه فقيرا ، فأعانه بعض المسلمين بما قدروا عليه ، وعندما سمع الأمير بفعله ، بعث له الدراهم لاعانته ، فاتم بناء المسجد وبقي السور الذي بناه الأغا خربا الى يومنا هذا .

الرجوع لاعانة السلطان

وفي هذه السنة ، 40 ، امر الأمير بتهيئة ستة مراكب . وتجهيزها بما يخصها من المؤونة ، وآلات الحرب ، وعين مصطفى رايس قبطانا عليها . وعين صاري عسكر الحاج عبد الله صهر مصطفى باشا ، وسلمه قيادة المراكب والجنود وأعطاه مالا من اجل المصاريف ، وبعث بهم اعانة للسلطان على الكرايك فسافروا من الجزائر .

وعندما وصلت العمارة الجزائرية لعمارة السلطان ، وجدت متوجهة للاسكندرية ، لكي تحمل عسكرا واثقالا . فهاج البحر عليهم في مرسى الاسكندرية وتكسر هنالك مركبان من مراكب الجزائر مع مراكب أخرى للسلطان ومات فيها خلق كثير ، وقليل من نجا منهم . ثم ان محمد علي ، اعطى مركبين للجزائريين بدل المركبين المكسرين ، وعمروها . ثم سافرت الظلالمة بمجموعها لملاقاة العدو . ووقعت بين الجانبين حروب كثيرة .

ولما جاء فصل الشتاء امر قبطان باشا بالرجوع الى استامبول لقضاء فصل الشتاء بالبوغاز فلما كانوا ذاهبين امر الحاج عبد الله رؤساء المراكب الجهادية ان يجتمعوا على حدة الى ان يجيء الظلام فيذهبون للجزائر من غير اذن الدولة . وعندما حل الليل اخذوا طريق الجزائر . فلما طلع النهار افتقدتهم قبطان باشا فلم يجدهم ولم يعثروا لهم على اثر ، فتحقق عنده انهم ذهبوا للجزائر ، فكتب للسلطان واخبره بهروبهم . فاغتاظ السلطان لذلك . ووصلت الظلالمة الى الجزائر او اخر سنة 41 . وكانت مدة سفرها سنة وشهرين .

غنيمة بلرنة

وفي هذه السنة ، 41 ، دخل مركب صغير ، يلقبونه بالفليجوا (56) ، من جنس بلاكروز (57) ومعه ثلاثة غنائم صغيرة مثله ، لمرسى سيدي فرج .
فقدم وكيل سيدي فرج في الليل ، واخبر الأمير بذلك ، فامر الأمير حالا بذهاب اثنين من سكنات القرصان ، وبعد شروق الشمس خرجوا اليهم ، فوجدوهم قد غادروا سيدي فرج ، فاستولوا على مركب القرصان وغنائمه لأن هذا الجنس جنس جديد ، خرج عن جنسه الصبانيول ، ورجعوا بغنائمهم الى الجزائر في مدة ست ساعات ، وقسموا الغنيمة على الرؤوس ، فكان كل قسم خمسة دورو . وجعلوا ذلك الفليجوا قرصانا وامر الأمير باعداد خمسة مراكيب .

قضية اليهودي والانتصار على اسبانيا (58)

كان الذمي مقدم اليهود ، له دين على جنس الصبانيول من ثمن قمح ابتاعه منه ايام الحرب بين الاجناس ، وطلب الذمي من الصبانيول مرارا ان يسلموا له ما عليهم من دين فمأطلوه . فاشتكى للأمير ، واخبره بان عليه ديونا لتجار البلد ، فكتب الأمير الى الراي لكي يعطي دراهم الذمي .

ثم ان التجار اشتكوا بالذمي ، فبعث له الأمير يامره بان يعطي اموال التجار ، فادعى الذمي انه لم يكن بيده ما يدفع لهم ، فاذا جاءت دراهم الصبانيول فانهم يدفع لهم . ودين التجار على مقدم اليهود ، مال كثير ، فامر الأمير بسجنه فسجنوه .

وكان لليهودي امرأة جميلة ، فذهبت لقنصل الفرنسي ، ورجته ان يتكلم على زوجها ، فقال له الأمير : لا مدخل لك في هذا الأمر ، وهذا اليهودي اكل اموال الناس ، فان أردت اطلاقه فاقض ما عليه . فاغتاظ القنصل وذهب ،

ثم ان راي الصبانيول اجاب الأمير بعدم الدفع ، وادعى ان هذا المال لم يكن بذمته وانما كان بذمة من قبله ، فبعث الأمير بالمراكب الخمسة التي تقدم ذكرها وأمرها بأخذ مراكب الاسبانيول ، فخرجت المراكب ، واخذت ثمانية عشر مركبا ، ثم بعث ايضا خمسة مراكب اخرى فاخذت مركبين وأمر ببيع تلك المراكب وسلعها ، وقسمت غنائمها . فكان القسم الواحد لأصحاب السفن الأولى خمسة دورو وربع وكان القسم الواحد لأصحاب السفن الثانية زوج دورو .

ثم ان رأي الاسبانيول بعث الى رأي فرانصة وطلب منه ان يسلفه مالا ليقضي به هذا الدين ، فأقرضه ثلاثماية الف دورو ، أتى بها الفرنسيين واعتذر عن الاسبانيول وقال ان هذا المال أتيت به من عندي وأما الاسبانيول فليس عنده مال في هذه الساعة . وطلب من الأمير ان يسامح الاسبانيول فيما بقي من العدد ، لأنه فائدة الدراهم .

فقبل منه الأمير الدراهم التي أتى بها ، وقبضها وكانت : مائة ألف دورو دفعوها له ثمن الصلح ، ومايتي ألف دورو مقابل الدين . وعقد الصلح من جديد مع الاسبانيول .

ثم ان الباشا اخذ الماية الف دورو التي كانت ثمن الصلح ، وفرق منها على المسكر عشرة دورو لكل واحد ، واعطى لرجال دولته على حسب مقاماتهم من الأربعة آلاف دورو الى الخمسمائة دورو ، حتى الماية دورو . وفرق على خدامهم ايضا .

ثم انه فرق المايي الف دورو على اصحاب الديون التي بذمة اليهودي ، ولم يخلص الدين بذلك . ثم اعطى ألفي دورو للذمي لينفق على نفسه منها ، وأمره بان يعمل على خلاص الدائنين فادعى بمال له عند الفرنسيين ، ثمن قمع باعه لهم مثل الاسبانيول ، واراد استخلاصه . وهذا اول سبب للحرب مع الفرنسيين .

انشاءات عمرانية

صنع طريقا لماء عين الزنبوجة ، واشترى مياها أخرى ، ضمها للماء الوارد على المدينة . فكثر الماء بها ، حتى اعلاها . ثم بنى برج باب البحر ، وطبانة (59) في الصنائجية وبنى (60) جامع سفير ، ثم تهدمت بعض الصفوف بالجامع الكبير فبناها .

قوم قبجي باشا ببشارة بنية

وفي سنة 41 قدم قبجي باشي من عند السلطان محمود ، ببشارة بنية ازدادت له وبعث معه الخطة والقليج للباشا ، ويوم وصل مبعوث السلطان ، وقع مهرجان في باب الجهاد . ومن الغد احضر الباشا : العلماء ، ونقيب الأشراف ، وكافة أهل الديوان ، وأعيان البلد ، ولبس الخطة السلطانية ، وضربت النوبة ، واطلقت المدافع صباحا ومساء من جميع الحصون سبعة

أيام ، وبعث البشائر لجميع البليات والقياد ، واستبشر كافة المسلمين ، ودعوا للسلطان بالنصر ، وكان الباشا قد بعث له قبل ذلك الباشكات .

ثورة التيجيني سنة 42

يقال ان التيجني هذا اصله من المغرب ، ويقال انه من الصحراء قرب قصور ميزاب ، وقيل من قرية عين ماضي قرب الأغواط . وكان أبوه رجلا صالحا ، وله مريدون كان يلقنهم الذكر ، وضريحه الآن بفاس ، حرسها الله ، بزأويته هناك ، وقبره الآن يزار ، وأنا ذهبت للزاوية ليلة السابع والعشرين من رمضان وزرت قبره تفعنا الله به ، وكنت اذاك بفاس سنة تسع وخمسين ومايتين والـ (61) .

ويقال ان هذا الرجل كان بعين ماضي سابقا ، ومن هناك ذهب لسكنى مدينة فاس أيام مولاي سليمان سلطان المغرب ، وترك اولاده بعين ماضي ، السيد محمد والسيد أحمد ، ولما كبر هؤلاء كانت لهم الطاعة من عرب الصحراء وكثر المريدون بفاس ، وكانت لهم كثرة كبيرة بتونس .

فذهب السيد محمد للحج ، على طريق الصحراء ، وكان ملوك الترك يخافون منهم ان يثورا عليهم لكثرة اتباعهم من العرب ، فعندما سمعوا بذهابه للحج ، امر الأمير حسين باشا ، باي قسنطينة ، ان يعترض طريقه عند قدومه ، ويوقفه . فلم يمكنهم الله منهم في ذلك الوقت . فعندما رجع من الحج الى بلاده ، ظهر له ان ينزع الملك من ايدي الأتراك ، فجمع عرب الصحراء ، وجيش جيشا ، وجعل يدا مع حشم غرييس لأنهم اصحاب فتن ، ومهما قام ثائر الا وقاتوا انصاره ، هذا وطن غرييس مجاور لبلدة أم العساكر (62) ، وكان أهل هذه المدينة علماء عاملين واولياء وصالحين ، وهم أهل فصاحة ، وفيهم بعض الناس من بقية الملوك المتقدمين ، وهم أهل سنة وورع ، خلافا لمن عداهم من الأعراب ، وسنذكر بقية حقيقتهم فيما يأتي ان شاء الله . أما التيجيني الذي كان الترك والكثير من الناس يتهمونه ويتهمون أتباعه بالاعتزال لفعلهم الرديء ، فقد قدم الى حشم غرييس وبايعوه سرا ، وكان خبره قد بلغ الى باي وهران ، فكتب للأمير بخبره ، وتحيروا كثيرا وانتظر الباي قدومه . فلما وصل الى غرييس ، واخذ يقاتل أهل معسكر ، واستولى على أهل بعض الجهات بعث الباي المال لكبراء الحشم لكي يتخطوا عنه ، وخرج اليه من وهران بالقوم وامر المحلة بان تردفه ، فاصبح الباي مقاتلا ، وفر الحشم عن التيجيني وفر الكثير من جيوشه التي أتت معه ، ولم يبق معه الا نحو الثلاثماية من اعراب

زكور ، فثبت هو وثبت من معه من الأعراب ثباتا لم يثبتته احد . وكان من عادة هؤلاء الأعراب في وقت القتال ان يعقلوا انفسهم مثل الابل ، وهكذا عقلوا انفسهم ، وهو معهم ، وقاتلوا قتالا شديدا ، الى ان قتلوا عن اخرهم ، فقطعوا رؤوسهم وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس ، وبعثوا براس الحاج محمد ولد التيجني ومعه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر ، وأتوا بسيفه وبعض الحجابيات (63) التي كانت عليه ، وفيها جداول من كل نوع ، حتى اني رايت جدولا منها على صفة السيف ، مكتوبا بالزعران .

وكان الباي ، قد بعث البشائر للأمير قبل قدوم الرؤوس . فعندما وصلت جعلوا رأس ولد التيجني في عمود وصلبوه قبالة السباب الجديد ، وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله . ولكثرة ما كان الأتراك يخافونه ، بعثوا للسلطان محمود يبشرونه بقتله ، وبعثوا له سيفه والحجب التي كانت معه واحتوى الباي على ائقال التيجني وامواله ، ورجع لوهران .

تولية احمد باي على قسنطينة

وفي هذه السنة (42) عزل باي قسنطينة ، وولى مكانه الحاج احمد باي ، ولد محمد الشريف ابن احمد باي قسنطينة سابقا . اما السبب في تولية الكوراغلي بايا على قسنطينة ، بعدما كان البايات الذين تقدموا عليه كلهم اترك فذلك لأنه بعد مقتل جافر باي قسنطينة ، وحمل كل امواله وخزائنه الى الجزائر لم يجمع هنالك مال ، وكل من تولى بايا ، يجمع مالا ويخفيه ، لعواقبه ولذريته ، واذا قرب وقت الدنوش ياخذون اموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على اموال العرب وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد الانقضا وضعفا . وهكذا اضطروا في هذه السنة اضطرابا كبيرا ، لتولية الكوراغلي احمد باي على قسنطينة ، ولم يول كوراغلي آخر بايا منذ ثورة محمد باي وهران الكوراغلي على الجزائر ومقتله .

ذهب احمد باي الى قسنطينة ومعه يحي آغا بمحطة وقصدوا جميع الأعراش وبدلوا القيادة والشيوخ وغزوا على بعض الأعراش والنجوع التي اظهرت النفاق ورتبوا العمال .

وبعد أربعة شهور رجع الاغال للجزائر .



الحاج احمد باي ولد محمد الشريف

عزل يحي آغا ، والسبب في ذلك

اجتمع يحي آغا بالباشا ، اثر رجوعه ، واخبره بما فعل مع الباي ، واعادة الراحة لوطن قسنطينة . وقال له انه انفق على المحطة من عنده ، اما جملة ما جمعه من المال فقد تركه للباي . فقال له الباشا : وهل اعانك الباي بشيء على مصاريفك ؟ فقال له : انه لم يعطني شيئا : فقال له : جمعت له كل هذا المال الذي ذكرت ولم يعطك شيء فهذا من المعجب . فحلف له براسه انه لم يعطه درهما ، الا هدية من الخيل والبغال والكسوة الجريدي (64) لا غير . ولم يدفع اي شيء للخدام . فاغتاظ الباشا من كلامه ، وكتب للباي يلومه على ما فعل من تقصيره مع الآغا .

فلما وصل الكتاب للباي وقراه وعلم ما فيه ، اجاب الباشا بلين وخضوع ، ووضع فيه اشارات ليملهه ويعذره الى ان يدنش ، لان الباي الجديد يدنش سنة ولايته ، ثم بعد ثلاثة اعوام كالعادة . فسكت الباشا عن تلك القضية .

وكانت قد وقعت قبل ذلك وحشة بين الباشا والآغا ، سببها ان الآغا كان كثير الفيرة ، لكنها لم يظهرها ذلك لبعضهما . وعندما وصلوا قسنطينة امر الباي بضيافة المحطة . ثم امر بتهيئة هدية من المال والأثاث الثمين ، وكتب كتابا بعث به مع الهدية الى الآغا . فعندما وصلت الهدية اجاب عن وصولها ، وذكر كل شيء من الهدية بعينه ، فلما وصل الكتاب للباي ، وكان فطنا طواه وأخضاه عنده ، ثم انه بعد ثلاثة ايام بعث له هدية أخرى ، وكتابا ، فأجابه كالاول وذكر له الهدية . وهكذا الى واصله بمال كثير . وكان الباي قد وعد يحي آغا بانه يسلم له مائة ألف محبوب ذهب ، اذا هو سعى له في توليته بايا ، فلما تولى لم يعطه المائة الف محبوب ، واعتذر بقلة ما بيده ، ووعد به بانه يبعث له بالعدد عندما يتسير حاله .

فلما دخل الصيف ، اتى باي قسنطينة مدنشا ، والتقى مع الباشا ، ولبس الخبطة كما هي العادة ، ثم دفع عوائده ، ودفع لزمته ، وفي اليوم الثالث اختلى به ، وسأله عن قضيته مع يحي آغا ، فطلب منه الأمان فأمنه ، فأخبره بما وقع له ، وبمعاملته معه ، فقال الباشا : ان يحي آغا لا يكذب علي ، وهو مصدق عندي ، وانت كذلك ، فانا لم اعرف الحق من الباطل . عند ذلك اظهر له مكاتيب يحي آغا ، فيما وصله من عند الباي ، فعند ذلك اغتاظ الباشا غيظا شديدا ، لانه كذب عليه ، فبعث له في الحين واحضره لديه . فلما دخل ووجد الباي عنده طار عقله ، فأمره بالجلوس وقال له : هذا الباي الذي

فكرت انه لم يعطك شيئاً في مقابلة مصروف المحطة ، يدعى انه أعطاك ما هو كيت وكيت ، فانكر انكاراً كلياً . فعند ذلك اظهر له مكاتيبه ، فخرس لسانه ولم يقدر على رد الجواب واسود وجهه ، وعندها صالح الباشا بين الباي والآغا ، وخرج لموضع حكمه ثم أمر الباي أن يذهب الى يحي آغا في موضع حكمه ويتسامح معه ولا يظهر له العداوة ، ففعل ذلك ، وجلس عنده ، واظهر له المحبة ، وطلب منه علامة المصالحة .

وكان الخزناجي ذلك الوقت شاوشا عند احمد باي أيام كان خليفة ، وكان لا يحب الآغا وكان أيضا صهر الباشا ، فاتفق مع الباي ومع صهره وكيل الحرج ضد الآغا .

فلما أتم أحمد باي ضيافته ذهب لقسنطينة ، ثم جاءت مراكب الفرنسيين ووضعت البلونكو (65) وبقي الأمر كذلك . أما يحي آغا فقد خرج الى الأبراج والحصون ورتبها ، وذهب لسيدي فرج وبنى هناك حصنا من اثني عشر مدفعا ، وجعل العسة من العسكر الجديد (66) في كل حصن وعين لهم المؤونة ، والخزناجي يتبعه بالسعاية شيئا فشيئا لأنه لا قدرة له على مصابمة سيده علي الآغا ، لأنه عزيز عنده أكثر من جميع الوزراء ، الى اليوم الذي أراد الله فيه هلاكه . وكان قد فهم ان الباشا فاضب عنه ، فصار يعتذر بالمرض . فقال الخزناجي للباشا ان الآغا لا يعطي المؤونة للعسكر الا البشماط (67) القديم والبرغل الذي نصفه تراب ، والسمن الحار (68) ، فلا يقدر العسكر على اكله فارسلوا قائدا من قواد الآغا وهو مريض فاتاهم بشيء من البشماط والبرغل ، فلما رأى الباشا ذلك اشتد غضبه عليه ، وعزله . ونفاه الى البليلة ، فسكنها ، وولى صهره وكيل الحرج آغا في مكان يحي . ويحي آغا هذا ، هو احسن رجال تلك الدولة عقلا ومعرفة . ثم انهم بعد نفيه للبليلة بعثوا في اثره وخنقوه في بحيرته .

والذي تولى بعده ، مثله مثل الحمار ، لا يعرف الا الاكل والنكاح ، لعنة الله عليه .

الخلاف الأخير مع الفرنسيين

تقدم الكلام على قضية الذمي مع الاسبانيول في أمر الدين ، وان ما دفعوا له لم يف بخلاص ديون الذمي ، وان الباشا أمره بان ينظر كيف يدفع للناس ديونهم فقال له ان له مالا بذمة فرنسا . فارسل الباشا للتوصل (69) وتكلم

معه في قضية هذا الدين وتكلم معه أيضا في قضية القالة على ان الفرنسيين أحدثوا بها بناء ووضعوا بها مدافع فأجاب القنصل بانهم لم يحدثوا بها شيئا ولا زالوا بالقالة كما هي عاداتهم ، فقال له الباشا : بل لقد اتاني الخبر الصحيح بانكم أحدثتم بها مدافع . وها أنا كتبت للراي (70) على القالة ، وعلى دين الذمي ، فأبعث له بهذا الكتاب وسلمه اياه فخرج من عنده وبعث بالكتاب .

فعندما وصل الكتاب للراي أجاب القنصل على القضيتين ولم يجب الباشا ، وقال للقنصل اخبر الباشا ، باننا لا نجيبه ، واذا احتاج شيئا عندنا لا يجب ان يكتبنا رأسا وانما كلامه معك ، وانت تتكلم معنا . فعندما وصل الجواب الى القنصل سكت ، لكونه لا يقدر ان يجيب الباشا بهذا الكلام . وبقي الامر مسكوتا عنه الى يوم من الايام ، بعث الباشا للقنصل وسأله عن الجواب فأخبره بان الراي لم يجب . وبقي الامر كذلك ثم بعث له ايضا ، فأجابه بان الجواب لم يات الى ان جاء شهر رمضان . فلما كانت ليلة العيد ، طلع القنصل ليهنيء الباشا ، وكان من عاداته انه لا يدخل يوم العيد مع القوانصة (71) ، لانه في القديم كان تخاصم قنصلا الانكليز والفرنسيين على السبق بالتهنئة ، ووقع بينهما ما وقع ، فأمر الأمير يومئذ بان يهنيء قنصل الفرنسيين ليلة العيد ، ويهنيء قنصل الانكليز يوم العيد . واصبحت تلك هي العادة .

فلما التقى القنصل مع الباشا وهاه بالعيد سأله الباشا عن الجواب فأجابه اتاني ، وهو كذا وكذا ، فقال له الباشا ، ولماذا لم يجبني انا ؟ فقال له القنصل مقالة الراي ، وما كتب له ، فاغتناظ الباشا لذلك وكانت بيده منشة ينش بها الذباب ، فضربه بها وشتمه وشتم الراي ، ثم رجع القنصل لداره وسكت (72) ولم يفش شيئا من ذلك . الى ان فشا ذلك الخبر ، وسمعه بعض القناصل ، فاجتمعوا وبعثوا للقنصل الفرنسيين وسألوه ، فأخبرهم بالواقع وقال لهم : اني كنت كتبت الامر ، والان لما فشا بين الناس ، فاننا سأخبر دولتي ، وعندئذ أخبر دولته ، وبقي ينتظر الجواب ، وكان ذلك آخر الربيع من تلك السنة (73) .

استعداد

ثم امر الباشا بتعمير الحصون وعين العسكر ، وأعطاهم الصناجق ، وعين العسة متاع الطوبجية (74) يبيتون بالأبراج يعسون ، وكثرت عليهم الخدمة ، وضاق خاطرهم ، حتى صاروا يدعون بالنصر للعدو وظهر لهم انه

إذا أخذ البلد (75) فاتهم يستريحون . ومع ذلك فهم كانوا مستورين بستر الله ، يأخذون الراتب والقمح ، ويشغلون مع ذلك ، حتى صاروا في نعمة من العيش ، وقد أذاقهم الله المكروه لكفر النعمة ، قال تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وكانت حينئذ وقعة المورة (76) . واتفق الرايات على رأى واحد ، وبعثوا للسلطان ان الكريك يستقلون بانفسهم ولا يتصرف فيهم احد ، على ان يعطوه الخراج الذي كانوا يعطونه سابقا . فوافقهم السلطان على ما ارادوا وأمر ابراهيم باشا رحمه الله بحمل عساكره ورجوعه الى بلاده . وحمل المدافع التي كانت بالمورة وأمر المسلمين الذين كانوا بالجزران يذهبوا الى ازمير وغيرها من البلاد .

وبعد ذلك ظهر لعسكر السلطان الانكشارية (77) ان يظموا السلطان وان يولوا غيره فوقع بينه وبينهم ما وقع وقتلهم عن آخرهم ، وقضيتهم معلومة (78) وأمر السلطان بكتابة عسكر النظام فكتب ما وجد في تلك الأيام .

الحرب التركية الروسية

وبعد مقتل الانكشارية ، هاجم الموسكو بلاد الدولة ، واخذوا وارنة (79) بعد قتال كبير ، واخذوا ادرنة (80) من غير قتال ، فاتفق الانكليز والفرنسيين وجميع الأجناس على رد الموسكو لبلاده ، وان يرجع للسلطان كل البلاد التي أخذ . فخرجوا اليه ، وردوه لبلاده ، على ان يعطيه السلطان مصروفه والتزموا له بذلك ، ورددوه ، والزموا السلطان باعطاء المصروف ، فبعث السلطان الى محمد علي والى مصر والى طرابلس وتونس والجزائر لكي يعينوه .

وفي سنة 44 (81) قدم قبجي باشا كي ياخذ الدراهم ، وسلم للامير امر السلطان بان يكتب عسكر النظام . لكنه رد القبجي باشي خائبا . وقد قيل انه قال له : اذنعوا انتم للموسكو ما وجب عليكم . اما ما وجب علينا فابعثوه لكي نعطيه من افواه المدافع . فلما رجع القبجي باشي وأخبر السلطان الأعظم بذلك ، اشتد غضبه على الباشا .

الجيش النظامي

ثم ان الباشا ، بعد رجوع القبجي باشي ، اراد ان يكتب العسكر النظامي من عسكر زواوة (82) القديم فتكلم مع وزرائه وعماله ، وقال لهم اني اريد ان

اكتب العسكر النظامي من جند زواوة بان يبعثوا اولادهم ليكتبوا في دفاتر الجيش النظامي وولى على ذلك العمل أربعة رجال من آغوات الترك وجعلوا كتابا أربعة شواش وأمرهم بان يأتوا بأولاد زواوة ، فاتوا بهم في اليوم الموعد ، وكان الباشا حاضرا ، فعندما حان وقت الكتابة استشار خوجة الترك الباشا وقال له اين نكتبهم ، وهل نجعل لهم دفترا وحدهم ، ام نضعهم في دفتر العسكر (83) فأمره الباشا بكتابتهم في دفتر العسكر ، فكتب منهم نحو المائتين وهو حاضر ثم ارتقى للسراية فلما غاب عنهم ضرب الخوجة الارض بالقلم الذي بيده ، ودعا بالتركية الله مستحق وارسن ، وذلك من شدة فيضه على كتابة اولاد العرب . وبلغ خبره للأمير . وكان عليه ان يعاقبه في نفس الوقت ، لكنه سكت وصبر ، وكتب منهم نحو الالفين ، ثم قطع الكتابة .

اعمال عمرانية ودينية

وفي هذه السنة ، هدم الأمير مسجد سافير واعاد بناءه في نفس السنة وجعل درسا لصحيح البخاري كل يوم بجامع خضر باشا ، على ان يختم كل شهر ثم جعل حزبا بالجامع الأعظم ، وفيه اربعون طالبا ، يقران سورة انا فتحالك فتحا مبينا كل يوم وقت الزوال .

الحرب مع الفرنسيين

في هذه السنة . قدم الاميرال الفرنسي (84) في سفينة ، وجعل صانجاق احمر فوق صاريها ، ودخل وارسى السفينة تحت الابراج . وذهب اليه قنصل الساردو ، فقال له الميرانتي انتي اتيت من اجل الصلح ، فرجع القنصل واخبر الباشا بمجيء الميرانتي ليجعل معكم الصلح ، ومن الفد ، نزل الميرانتي وطلع للباشا والتقى معه ، وتكلما ، ووقع الوفاق بينهما ، ورجع الميرانتي للسفينة ، واستبشر الناس في ذلك اليوم . وفي اليوم الثالث ، طلع لاتمام شروط الصلح ، فلما تراضوا بينهم ، ولم يبق الا اطلاق مدافع الصلح ، طلب الميرانتي من الأمير ان يعطيه رجلا من اقل خدامه ، يحمله معه الى فرنسا ، على اعين الاجناس (الدول) ، لكونه وهو ميرانتي ، ظهر له ان يجعل معه رجلا ، رفعا لقدرهم ، وليقولوا في كتبهم اننا بعثنا اليهم رجلا ، وهم بعثوا الينا رجلا ، جبرا لخاطرتنا .

فاشتد غضب الباشا حينئذ ونفخ فيه الشيطان واخذه العجب والكبر ، وظن ان لا يغلبه احد وقال له : لا نجعل الصلح بيني وبينكم ، فضلا عن ان اعطيكم

رجلا من عندي . والآن يجب ان تسافر حالا ، فقال له الميراثي : لا نستطيع السفر الآن من أجل الريح ، فلو خرجت وحملت المخطاف فان السفينة تحرث في الارض . فقال له الباشا : الأجل ساعتان ، فاما ان تحمل مخاطيفك وتذهب أو تفرق سفينتك ، فذهب الميراثي ولم يقدر على السفر ، وأمر الباشا ، وكيل الحرج ، وباش طنجي ، ان يضربوا السفينة اذا انتهت الساعتان ، ولم يخرج ، فلما انتهت الساعتان ضربوه ، فقام في ذلك الوقت وخرج ، وهم يضربونه ، وهو سائر حذاء الأبراج ولا يضرب ، حتى انه أغلق فتحات مدافعه وقد وقع للناس من ذلك حزن كبير ، واهل المعرفة قالوا : الآن اخذنا .

ولما وصل الميراثي لبلاده ، كتبوا للسلطان محمود ، وأخبروه بما فعل معهم ، فقال لهم : هؤلاء الناس طغاة ، فاذهبوا اليهم ، وأحملوا جميع من بها من الأتراك واثوني بهم ، وخذوا مصاريفكم من خزنتهم ، وأتوني بشيء منها ، وأتركوا بها نصيبا لمصرف البلد ، واجعلوا عليها من يقوم بامرها من اهلها (85)

أما قنصل الفرنسي السابق ، فقد كان قد هرب من قبل مع سفينة قرصان فرنسية ، وخطف وكيله قنصل الساردو على داره وامتنعته (86) .

وعندما قرأ الفرنسي كتاب السلطان شرعوا في تعمیر عمارتهم وعزموا على القدوم للجزائر .

مهمة الحاج خليل

بعد ذلك بعث رجال الدولة العثمانية للحاج خليل افاندي وأرسلوه للباشا وأمره بان يجعل الصلح مع الفرنسيين قبل ان يقدموا بعمارتهم . فقدم الحاج خليل سنة 45 (87) وتكلم مع الباشا ، ورغبه في الصلح ، وقال له : اتركني اذهب لفرنسا واجعل لك الصلح معهم فلم يقبل منه ذلك . وبعث له محمد علي والي مصر كذلك ، فلم ينصت لكلامه ، وهو لا يزيد ، عدو (89) الله ، الا عنادا وتجبرا .

تلبية دعوة الجهاد

أما سبب تجبره ، فهو انه كان بعث الى زواوة فأجابه بقية جالوت وكتب له كبراً وهم بقية فرعون لعنة الله عليهم وعليه ، فمنهم من قال له انه يأتيه بأربعين ألف رجل ومنهم من قال له انه يأتي بثلاثين ألف رجل ، ومنهم من قال بعشرين ألفا . وهكذا سائر الأعراس سهلا وجلا . فلما قرأ ذلك اجتمعت

لديه ملايين يظهرون له الرغبة في الجهاد وهم قوم مثل البهائم ظهر لهم ان ذلك القتال انما هو كقتال بعضهم لبعض ، قتال حمية الجاهلية ، وقد ذكروا له الألوف لانهم لا يعرفون مقدار الالف ، فظنوا ان المائة هي الالف . والباشا نفسه ظن ان هذا القتال مثل قتال الرعية ، والا فكيف يقابل جنسا قويا كجنس الفرنسيين من غير عدة ولا عدد .

المعركة الأولى

وفي ليلة المولد النبوي الشريف ، بعث الأمير فركاطة ، وسكونات خرجت في الليل لمقاتلة مراكب البلونكو (90) فلما أصبح الله بخير صباح مولده عليه الصلاة والسلام ، تقاتلوا مع السفينة ، وظهر نصر الله على المسلمين في ذلك اليوم ، وذهبت عنهم السفينة بعد القتال ، ورجعوا الى المرسى واعطى الباشا للمجاهدين خمسة عشر ربيع سلطاني لكل واحد .

خرافات وكذب

وبقي الباشا ينصت لشياطينه اهل البدع من الاحرار والعبيد ، يقولون له رأينا في (منامنا) كذا وكذا . والأخبار تتوارد عليه من كل ناحية بانباء العمارة الفرنسية ، وعساكرها ، وانهم سينزلون بسيدي فرج (91) .

وسمعت رجلا من اتباع الآغا يقول : اتى قنصل النابوليطان يوما الى الآغا ، وقال له : ان عمارة الفرنسيين قادمة ، وستنزل بسيدي فرج . فلو جعلتم متارز (92) في كل ربوة وعمرتموها بالمدافع ومهارييس (93) البومبة ، ووضعتم الف عسكري على كل متارز ، فاذا نزل الفرنسيين في البر فانه لا يستطيع ان يزيد عن موضعه . فضحك الآغا ، وهو صهر الباشا ، واجابه : اذا جاءت عمارة الفرنسيين ونزل جندها ، فاقدم لكي ترى كيف يقص العرب والقبائل رؤوس الفرنسيين فلما خرج من عنده ونزل من ادراج العلي (94) ضرب بيده علي فخذه وقال : هذا الحطوف (95) ، انا اريد صلاحه وهو يقول مثل هذا الكلام (96) !

اما اهل البلاد ، فقد كانوا في محنة لا يقدرزون على الكلام ، خوفا من الظلم والتكبر والتجبر . وفي يوم من الأيام تكلم رئيس من رؤساء المراكب الجهادية مع بعض الناس في أمر الفرنسيين ، فقال ان هذا جنس قوي لا نقدر عليه ، ولا عندنا عدة ولا عدد مثله او كلام مثل هذا فبلغ خبر ذلك الى الباشا ، فبعث

من يقول له : قسما لو لم يكن رجلا مسنا ، لدفنته في القبر وهو حي جزاء الكلام الذي تكلم .

مؤامرة خاتبة

وبعدما وقع هذا ، اتفق البعض من خوجات الترك على قتل الباشا ، وقدموا واحدا منهم اسمه مصطفى خوجة ، وكان رجلا عاقلا وتعاقدوا مع بعضهم بعضا ، على انهم عندما يدخلون يوم عيد الاضحى على الباشا ، لتهنئته بالعيد ، يقتلونه ويولون مكانه مصطفى خوجة المذكور ، وكان اتفاقهم هذا في ضريح سيدي بنور ، بجبل بوزريعة . ووكيل الضريح التركي اعمى ، خلده الله في النار اعمى على وجهه ، ما دام اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ، فبعث للباشا واخبره بصنيعهم . وكانت ليلة العيد ، فبعث حالا الى مصطفى خوجة وقتله في تلك الليلة ، ومن الغد قبض على لقمان خوجة وابراهيم الدخاخي ، وقتلها . وقبض على الأعمى ايضا ، فصار يعتذر فنفاه الى قرية من القرى . وعفى عن الآخرين والله اعلم ، انه لولا خوف الفتنة ، وقرب وصول العمارة لكان قتل كل من حضر هذا الجمع من الترك .

وفي الحقيقة ان الله اذا اراد شيئا هيا اسبابه ، فسكت الناس ، وأدخل الله الخوف الى قلوبهم ، وصاروا لا يقدرّون على الكلام ، حتى كاتهم نيام أو سكارى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

عظة للسلطان ، ومهمة طاهر باشا

وعندما قرب أو ان خروج العمارة الفرنسية من طولون أتت رسائل من تونس تخبر ان السلطان محمود راجعه يوما من الأيام احد عبیده يلقب بفزلار آغاسي وبلساننا قائد الدار ، وقت دخوله للحريم . فلما رأى ابناؤه ، اخذ منهم واحدا فقبله فقال له العبد : هذا ولدك اخذك الحنان عليه فكيف لا ياخذك الحنان على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيهم صبيان ، وكهول وعلماء ، واشراف ، وصالحون ، وشيوخ ، وأيتام ، وأرامل ، وقد اذنت للفرنسيين باخذهم ، ولم تشفق عن هؤلاء المسلمين لأجل رجل عصاك . فلو بعثت اليه احد خدامك ياتيك به ، وتنتقم منه . وان منعه عنك تسلط عليهم من ينتقم منهم (97) ، فبهت السلطان لهذا القول ، وقيل ان دموعه أخذت تنحدر على لحيته ، وبعث في الحين فعين الطاهر باشا ، على ان يذهب لفرنسا ، كي يرد العمارة ، فرحم الله هذا العبد الذي تكلم بكلام الفحول ، حتى رجع السلطان

عما صدر منه ، ولم يصدر هذا الكلام من الأحرار ، وفي هذا القدر كفاية ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما طاهر باشا ، فإنه ركب فركاطة وقدم مقابلا للجزائر فعندما لم يجد
العمارة هناك ، ذهب الى مرسيليا ، بقصد ان لا يترك العمارة تقدم للجزائر ،
والسلطان هو الذي يأخذ بثأر الفرنسيين من الباشا ، فلما وصل الى مرسيليا
أوقفوه هناك ، ثم خرجت العمارة .

وقبل ذلك ، قال الباشا للناس ، من أراد الحج فليتها لذلك (98) ، وعين
ثلاثة مراكب من مراكبه الجهادية لتذهب معهم ، لحفظهم من الكريك ، وعين
أمين الصرة (99) وأمر القبطان مصطفى رايس ان يوصلهم الى الاسكندرية ،
ويرجع . فلما ذهبوا وقعت الحرب من ورائهم فبقوا في الاسكندرية الى ان
نفذ الله قضاءه فينا .

وقائع أولى قبل قدوم العمارة

قبل قدوم العمارة الفرنسية بأيام رفض البحر سكونتي قرصان فرنسيين ،
على ساحل يسر ، وكان الباشا قبل ذلك قد نادى في الرعية ، انه اذا أتى
الفرنسيين فكل من قطع رأسا للعدو واتاه به ، فإنه يأخذ مائة دورو . فسمع
الأعراب الذين لا دين لهم ففرحوا بذلك ، وهو مراده السفه عليهم . فعندما
توقفت السفينتان على الساحل ، قبض الناس على النصاري ، ونهبوا ما في
السفينتين وبعثوا للباشا ، وأخبروه بالواقعة ومنهم من قتل النصاري واتوا
برؤوسهم ، ومنهم من أتوا بهم أحياء وقدم معهم اعراب ذلك الوطن كلهم ، ثم
أنهم لما قدموا اليهم ، وهم مائتا رجل فوجب لهم عشرين ألف دورو . ووقع
النزاع بين الأعراب وكل واحد من القادمين يريد ان يأخذ الدراهم . فدفع
الباشا عشرين ألف دورو للأغا ، وقال له : اخرج بهم خارج المدينة
وجردهم (100) ، وكنت انا قائما من البستان في ذلك الوقت ، فأخذني الأغا
معه من باب البلد ، لكي أعين كاتبه في تجريد الأعراب ، فذهبت معهم الى
الفندق الجديد الذي بنوه فوق القصبه خارجا عنها ، وابتدانا نجرد الناس ،
ووقع الخلاف بين الأعراب ، ولا قدرنا نعرف هذا من هذا . وكثر اللغظ فيهم ،
وبقينا كذلك وقتا طويلا ، ولم نحصل على ظائل ، فانهينا الأمر الى الأغا ، فقال
اتركوا هذا التجريد الى غد . فذهبت انا ، ولم أرجع لهم ، ومن الغد ، أخذوا
عدد الأعراب ووزعوا النقود على عدد الرؤوس ، وبعد اتمام ذلك ، بعث لي
الأغا خمسة دورو منها ، اجرة ما جردت لهم في اليوم الاول .

ظهور العمارة الفرنسية

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة ، سنة 1245 (101) ظهرت عمارة الفرنسيين ويوم الاحد ، نزل عسكرهم بسيدي فرج ، أعاد الله علينا من بركاته ، وفي الحقيقة ظهرت العمارة عشية الجمعة ، يوم العشرين في الشهر ، وقدم الرايس أحمد بالجى وكيل ضريح سيدي فرج في الليل ، وأخبر الباشا بظهور بعض العمارة ، فقالوا له : ان ذلك سحاب ظهر في الأفق ، ومن الغد راينا كامل العمارة .

ومع هذا كله ، والباشا نائم ، كانه لم يكن عنده عدو ، حتى ان العساكر الذين عنده خرجوا في محطة الشرق ، وغير جميع النوبة التي في كل البلاد ، وكتب له البايات ليستنفروا له العسكر الذي عندهم ، والقوم (102) ، فأجابهم بان لا يستنفروا احدا للجزائر ، انما يستنفرون الناس من اجل حراسة السواحل التي تليهم .

وفي يوم الاحد الذي نزل فيه العدو بسيدي فرج ، أمر بخروج الآغا فخرج ومعه نحو السبعين فارسا ، فذهب لغرب سيدي فرج ، للحصن الذي بناه يحي آغا ، وضرب الناس بعض الطلقات من المكاحل (103) والمدافع من ذلك الحصن ، وهو يقول لهم : لا تضربوه ، اتركوه ينزل . ونبعث للقبائل ونقوم عليه . عند ذلك بعث للقبائل يستقدمهم للجهاد ، وخرجت محطة من مدينة الجزائر ببقية العسكر ، اي نحو الفى جندي ، وهذه مبالغة ، والله اعلم ان الذين خرجوا في اليوم الاول نحو الالف لا غير . أما الالف الأخرى فقد اجتمعت بعد اليوم الاول شيئا فشيئا . وابتدا العرب يلتقطون للجهاد اهل متيجة واهل القليعة والبليدة .

أما الفرنسيين فقد انزل عسكره وجعل متازر من الأسوار ، وقد رايت به بعد ذلك وسنذكره مفصلا (104) ، وحصن نفسه على ما رايت ، بحيث لو اجتمعت عليه كافة اهل العمالة وغيرهم ما دخلوه . والآغا كان اولاً بالحصن ولحقته المحطة من الجزائر ، ووصلته المدافع فترك الحصن وتأخر عنه ، ونزل بمسطته قبالة المتازر .

وكان باي قسنطينة قد قدم مدنشا كما هي عادة البابالار (105) وكان تلقى أمرا من الباشا بان لا ياتي معه الا بنحو مائة من القوم لا غير ، أما بقية قومه فيتركهم مرابطين على مدينة عنابة . فخرج يوم الاثنين بمن معه من القوم ، ونزل مع الآغا ، وذهب قومه وأطلقوا النار ثم رجعوا . وكذلك كان كل من

يلحق بالجيش يقترب من المتارز ويضرب وجوها، والآعاد قاعد في الوطاق على الأكل والشرب ، والناس هائمون من غير ترتيب .

ولما نزل باي قسنطينة ، كتب للباشا يخبره بقوة النصاري وبضعف جيوشنا ويستأذنه برجوع محطة الشرق للجزائر ، فأذن له بذلك ، ورجعت المحطة .

وقدم باي تيطري كذلك لأجل الدنوش ، فأمره الباشا بان يذهب الى سيدي فرج وأعطى الباشا أمره لكامل الجيش بان لا يقاتل الا يوم السبت . فلما كان السبت بعد صلاة الصبح ركب الآغا لناحية ، وركب السبايات كل واحد في ناحيته ، وتقدمت جيوش المسلمين للقتال ، والنصاري ينتظرون قدومهم ، وابتدا القتال ، والصناجق مرفوعة وهجموا الى ان وصلوا الى المتارز ، وقيل ان اهل الصناجق وبعض الجيش قد دخل المتارز ، فانقلب عليهم النصاري ، واخرجوا الشننضاض (106) من المتارز ، وقوى القتال بينهم . ولم يكن الا قليلا حتى نظر المسلمون لكثرة الشننضاض وقد احاطوا بهم من كل ناحية ، وهم من كل حذب ينسلون ، وراوا انهم اصبحوا في وسط النصاري كاللحمة . فعند ذلك انهزموا ، واسودت الوجوه في ذلك اليوم (107) ولا احد لحق الآخر فلما وصلوا المكان المحطة وجدوا الآغا قد هرب وترك ما عنده في المحطة ، وصار الأعيان من الناس يربصون الجند المنهزم ، والجند لا يزيد الا فرارا . فلما رأى النصاري هروب الناس وضعفهم هاجموا المحطة (108) واستولوا على ما فيها . فأما العرب فكل واحد رجع لموضعه ، واهل البلد رجعوا للبلاد . ومن الغد اشتغل النصاري بخدمة المتارز ، ولو شاءوا لدخلوا مدينة الجزائر ذلك اليوم . لكنهم يقرأون العواقب .

وقد كان الباشا قد اخبر في اول القتال بان الصناجق دخلت المتارز الفرنسية لكن بعد ذلك بنحو الساعة ، اتى الخبر بانتهزام المسلمين ، وأما النساء من اهل البساتين فقد تركوا بساتينهم وأمتعتهم ، وأتين هاربين للبلاد حفاة عراة ، بحيث ان المرأة كانت في وسط الرجال وهي لا تشعر بنفسها . ثم ان العرب المنهزمين ، عندما راوا ان العدو قد اخذ المحطة ، قصدوا البساتين ونهبوا ما في ابراجها من ارزاق المسلمين ثم رجعوا لبلادهم .

وخرج الخزناجي في ذلك اليوم لبرج مولاي الحسن (109) ، وبات هنالك ورجع في الصباح الى دار الامارة ، والآغا بات في بستانه ، والسبايات كذلك ياتوا في عين الربط ، وبعث لهم الباشا يدخون للمشورة ، ودخل معهم خليفة باي الغرب وكان لحق ، واجتمعوا في علي الآغا ودخلوا لدار السلطان ، واجتمعوا مع الباشا ، وكان رأيهم قد فسد ، ومن علامة الخراب فساد الراي ،

فاتفقوا على تعمير برج مولاي الحسن ، وكانوا قد بعثوا بي لأجد لهم ما فيه من المدافع وآلة الحرب ، فذهبت ، ووجدت به عشرة مدافع صغيرة ، ونحو القنطارين من البارود ، وما يقرب من المائتي كورة ، فاتيتهم بالجريدة وأطلعوا عليها ، وأمروا بتعميره وقد كانوا يخافون ذلك البرج لكونه أكثر ارتفاعا من القصبية ، ومن خاف من شيء سلط عليه . إنما كان خوفهم يومئذ من أجل الأتراك (110) . كما اتفقوا ان يجهزوا الجيش ويخرجوا لقتال العدو . فخرجوا ، وأمروا العسكر بالخروج وتقدمت بعض من قبائل زواوة ، وصاروا يقاتلونه من جهة بساتين البلد . أما النصارى فكان شغلهم بناء المتاريز ، وحول كل واحد منها خندقا ، وبين المتارز والآخر قدر رمي كورة ، وكل متارز وسط فيرمة (111) ، فلما حصنوا حصونهم ، وعمروها بما يلزم من الأكل والشراب وآلة الحرب تقدموا ودخلوا البساتين .

أما القبائل الذين كانوا يأتون من أجل القتال ، فلم يكونوا يعطونهم الأكل والبارود إلا ما قل فيقيمون يومين أو ثلاثة ويرجعون وإذا أتوا يطلبون البارود ، يقول لهم الأتراك : البارود الذي نعطيه إياكم لا تقاتلون به ، بل ترجعون به إلى بلادكم . ومن جملة ما فعلوا ، أنهم كانوا يبعثون في أثرهم عند رجوعهم ويفتشونهم ، ويأخذون ما عندهم من البارود . ومع هذا فإن الباشا كان يأمر عماله باعطاء الأكل والبارود ، لكنهم كانوا يشحون عنهم .

وبعد ما دخل العدو للبساتين ، أقام نحو السبعة أيام وهو يبني الفيرمات ، مثلما صنع أولا ، ويستقدم أثقاله وابتدأ في بناء حصن في ربوع عالية ، فوق برج مولاي الحسن ، وصاروا يرمون عليه البومبة ، وهو لا يعرف إلا الخدمة في المتارز . وبعض الأحيان عندما تكثر عليهم البومبة يهربون من المتارز ، فيدخله المسلمون ، فإذا انقطع رمي البومبة يعيدون الكرة ، ويرجعون للمتارز ويخرجون منها المسلمين ، ويعودون لخدمة بناء الحصون . وكان هذا دأبهم ليلا ونهارا .

وكانت مدافع القصبية ترمي الكور على هؤلاء النصارى وعلى الذين كانوا بضريح سيدي بنور . ومن اليوم الذي قدمت فيه عمارة النصارى ، لم يخدم ريح الصبا ، ولم تر إلا ريح الدبور ، ولم تر علامة النصر أبدا . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

رمي الجزائر بالقبائل

ثم قدمت العمارة في البحر ثلاث مرات يقصد القتال مع الأبراج ، فأول مرة وصلت العمارة قبالة برج قانت الفول واطلقت عليه الكور ، وكنت أرى

الكور ينزل على الارض مثل المطر الغزير وانا اذاك انظر من برج مولاي حسن . وكان البرج يضرب السفينة واحداث بها اضرارا . وكذا غيرها من السفن . لكنهم كانوا يضربون من القلاع اما العمارة الفرنسية فيتبع بعضها بعضا .

وعندما قربت العمارة من برج الزوينة ، وبرج راس عمار ، اهلكها البرجان بالضرب ، فعادت ادراجها وابتعدت عن موقع الضرب ، ثم رجعت بعد ذلك بيومين او ثلاثة ايام ، وفعلت ما فعلت اولا ، ولحقت منها ثلاث كنبرات (112) سقطت واحدة على الساعة (113) ، وسقطت الثانية في سوق الحاشية والثالثة لا اذكر اين سقطت . كما سقطت كورة كبيرة في برج باب البحر . لكن عندما قوى رميها بالمدافع من الأبراج ، رجعت للوراء .

اما المرة الثالثة فقد دخلت العمارة ، ولم تصل الى موضع الضرب ، ورجعت

تحطيم برج مولاي حسن

وعندما كان العدو بين المتارز التي هي أعلى برج مولاي الحسن ، دخل الخوف في قلوب الناس واشتد الأمر على المسلمين واتم الفرنسيون بناء هذه المتارز واشتد ازهرهم بها . ويوم السبت في آخر الليل ، نصب في تلك المتارز ما يزيد على مائتي مدفع ، وصار يضرب البرج الى بعد شروق يوم الاحد ، وتهدم البرج بمد قتال كبير ، ومات خلق كثير من الفريقين واشتد الأمر على من بقي في البرج ، فمنهم من هرب ، ومنهم من ألقى بنفسه من أعلى الجدار ، ومنهم من تدلى بحبل . وخرج من بقي فيه ، ومنهم الخزناجي . لكنه وعد باعطاء مائة سلطاني ذهبا لمن يشعل النار في خزنة البارود ، فذهب رجل وأخذ قرطيل بارود من الخزنة وأخذ يفرغ ما فيه شيئا فشيئا بصفة متواصلة من الخزنة الى ان ابتعد عن البرج ، ونفذ ما في القرطيل ، فاشعل النار في البارود وهرب ، وعندما وصلت النار لخزينة البارود ، انفجرت ، وطار ما حولها من البناء ونزل حجرها على البلاد ، وبعد ذلك انقطع ضرب المدفع ساعة .

ثم ان النصارى هاجموا موضع البرج ، وتمكنوا منه ، واخذوا ما كان فيه من الامتعة وغيرها من آلات الحرب والدرهم التي اخرجوها من تحت الردم .

طلب الامان والتسليم

ولما اخذ هذا الحصن ، قوى ضرر اهل البلاد ، ومن اخذه اخذ البلد .
ولما رأى الأمير ذلك ، بعث للطاغية وطلب الامان لنفسه واهله وماله . فأجابوه
لذلك ، ولم يكن لاهل البلد خبر بما فعل (114) . ولما جاء الرسول بالجواب ،
أخذه وسكت . وبقي العدو مقيماً في برج مولاي الحسن . ولما كان وقت
العصر ، ذهبت طائفة من النصارى الى برج راس تفورة وكان الأمير ينظر
اليهم ، فبعث الى اهل البرج ، وقال لهم لا تضربوهم فلما وصل النصارى الى
باب البرج ضربهم المسلمون من اعلى الحصن ، وقتلوا منهم اثنين . فلما رأى
كبيرهم من برج مولاي حسن ذلك ، ضرب لهم مدفعا ، فرجعوا الى منزلهم .
ولما رأى الأمير رجوع النصارى من راس تفورة بعث لاهل البلد في تلك
العشية وجمعهم وقال لهم : كيف ترون العمل مع العدو ، قالوا له : نقاتله .
فأعطنا السلاح ونخرج اليه والعسكر يعسون في الأبراج على الأسوار .
فتكلم كبراء العسكر وقالوا لهم : نحن نخرج اليه ونقاتله ، وانتم تعسون في
الأبراج وعلى الأسوار كما هي العادة فاتفقوا على هذا الامر وافترقوا ، وبعد
المغرب ، ابتداء العسكر في الهروب . وشاع خبر عند الناس بان الأمير اخذ
الامان من العدو على نفسه ، واهله ، وماله فاجتمع اعيان البلد ، وذهبوا اليه
بعد صلاة العشاء فقال لهم ماذا أتى بكم ، فقالوا له انت فعلت كذا وكذا ؟ فقال
لهم : ان الكلام لا يكون بالليل ، وغدا اثقوني اتكلم معكم . فذهبوا وبات
المسلمون في حيرة عظيمة . ولما طلع النهار قدموا اليه ، فأمرهم بالدخول
للمسجد ليتكلم معهم . فدخلوا وبقوا ينتظرون قدومه . وهو بعث رسوله
الاول الى العدو ، وطلب الامان لاهل البلد في انفسهم واموالهم . ويسلمونه
البلد دون قتال . فكتب لهم الجنرال (115) كتاب الامان في نفوسهم واموالهم ،
ومساجدهم وامور دينهم ، وان لا يتصرف في شيء من أمورهم ، الا في الامور
المخزنية . وانه قبل الزوال يدخل بعسكره للبلاد ، فان ضربوه بوجه من البارود
فانه يقتلهم ويسبى نساءهم وذرايرهم ، وان اقام كل واحد بداره ولم يضربوه
فهم على الامان مثلما كتب لهم فلما وصل الرسول للامير ودفن له الكتاب ، فبعث
به لهم مع ترجمانه ، وقال لهم : ان الأمير اعطى البلد (116) للنصراني من
غير قصد وهذا ما اراد الله تعالى ، وقد احاط العدو بالبلد ، ولم تقدر على
دفعه لكثرة جيوشه ، وجيوشنا كلها هربت ، والعدو داخل نصف النهار . وقد
خاف الأمير من كشف النساء والصبيان ، واخذ لكم الامان منه ، وها هو
كتابه ، واياكم ان يضربه احد منكم ، ويلزم كل واحد داره حتى يفعل الله
ما يريد .

فلما سمع الناس مقالة الترجمان ، خرست السننهم ، حتى لم يقدر احد ان يجيبه بشيء ، وذهب كل واحد لداره .

سيرة حسن باشا :

وحسن باشا هذا ، وهو آخر ملوك الترك بالجزائر ، قد كان قوي النفس ، لا يتزعزع لعظائم الامور ، ولا يتضعضع لنوائب الدهر . واما سيرته في اهل البلد ، واهل مملكته فقد سار فيهم سيرة حسنة ، لم يسرها من تقدمه . من لين الجانب ، وسهولة المجاب ، والعفو عن الجرائم والصفح عن الزلات . والكف عن الدماء والمحارم ، ورفع الظلمات ، وتفقد احوال الضعفاء . وكان تقيا ، محبا للصالحين ولمن انتسب اليهم ، حتى انه كان يفتر باهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم . ويكرمهم ، ويستبشر بمقاتلتهم ، وكان الواجب عليه التغير على اهل البدع وزجرهم على فعلهم القبيح ومخالفتهم للسنة .

وكان يلتزم احكام الشريعة المطهرة ، اما عماله على اهل البادية فقد ظلموا ، وجاروا على الرعية .

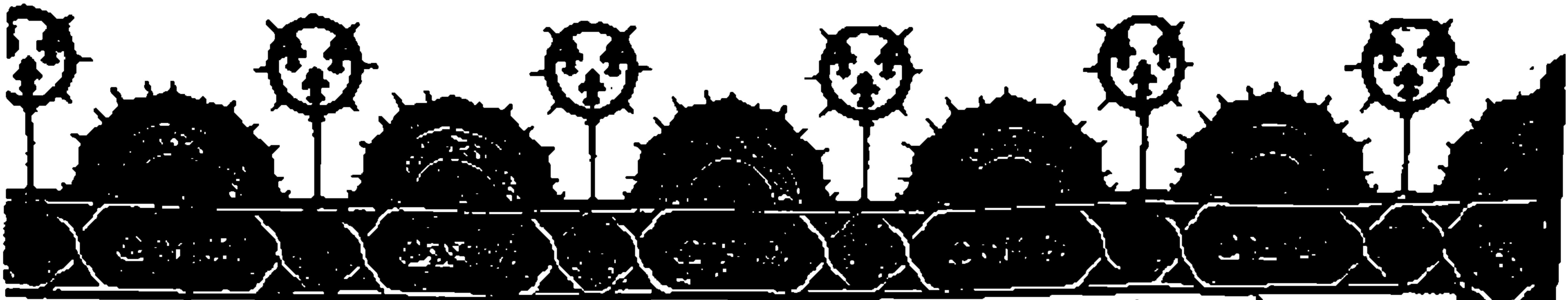
الا ان ايام ملكهم اخذت في الادبار ، وانقضت كواكب سعودهم ، وافلت من منازلهم الشمس والاقمار ، وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا ييباس سقيمها . وبهذا جرت عادة الله في خلقه انما الدهر دول بعد دول ، وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون صدق الله العظيم . وكانت الجزائر ملكهم ودار سلطنتهم . فاتي عليهم ما اتى على غيرهم . واستولت الدولة الفرنسية على بلادهم فابعدت القوم عن اوطانهم واوحشتهم بعد الايناس (117) ، وتلك الايام نداولها بين الناس . واتاهم ما اتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما خلت منهم الديار ، واراد الله انقراضهم ، وذهبوا فهل ترى لهم من باقية . بعدما شيدوا البناء الذي لم يشيده شداد بن عاد ، في ارم ذات العماد .

فسبحان من لا يزول ملكه ولا يفنى دوامه ، وتصرفت في البلاد احكامه . يفعل في ملكه ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وانا استغفر الله فيما زدت او انقصت

خاتمة

فانظر ايها المعتبر كيف كانت اول ايام هذه الدولة ، من ضخامة المملكة واتساعها واستفحال الدولة وارتفاعها على سائر الدول اندادها وتامين الافاق لها ، وامتداد الايادي لها بالطاعة ، وما اتفق للأمير خير الدين باشا ، من ذهابه لبقية بني زيان ببلد تلمسان ود. خولها تحت طاعة السلطان العثماني ، ثم



عنه مناهة من سار عسكر امير الجزائر العرش الفرنسي كرامة

الى سكان الجزائر واعلى القبائل



بسم الله المهدى المجد وبه نستعين

يا ايها سكان الجزائر والاشراف والعلما واكابر السليخ والاميرية اهلوا من اجل السلع وامل السواحل طوي سرود للعرز والاعكرام
 اما بعد اعلموا صلوات الله على فرسه والصلوات على حاكمه سلطان براسة قدور ورمزه جنه الا على من خسره قد اتفق على قبوله ايلو صاحب عسكر
 وبا امر احمدنا وصينا سكان الجزائر ومن يتهم البيع من شعب الظاهر ان الباشا حاكمكم من حيث انه تجراء على جعله بيروق براسة الشفق
 كل الاعمال وانفق على لطفه عند سبب بجملة هذا كل ما هو عند ان جعل بكم من الطوارث والخراتد لظونه هو عليكم الحرب من قبلنا بل منزه
 الاعمال بطلن بولسدهم ملكه من قبله من ظنه هذه الصوده ورايته للبروية للصورة بلا بد ان هذا الباشا حاكمكم من نده بصره وعلوه لله فمستطى يستطع العمل
 من مناهة لغير العتوبه ومن فوسجزه بالسفده من العتوبه لمن لا تقم باعص الهاربة اعلموا وانفقوا بينا الى لسعنا لغير عليكم طبع ان لا نزلوا اخيرا ولحقتم بهلككم
 وعملوا لظلمكم ولا يبع من الصالحين الحرب بل من ستر في اعقابكم لانه ليس من ان يود بكم في كل ما هو فيكم واما انتم فكم ان بلكم ولا يبع بكم
 وكم بكم وكل ما منكم حيفا كل اوصيا بكم ولا يبع من ستر في اعقابكم لانه ليس من ان يود بكم في كل ما هو فيكم واما انتم فكم ان بلكم ولا يبع بكم
 لكم بشارتكم وعلما بكم وعلما بكم ولا يبع من ستر في اعقابكم لانه ليس من ان يود بكم في كل ما هو فيكم واما انتم فكم ان بلكم ولا يبع بكم
 بل من حضر بكم ليرى من بكم ولنا نصنا لعلكم بكم الفوسما واعلموا بالصداقه والهدى وما لا يبع عليكم فكم بكم ونهضه للفرس في كل
 بكم على لعلكم اللبنة والهدى لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 للفرس من البصيرين للفرس من البصيرين لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 والسلاح والبر والهدى وما الله غلاكه من غلاكه وما الله اعلمنا كل الحرب انه عز وجل ما يبع من بكم من بكم من بكم من بكم من بكم من بكم من بكم من بكم من بكم من بكم
 والهدى لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 المحمد ولا يبع بكم من بكم
 الى بكم بكم وعلما بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 بايها اهل الاسلام ان كلنا منا طهر من الكتب الكليل وانه مشتمل على الطبع والبرقة وانما عتبع من اسبلكم الى لرحمتنا حيث نكف
 واملع والبر من لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 وعلما بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 لحن ومن وريت وعلول وفتح وخيل وشعبير وما يشبهه وحين وحلت مسلككم عنده لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم لعلكم بكم
 على ما يريدون واكثر صفا واما ان كلن بكم
 من الكبره والضر انما يكون سبه من بكم
 ان مسلكنا للصورة لعلكم بكم
 بالبره والهدى على الصفة للفرس من بكم
 انكم لن تعرض لنا بالعداوه والضر صلح من بكم
 بلا تعلوا عنه واعلموا بان صلح انما به قبوله والعمل منه وان صلحكم لا يبقه عنكم لعلكم بكم
 وايدنا بكم
 على من سرح والهدى

المنشور الفرنسي الذي وزع بالجزائر قبيل الاحتلال

استيلاءه على تونس ، وتمعه للثوار ، كمثل ابن القاضي وقره حسن وغيرهم وايقاعه بالبربر وغيرهم . وكانت له في الابهة والجلال ، وفي الفتوح والحروب آثار مشهورة كما تقدم في اول الكتاب (118) . ثم انظر كيف كانت عاقبة امرها ، وانقلاب احوالها . حتى صار الامير حسن باشا لا يملك الا موضع قدمه من القصبه ، وعندما دخل عليه النصاري كان كأنه أسير أو مسجون بين ايديهم . وهو ينظر الى ذلك ، لا يجد قوة ولا يملك دفاعا ولا يرجو ظهورا . وقد تفرقت عنه الحامية ، وانحطت العصابة ، وانقطعت الجباية وهذا شأن الدول . ثم انظر الى حضرتهم ودار مملكتهم كيف كانت في زمن استفحال دولتهم ، وهي حاضرة واسطة المغرب ، مستمدة لرياح النصر ، وقد اتصلت عمارتها ، وعظمت مصانعها ، وكثر ترف سكانها ، وتوافر علماءها وشعراؤها ثم آل امرها الى اختلال النظام ، وزوال العمران الاسلامي ، واستيلاء الحرب على اكثرها ، وخروج اهلها الى البراري طالبين النجاة بانفسهم من العدو ، حتى صاروا يتكفنون بين خيام الاعراب وقد ذاقوا الباس والجوع والخوف ، وانطمست اعلامها وامحت رسومها وذهبت محاسنها (119) ، وانقرضت اعيانها ، وغيض علماءها وخرس شعراؤها . وافحم كتابها وبلغاؤها . وهذا شأن البلدان اذا بلفت القاصية من حضارتها والنهاية من عمراتها وتفتت كذلك ما شاء الله تعالى ، ثم ترجع ادراجها وتأخذ في الانحطاط الى ان تبلغ الحال الذي وصفنا . وربما خربت بالكلية ، واصبحت خاوية على عروشها .

وقد عقد ولي الدين بن خلدون في الكتاب الاول من تاريخه الكبير (120) فصلا في هذا المعنى بين فيه ان للعمران اجلا لا يتعداه وان الحضارة ، غاية ونهاية لعمره قال فيه : ان العمران كله من بدوارة وحضارة ، وملك وسوقة ، له عمر محسوس ، كما ان الشخص الواحد من اشخاص المكونات له عمر محسوس . وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه وعتوها ، وانه اذا بلغ سن الاربعين ، وتفتت الطبيعة على اثر النشوء والنمو برهة ، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط . فلتعلم ان الحضارة في العمران ايضا كذلك . لانها غاية لا مزيد عليها . وكذلك ان الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم ذلك بطبعه الى مذاهب الحضارة ، والتخلق بعوائدها . والحضارة هي التفنن في الترف ، واستجادة احواله ، والكلف بالصنائع التي هي تدنو من اصنافه ، وسائر فنونه ، كالصنائع المهمة للمطابخ ، والملابس ، والمباني والفروش ، والانية ، وسائر الاحوال للمنزل . وللتائق في كل واحد من هذه ، صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة ، واذا بلغ التائق في هذه الاحوال المنزلية الغاية ، تبعه اطاعة الشهوات ، فتتلون

النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة ، لا يستقيم حالها معها . في دينها ولا دنياها . اما في دينها ، فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها . واما في دنياها ، فلكثره الحاجة التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها ، وبيانه ان المصر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران . وقد كنا قدما ان المصر الكثير العمران يختص بالفلاء في اسواقه ، واسعار حاجاته ثم تزيدها المكوس غلاء ، لان كمال الحضارة انما يكون عند نهاية الدولة في استعجالها ، وهو زمن وضع المكوس في الدول ، لكثرة خراجها حيثئذ . والمكوس تعود على البيوعات بالفلاء ، لان السوقه كلهم والتجار يحتسبون على سلعمهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه في مؤونة انفسهم ، فيكون المكس لذلك داخلا في قيام المبيعات ، فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عند ذلك . لما ملكهم من اثر العوائد وطاعتها ، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ، ويتتابعون في الاملاق والخصاصة ، ويغلب عليهم الفقر ، ويقل المتساومون للبياع فتكسد الاسواق ويعسر حال المدينة . واما فساد اهله في ذواتهم ، فمن الكمد والتعب في حاجات العوائد ، والتلون بالوان الشرفي تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من الوانها ، فلذلك يكثر فيهم الفسق والشر والسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ، وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك ، والغوص عليه ، واستجماع الحيلة له ، فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف ، ابصر بطرق الفسق ومذاهبه ، والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة بالخوض فيه ، حتى بين الاقارب وذوي المحارم ، والذين تقتضي البداوة الحياء منهم وتجدهم ايضا ابصر بالكر والخديعة ، يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر ، وما يتوقعونه من العقاب ، على تلك القبائح ، حتى يصير ذلك عادة وخطا لاكثرهم ، الا من عصمه الله تعالى . ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل الخلق الذميم ، ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدائهم ممن اهمل عن التاديب واهملته الدولة من اعدائها . وغلب عليه خلق الجوار ، وان كانوا اهل نشب . وذلك ان الناس متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه صفة الرذائل باي وجه كان ، وفسد خلق الخير فيه ، لم ينفعه زكائه ، ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل الدول ، منطرحين في القمار ، مجافين للحرف الدينية ، في معاشهم ، لما فسد من

أخلاقهم ، وما تلونوا به من صفة الشر ، والسفسطة ، واذا كثر ذلك في المدينة والامة فأذن بخرابها ، وهو معنى قوله تعالى ، وان اردنا اهلاك قرية ، امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا . ووجهه ان مكاسبهم لا تفي حينئذ بحاجتهم ، لكثرة العوائد ومطالبة النفس ، فلا تستقيم احوالهم . واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض الخواص : ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج تاذنت بالخراب ، حتى ان كثيرا من العامة تتجافى عن غرس النارنج بالدور . وليس المراد ذلك . ولا أنه خاصية في النارنج ، وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة ، ثم ان النارنج ، والليم والسرول ، مثل ذلك لا طمع فيه ولا منفعة ، هو غاية الحضارة اذ لا يقصد به في البساتين الا اشكالها فقط . ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب الترف هذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه ، كما قلناه . ومثل هذا قيل في الدفلا ، وهو مثل هذا الباب ، اذ الدفلا لا يقصد بها الا التلون في البساتين بنوارها ، ومن مفسد الحضارة ايضا الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف ، فيقع التفنن في شهوات البطن ، من المآكل وملازمها ويتبع ذلك في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا ، واللواط ، فيفضي ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل احد ابنه ، لان المياه مختلطة في الارحام ، فتقل الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويؤدي ذلك الى انقطاع النوع بغير واسطة ، كاللواط الموجب الى عدم النسل ، وهو اشد في فساد النوع ، ولذا كان مذهب مالك رحمه الله تعالى في اللواط اظهر من مذهب غيره . واذا فسد الانسان في قدرته وفي اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته . وبهذا الاعتبار كان الذين يقربون من جند السلطان الى البداوة والخشونة ، انفع من الذين يربون على الحضارة وخلقها . وهذا موجود في كل دولة . فقد تبين ان الحضارة سن الوقوف لعمر العالم من العمران . والدولة والملك لله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن .

سمو وانحطاط

هذا كلام ابن خلدون ذكرناه بطوله ، لما فيه من الفائدة . فاذا تأملت احوال هذه الحضرة الجزائرية ووجدتها في اول نشأتها ، ولمهد دخول الاتراك اليها ، لا تمدن لها ولا تمصر فاعتنى بها الامير خير الدين رحمه الله ، فاتخذ بها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية ، لدفع ضرر غارات الروم والفرنج ، فلم

تزل عمارتها تتزايد وكان لهم بها اعتناء فاحكموا سورها وقصبتها وبنوا بها مساجد عظيمة ، نحووا من اثني عشر مسجدا (125) وجلبوا اليها اعمدة الرخام ومنابر الرخام ، وعظمت بها الدولة ، وبلغت النهاية ، فكثر سكانها ، ورغب الناس في سكانها واجتمع بها من اعلام الناس من اهلها ومن الوافدين عليها من الافاق . متقيين ظل ملكها . ساعين في اللياذ بها من شاعر مفلق ، وكاتب بايع . وعالم نحريز . وماك اروع وشجاع اهورج . واحداثت بها المباني الجميلة . والمصانع العظيمة . وغرست الجنت والبساتين ، كرياض حسن باشا بباب الواد (121) وبستان محمطفي باشا بيمين الربط (122) . وغير ذلك من المنزهات . واتخذوا شارات الملك ومراكب الامارة . فغلبوا من عاداهم ، واقتعدوا ارائك السلطنة . وامتدت دولتهم نحووا من ثلاثماية وخمسة وثلاثين سنة (335) سنة وتخلقوا باخلاق النعيم وتقلبوا في البلاد في نظارة العيش . وكثر ترف سكانها . وتأنقوا في الملابس والمباني وانواع الفرش والاثاث ، فاستجادوها من الذهب والفضة وتنافسوا في اتقانها الى ان بلغت الغاية . ثم رجعت ادراجها بعد ذلك . واخذت الدولة في الانحطاط . وتدرج ذلك الى ان انقضت القاضية وقويت شركة النصارى واخذوها . وجعلوا اماكنها الرفيعة مربطاً لخبولهم . ومساجدها سكنى لمرضاهم وكنائس لاصنامهم ، ونبشوا قبور بعض الصالحين . وقبر وليها . وقطب مدارها الاستاذ الاعظم سيدي عبد الرحمان ابن مخلوف الثعالبي رضي الله عنه ، فلم يجدوا به الا الرمل حيانة من الله تعالى لجسده الشريف ان تعبت به ايدي النصارى في اديمه وكذا امثاله رضي الله عنهم . ونبشوا مقابر المسلمين فلم ينج منها الا القليل ، حسبما ياتي الكلام على جميع ذلك مفصلا . ان شاء الله (123) .

صفحة منفردة

انتهى الكتاب . لكنني وجدت بين صفحاته ورقة منفردة تابعة لما قبلها ، ولكنه ضاع واختفى من سوء الحظ . وهو من اهم ما في الكتاب . لانه يتعلق بحوادث الاحتلال المزعجة الفظيعة . وبالمقاومة الشعبية . وبالاعداد والاخلاق والنقائيد في العادسة الجزائرية الاسلامية وخادسة تراجم رجالها من علماء وشعراء وكتاب وغيرهم . وهذا ما جاء في تلك الصفحة :

وكذلك شهر رمضان المعظم فانهم يحتفلون به غاية الاحتفال ويقومون بواجب حقه اتم القيام . ويختتمون في غالب المساجد القرآن العظيم في صلاة التراويح الا ما قل من المساجد وكذلك اعتناؤهم بختم صحيح البخاري رضي

الله عنه . اما صحيح مسلم فكانت له ختمة واحدة ، لان رواية البخاري عندنا اشهر واظهر . وان كانت بقية الاسانيد الستة كذلك ، الا ان اهل الجزائر لهم ولوع برواية البخاري والمشاهير من علمائهم يقرأونه دراية ، ويبتدئون قراءته من اوله الى آخره مدة ثلاثة اشهر ، من اليوم الاول من رجب ، ويختتمونه في اواخر رمضان على وفق المراد فيكون الختم على بابيه . والان ناسب ان ذاتي على صورة الختم ليتم به الختم ، ويحصل لنا به حسن الختم ان شاء الله تعالى .

ثم قال : وبعد هذا نلحق ما كتبه عن ليلة السابع والعشرين (من رمضان) ثم اتعرض لغيرهم من العلماء ممن تقدم وعرفت اسماءهم ولم اتعرض لغير المعاصرين ممن تقدم ، لكثرتهم وفواتهم وربما تمس الحاجة اليهم . فذاتي بهم ان شاء الله . فمن المشاهير : (وبعد هذا بياض) . انتهى

اهم ما لم يذكره المؤلف

1 — يوم 5 سبتمبر من سنة 1819 حل بالجزائر اسطولان ، فرنسي وانكليزي ، عليهما الامير الفرنسي جوربان ، والامير الانكليزي فريمانقل ، وابلغا الباشا مقررات مؤتمر ايكس لاشابيل ، التي تقتضي الغاء الرقيق وعتق من هو موجود منهم . وكانت الولايات المتحدة الاميركية قد رفضت الامتثال لهذا القرار . فبعد مداولة طويلة بين الباشا وزائريه ، لم يقع الاتفاق على شيء ورجع الاسطولان يوم 5 سبتمبر دون نتيجة .

2 — عن قضية بوشاق وبوخريص (باكري) التي لم يعرها المؤلف اهتماما خاصا . انظر تفاصيل هذا الدين والقضايا المتعلقة به في كتابنا «كتاب الجزائر» الطبعة الثانية بدار المعارف المصرية سنة 1963 — صفحة 44 .

3 — يوم 17 جوان من سنة 1829 ، تمكن الجزائريون اثناء حصار فرنسا بحرا للمدينة من الاستلاء على ثلاث سفن صغيرة تابعة للجيش الفرنسي وادخلوها مرسى الجزائر ، كما ان سفينتين حارستين فرنسيتين ، التجأتا الى الساحل ، فقتل الجزائريون المواطنين 24 من رجالها .

4 — كانت ايامه تحت ظل السلطان محمود الثاني العثماني .

5 — كان القضاة الاحناف في ايامه على التوالي الشيوخ : محمد بن محمود العنابي — احمد بن ابراهيم — محمد بن عبد الرحمان — الحاج احمد بن الحاج عمر — محمد بن شعيبان . اما قضاة المالكية فكانوا على التوالي

الشيوخ : الحاج بن عبد القادر — ومحمد ابن الحاج ابراهيم — علي بن محمد المنجلاتي — اما المفتي فكان الشيخ مصطفى بن الكبابطي ، الذي وقعت الكارثة في ايامه ، وقد دافع بابه وشرف عن اوقاف المسلمين ، ورفض تسليم سجلها للقائد الفرنسي فاحتجزته الدولة الفرنسية عنفا ، واركبته سفينة قامت بابعاده لمدينة الاسكندرية فلقاه اهله على الرحب والسعة ، وتوفى بها ، رحمه الله تعالى .

ملاحظة : وجدت في التاريخ العثماني ، ان السلطان محمود الثاني عين سنة 1821 قبودان باشا : نصوح زادة علي باي ، برتبة « باي لرباي » على الجزائر . لكن هذا التعيين لم يكن له اي اثر في الجزائر التي بقيت تحت امرة حسين باشا الى النهاية المؤلمة .

(1) اسمه الحقيقي هو حسن بن الحسن . وكان نقش على خاتمه الاثر القائل : ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله الحسن .

(2) 1233 (1818)

(3) مقر ادارته

(4) لانها كانتا متهمين عندهم بانهما كانتا سبب نكبة الاتراك ايام علي باشا (خموجة) من جهة وبانهما كانا يبتزان اموال الخزينة من جهة اخرى

(5) لا تزال على حالها كما اسلفنا ، وتدعى « دار الحمراء »

(6) اي حارة خاصة للمومسات . وذلك عندما راي نقشي الاتصالات المخالفة للطبيعة بين جنود الاتراك اثر نقى علي باشا للمومسات الى شرشال

(7) هي المقدار من المال الذهب الذي يرسل كل عام ، من حصيلة الاوقاف الى فقراء الحرمين الشريفين .

(8) مماليك

(9) 1234 (1818)

(10) الهدية التقليدية للسلطان العثماني

(11) اي الهدية التي قابل بها السلطان هدية الجزائر . انظر نموذجا من هذه الهدايا في كتابنا : محمد عثمان باشا

(12) الوجاق ، كلمة تركية اصلها : اوتشاك اي الموقد وتطلق على الولايات .

(13) السيف

(14) امر التقليد الذي يحمل طغرى السلطان

(15) الذي اصبح سنة 1255 (1839) السلطان الحادي والثلاثين من سلاطين آل عثمان ، بين رزايا وارتيكات هائلة ، واطار تهدد السلطنة من كل جانب

- (16) دار المجانيين
- (17) الحمصار
- (18) لم يذكر الشيخ ابن ابي الضياف اسمه واختصر - اكثر مما يلزم - ذكر هذه الحادثة ذات الاهمية (ص 134 من جزء 3)
- (19) وقع امضاء الصلح بين الشقيقتين يوم 14 مارس 1821 الموافق 1236 - وهناك خلاف في سنة بين المؤلف وبين التاريخ الذي ذكرناه
- (20) دار ضرب النقود
- (21) سبق ذكرها وهي قطع فضية من اصل اسباني ، كانت عبدة المعاملات في الجزائر وقيمتها قبل الحرب العالمية الاولى 5 فرنكات ذهبية
- (22) وبقيت هذه العملة الجديدة متدولة الى ان وقع الاحتلال
- (23) 1235 (1819)
- (24) صاري عسكر ، أي القائد العام
- (25) قائد الاسطول العثماني
- (26) بلاد البانيا اليوم
- (27) من بلاد اليونان
- (28) اسم تركي اصله : دونامية : أي الاسطول الحربي
- (29) الطائفة : هي مجموعة رؤساء البحر الغزاة - والقاطات هي الأكسية ، مما يلبسه أهل الجزائر
- (30) القائد الأكبر لمجموع الاساطيل العثمانية
- (31) توسكانة . مملكة من ممالك ايطاليا الشمالية ، قبل توحيد البلاد
- (32) أي لا خروج من أجل الغزو ضد مراكب الاعداء زمن الشتاء .
- (33) بوغاز الدردانيل
- (34) 1238 (1822)
- (35) محمود باي الحسيني
- (36) ضيعة كبيرة مما يسميه أهل تونس « فنشير »
- (37) ينادي باقامة حكم الله الشرعي
- (38) 39 (1823)

- (39) نوع من السفن الحربية الخفيفة
- (40) أصل الكلمة فرنسي : الكارنتين : أي الحجز الصحي مدة أربعين يوما
- (41) الراية
- (42) أي ان تفعلوا ما بدا لكم
- (43) البحر المتوسط
- (44) لا تزال عائلته موجودة بتونس الى اليوم . وكان لنا ارتباط كبير معها ، لان حفيد باصون هذا هو الشيخ قدور باصون الجزائري المهاجر بتونس اثر الاحتلال وقد اخرج جلا من الطلبة منهم والذي رحمهم الله جميعا . وفريته اليوم بالجزائر تدعى عائلة : ابن البحار .
- (45) أي ما تقدمه الدول المتصالحة مع الجزائر كل ثلاثة أعوام
- (46) صندوق صفيير من الفضة او الذهب المزين بالحجارة الكريمة ، تستعمل لتعاطي النقود ، أي مسحوق الطبايق
- (47) مدينة ليطورن الطليانية
- (48) سفن خفيفة سريعة يستعملها لصوص البحر اليونانيون ، الثارون يومئذ على السلطنة العثمانية وتطلق الكلمة ايضا على لصوص البحر
- (49) مدينة روما . مركز دولة البابا
- (50) سبق ذكره مرارا
- (51) أي مركز ديني
- (52) بعد دفع الخمس لبيت المال
- (53) 1241 (1825)
- (54) كوخا
- (55) الاخشاب الطويلة الضيقة التي تصنع من اجل المستوف
- (56) سفينة قرصنة صغيرة الحجم
- (57) من بلاد اسبانيا
- (58) لم اجد ذكرا لهذه الحادثة في التواريخ الامرنجية التي تفحصتها
- (59) حصن
- (60) جدد بناء جامع صفر باشا الموجود الى اليوم باعطي الجزائر
- (61) 1259 (1843)

- (62) بمسكـر
- (63) الرنثم والتلويد
- (64) صنع بلد الجريد بتونس (قفصة وتوزر وغيرها) ولا تزال الى يومنا شهيرة بصناعة الحرير والصوف الرقيق
- (65) الحصار
- (66) الذي انشأته الجزائر بسرعة اطاعة لامر السلطان وخلف العسكر التركي القديم الذي اخذ الى الفوضى وعدم النظم
- (67) الخبر المجفف
- (68) السمز القديم الذي يتغير طعمه
- (69) القنصل دولال
- (70) ملك فرنسا
- (71) القنصل
- (72) تكاد تنفق اراء المؤرخين اليوم على ان « دولال » القنصل الفرنسي ، كان قائما بتنفيذ مؤامرة متفق عليها مع رجال حكومة فرنسا ، وملكها ، وهي كما يقول المؤرخ الفرنسي كارو : خلق أي سبب يسمح لفرنسا باعلان الحرب على الجزائر قصد الاستيلاء عليها ويشهد الألماني « بييفر » الذي كان يرى المنظر من البلب : ان البلب لم يضرب القنصل بالبنشنة ، انما اشار بها اليه عندما قال له : اخرج يا كلب .
- (73) 27 افريل 1827
- (74) عسكر المدافع
- (75) مدينة الجزائر
- (76) كانت الدولة العثمانية تقاوم اليونانيين النصارى وتقاوم في نفس الوقت حماة اليونان وهي فرنسا وروسيا وانكلترا . وقد بعثت هذه الدول باساطيلها الى بلاد اليونان وحصرت الاسطول العثماني التركي والمصري بمرسى تهارين . اما الاسطول الجزائري وهو مؤلف من ثمانى سفن تحمل اربعة الاف مقاتل فلم تستطع الوصول الى المكان . وعبارة يوم 20 اكتوبر 1827 حملت كل السفن الأوروبية حملة واحدة على الاسطول العثماني دون اعلان حرب ، مدعين ان رصاصه تركية قتلت ضابطا انكليزيا فتحطم معظم الاسطول العثماني . وبقي الاسطول الجزائري محتجزا في المراسي الشرقية بعيدا عن معركة اليونان وعن معركة الجزائر معا .
- (77) الجيش التركي القديم الغير النظامي
- (78) وهي قتلهم جميعا دفاعا عن الدولة وعن النظام يوم 15 يونيو 1826 ، والقضاء نهائيا على بقاياهم

(79) مرسى على البحر الأسود

(80) ادرنة اشهر مدن تركية اوروبا وقد كانت الماصمة للدولة العثمانية بعد بروسة وقبل فتح استامبول على يد السلطان المجاهد محمد الثاني رحمه الله

(81) 1828

(82) كان مسكر زواوة من بلاد القبائل الكبرى هو عمدة الأتراك وعدتهم الى جانب الأتراك الذين لم يكن عددهم يجاوز الثلاثة آلاف رجل

(83) أي دفتر الجند التركي النظامي وبذلك يصبح عدد الأتراك ضئيلا جدا بالنسبة للجند الجزائري الأصل

(84) هو الاميرال دولابرتونبير ، جاء راكبا السفينة الحربية « لابروننس »

(85) قد شاع وذاع هذا القول بالجزائر ، وتناقضه أهلها . لكن الحقيقة غير ذلك . فان السلطان محمودا عمل ما يجب عمله ، وارسل رسولين للجزائر ، ينصحان الباشا بالاعتدال وعدم الوقوع في الشرك الفرنسي ، فلم يستمع الباشا لهما لشدة ثقته في الانتصار . ثم ارسل السلطان محمود مبعوثا آخر ربما جاء معه بفرمان ولايته ليكون على رأس الجزائر بدلا من حسن لكنه لم يستطع الوصول الى الأرض الجزائرية

(86) اصبح قنصل سردانيا هو المتولى امر المصالح الفرنسية ، بعد سفر دونال

(87) 1245 (1829)

(89) عدو الله كلمة تستعمل الى اليوم عند قدماء الجزائريين في وصف القائم باعمال رديئة ولو ان حسين باشا انتصر على فرنسا لا صبح : المجاهد الكبير والبطل العظيم : والناس من يلق خيرا قائلون له : ما يشتهي ، ولام المخطيء البهل

(90) الحصار البحري

(91) شبه جزيرة فربي مدينة الجزائر على بعد 30 كيلومتر منها . وفيها ضريح الولي سيدي فرج ، ومقبر مسكري

(92) استحکامات

(93) مدافع المساون

(94) مركز الاغا . القائد العام للجيش

(95) الخنزير

(96) الحقيقة التي لا شك فيها والتي اتضحت الآن ، هي ان العثمانيين كانوا ينفذون خطة محكمة ، ولو أنهم استطاعوا تحقيقها لحصلوا على نصر عظيم ، ذلك أنهم قالوا : حسب تحليلهم للموقف : لو اتنا دفننا العدو في سيدي فرج ولم نتركه ينزل فهو سيذهب الى جهة

أخرى من الساحل الجزائري وينزل بها . ولا نستطيع مقاومته عندئذ فلأونق ان نتركه ينزل بسيدي فرج دون مقاومة . وعندما يتم ائزال سلاحه واثقاله ، نهاجه بجموعنا ميمنة وتلبا ومسيرة وهو في شبه جزيرة ضيقة لا يستطيع فيها الحركة فسيكون مضطرا لترك سلاحه واثقاله ، والرجوع من حيث اتى . وارجع الى مذكرات ميرل كاتب الجنرال الفرنسي دي برمون القائد العام ، لترى ان المنهاج كاد ينجح نجاحا ميمنا ، لولا حادث بسيط ، قلب الوضعية كلها .

(97) هذا مما تحكيه العامة في الجزائر الى اليوم . واضنه من اختراعات العامة

(98) لشدة ثقته في الانتصار ، بصفة تتنافى مع المنطق .

(99) حامل مجموع ما تحصل خلال السنة من اوقات الحرمين الشريفين

(100) أي أرسسهم في دفتر الجند

(101) 1245 : 1830

(102) الفرسان المتطوعون للجهاد

(103) البنادق

(104) ذكره ولا ريب في القسم المفقود من هذا الكتاب وذلك أمر بوسفه له كثيرا

(105) لفظ تركي يطلق على الحكام ورجال السلطة . لأن الواحد منهم يدعى « بابا » وجمعة بالتركية « بابالار »

(106) الجنود المسلمون

(107) الحقيقة التي ظهرت تاريخيا ، هي أن الهجوم العام الجزائري على مراكز الفرنسيين قد نجح في اول الامر نجاحا كبيرا . وتمكنت الميمنة الجزائرية وتمكنت المسيرة من اكتساح مراكز الفرنسيين بينما كان قلب الجيش يتوغل بسرعة الى الامام ، الى ان امتطى الكثير من الجيش الفرنسي سهوة سلفهم ، تاركين المعركة ، ولو دام الامر كذلك مدة ساعة ، لانتهى الامر حسب الخطة الجزائرية . لكن ثلة من الجيش الفرنسي بقيت في المؤخرة بعد تقدم الجيش الجزائري ورات من ربوة قليلة الارتفاع ان الجيش اخذ يمتطى السفن فأخذت تصيح وترفع ايديها وأسلحتها كيلا ينساها الجند الفرنسي خلفه . فلما رأى الجنود الجزائريون ذلك ظنوا — وهنا النكبة الكبرى — انهم قد احبط بهم ، وان الفرنسيين يهاجمونهم من الخلف فتوقفوا عن التوغل في مراكز العدو ، واخذوا يتراجعون . واغتنم الفرنسيون الماهرين في علم التكتيب الحربي هذه الفرصة فعادوا الى الهجوم هجوما مستميتا يائسا ، واندحر الجزائريون بغير نظام الى مركزهم العام بجهة مصطنى ولي (اسطاوالي) وهناك وقعت الكارثة الغير المنتظرة . والتفاصيل في مذكرات « ميرل » .

(108) باسطنى والى وهي بلدة وراء فرضة سيدي فرج

(109) البرج المشرف على المدينة . والذي كان الاسبان قد بنوه اثناء هجومهم الخائب على مدينة الجزائر ، ويعرف التركية باسم « سلطان قلعة سى » أي قلعة السلطان .

(110) خوفا من انتفاضهم وضربهم لقلعة القصبة من الأعلى

(111) مزرعة محمنة

(112) قنابل

(113) الساعة التي كانت موجودة على باب دار الجنبنة ، واصبحت الآن على منارة المسجد الحنفي .

(114) لم يكن الكاتب يعرف يومئذ ان أهل البلد ، قد بعثوا قبل ذلك الى الجنرال دي بورمون يعرضون عليه تسليم المدينة على ان لا يتعرض لها بسوء بعد احتلالها ، وبما قاله أحد رجالهم للجنرال : لو أردت أن تأتيك برأس الباشا في سجن لعلنا ذلك .

(115) الجنرال دي بورمون : لقد حلة الجزائر ويعرف ذلك الكتاب باسم : « اتفاقية تسليم الجزائر »

(116) مدينة الجزائر

(117) كتب هذا ولا ريب بعد استيلاء فرنسا على مطيعة وقسم كبير من البلاد

(118) وهو القسم الاول المفقود من الكتب

(119) روت لي المرحومة أم السيد عمر بوضربة قالت : تركنا أيام الاحتلال دارنا ، وذهبنا في زي الفقيرات الى سقينة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، فنسول الناس وبقينا على ذلك أياما الى ان هدأ الروح . ووجدنا هناك امرأة تبكي ، قالت : أخذت معي ذهبي وجواهري في صرة ملتجة للحرم . فرأيت أحد جنود العدو ينظرني باسما نظنت انه عرف ما أحمل . فالتفت اليه بالصرة وهولت اليه السقينة لا ألوي على شيء .

(120) أي المقدمة

(121) هي الآن المستشفى العسكري

(122) دار مصطفى باشا أصبحت اليوم قسما من قصر الشعب

(123) وهذا هو القسم الأخير من الكتب ، وقد فقد لسوء الحظ ، وقد قيل لي — ولست متأكدا من هذا — ان لوسياتي ، مدير الأمور الأهلية قد أخذه من السيد الحاج قدور الشريف ، واحتفظه لنفسه أو ألقاه .

واركب الباشا حسين ، والجنود التركي الذي أراد مغادرة البلاد معه ، وكتبوا 120 شخصا . واختار النزول في مرسى نابولي الإيطالي . ومن هناك أخذ يدير الحركات الجزائرية ضد فرنسا ، وبيقاع الأسلحة ويرسل بها للثائرين والمجاهدين وكتبت فرنسا تتبع حركته ، وتستولي على سفن السلاح التي يرسلها للجزائر . وأخيرا وبعد جهود مضية ، ذهب الى الاسكندرية وتوفي بها سنة 1838 ، من 72 عاما . (انظر تفاصيل هذا الكفاح في كتابي « كتب الجزائر » طبع القاهرة ص 54 و 55 .

الفهرس

ذكر قدوم البايالار بعد الثلاثة	5	التقديم
35 اعوام		* علي باشا بوصباغ
35 ترتيب الدنوش	15	ولادة نجل للسلطان
35 استخلاص الضرائب	16	قضية السفينتين النابوليتين
36 بين البايات والامير	17	الظلام
36 دنوش باي الغرب		بقية اخبار علي باي بن حسين
40 تقديم هدية الملك	17	التونسي
41 زيارات الوزراء	19	* محمد باشا المجاهد
41 هدية الخزناجي	23	العهد
42 موائد الباش كاتب والكتاب	23	الولاية
43 موائد الشواش	23	سيرته
44 التقدم السنوي للشواش	24	زواجه
45 هدية خوجة الخيل	24	مآثره العمرانية
45 هدية بقية رجال الوجاق	25	الاستعداد الحربي
توديع الباي والهدايا للتي تقدم	25	الحرب والصلح مع الدانمارك
45 له	25	الحرب الاولى مع اسبانيا
46 دنوش باي الشرق	28	اخضاع اهل جبل فليسة
46 اللزمة		خروج المراكب الجزائرية مددا
47 زكاة باي الغرب	28	لاستامبول
47 زكاة باي الشرق	29	سفر الدونمة الثانية
47 زكاة باي تيطري	29	الدونامة الثالثة واعمالها
47 زكاة قائد سباو	31	الجوع
47 تحديد البلاد	31	الحرب الثانية مع اسبانيا
49 خوجة الخيل وسلطته	32	الاستعداد للحرب الثالثة
49 صالح باي ومقتل الخزناجي		الحرب الثالثة والاخيرة مع
51 الوباء	33	اسبانيا
* ولاية حسن باشا	33	كيف تم الصلح مع اسبانيا

87	نهاية الدرقاوي	61	الحرب مع السويد واميركا
	مصرع كبير اليهود وقيسام	62	علي برغل
87	المسلمين عليهم	63	فتح وهران
	ثورة احمد خوجة ومصرع	63	موت محمد باي
88	مصطفى باشا	64	قضية صالح باي قسنطينة
	* ولاية احمد باشا	65	الحرب ضد الفلامنك
95	نفاق مزاية	66	الصلح مع الاميركان
95	الحرب مع البرتغال	66	الحرب ضد جنوي
97	محاولة برتغالية	66	الحرب ضد البرتغال
97	اطلاق اسرى تونس		ولاية مصطفى باشا
97	العودة للحرب مع تونس	71	قصة الباشا كاتب المعزول
98	فتنة احمد شاوش	72	خلاف كبير مع الدولة العثمانية
98	مقتل احمد باشا	72	غزواته الاولى
103	* ولاية علي باشا بوجوالق	72	مرتب قار لرجال البحر
	* ولاية الحاج علي باشا	73	الحرب ضد النابوليطان
105	اسطول الجهاد	73	الحرب ضد البرتغال
106	الحرب ضد البرتغال	74	بطولة الرايس حميدو
106	الوقائع مع تونس	76	غزوة بلاد النابوليطان
107	مؤامرة جزائرية لانقاذ تونس		موقفه من استيلاء فرنسا على
109	الحرب ضد اليونان	76	مصر
109	كيفية قسمة الفنيمة		سفارة فرنسية وحيلة ناجحة
109	الغزو ضد السويد والدنمارك	78	الخلاف من الانكليز
110	مشادة من اجل اسير	79	معركة مع النابوليطان
110	الصلح مع البرتغال		ما انشا الباشا من المراكب
110	اعمال عمرانية	80	والعمران
110	العودة لحرب اليونان		الثوار من الاتراك على مصطفى
111	قتل وارهاق	80	باشا
111	التامر عليه وقتله	82	افراح اختان ابنيه
	* ولاية محمد باشا	83	زلزال القليعة
115	الصاعقة	83	محاولة هرب عثمان باي وهران
	* ولاية عمر باشا	84	ثورة ابن عبد الله الدرقاوي
117	الجراد	85	ثورة ابن الاحرش

147	السكة الجديدة	117	الحرب مع الاميركان
147	ثورة اليونان	118	الحرب ضد نابولي
148	الاستنجد بالجزائر	119	غزوة بيضاء
	حراسة فركاطة محمد علسي	119	الانتقام لحميدو
149	باشا	119	الغاء الاسر
150	داعية شر من تونس	120	الصلح مع نابوليطنان
151	انقطاع الوباء	121	الهدية للسلطان
	الحرب مع الانكليز وانتصار	121	اخذة رابية في ساعة نوم
151	الجزائر	125	الصلح من الفلامنك
154	غزوة على مركب رومة	125	الصلح مع الانكليز
155	زلزال مدينة البليدة	127	تجديد الحصون والسفن
156	الرجوع لاعانة السلطان		مولاي سليمان سلطان المغرب
157	غنيمة باردة	127	ينجد الجزائر
	قضية اليهودي والانتصار على	127	هدية طرابلس
157	اسبانيا		ولاية علي باشا (علي خوجة)
158	انشاءات عمرانية		كيفية موت عمر باشا
158	قدوم قبجي باشا ببشارة بنية		اتخاذ حصن القصبة مقسرا
159	ثورة التيجني سنة 42	132	للامارة
160	تولية احمد باي على قسنطينة	134	محاولة فاشلة
162	عزل يحي اغا والسبب في ذلك		ملازمة احكام الشريعة
163	الخلاف الاخير مع الفرنسيين	136	الاسلامية
164	استعداد	136	مع الجيش
	استقلال اليونان		فتنة اخمدت في الدم
165	الحرب التركية الروسية	137	مقتل جابر باي قسنطينة
165	الجيش النظامي	138	محاولة الصلح مع تونس
166	اعمال عمرانية ودينية	139	وصول السفن الاسلامية
166	الحرب مع الفرنسيين		ولاية حسين باشا
167	مهمة الحاج خليل	141	التولية
167	تلبية دعوة الجهاد	142	قضية ابن مالك
168	المعركة الاولى	144	بعض اعماله
168	خرافات وكدر	145	الهدية للدولة العثمانية
169	مؤامرة خاتبة	146	الصلح مع تونس

174 تحطيم برج مولاي الحسن
175 طلب الامان والتسليم
176 سيرة حسين باشا
176 خاتمة .

عظة للسلطان ومهمة طاهر
باشا
169
وقائع اولى قبل قدوم العمارة 170
171 ظهور العمارة الفرنسية
173 رمي الجزائر بالقنابل

الشركة الوطنية للتوزيع الجزائر